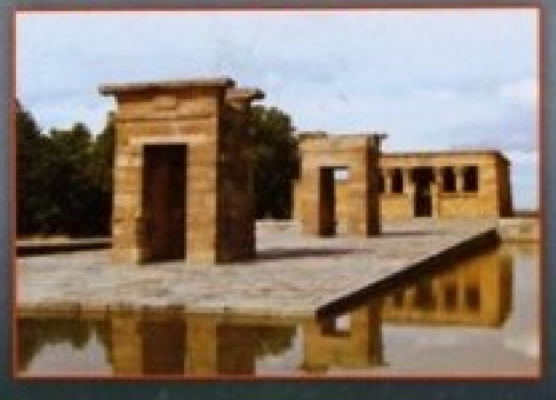
النوبة
بحيرة ناصر
الأسرار والآثار



أحمد الصغير



النوبة.. بحيرة ناصر

الأسرار والآثار

المدير العام خالد عبد الصمد خفاجي

الجمع والصف الإلكترونى
القسم الفنى

إشراف وتنفيذ إيمان خفاجي

لوحة الغلاف: سامر محمود

طباعة مطبعةقباء – دار السلام



تسويق ونشر

أجيال لخدمات التسويق والنشر - القاهرة

الإدارة والتسويق: ٠١١٩٧٦٥١٠٠ ٠١٠٥ ١٤٤٨٨٧٧

تليفاكس: ٠٢٣٧٠٩٥١٢٤

Email: agyal.gro@hotmail.com

أحمد الصغير

النوبة.. بحيرة ناصر
الأسرار والآثار

الطبعة الأولى

٢٠١٠



أجيال لخدمات التسويق والنشر - القاهرة

الكتاب: النوبة.. بحيرة ناصر

المؤلف: أحمد الصغير

الطبعة الأولى: يونيو ٢٠١٠

المقاس: ١٧×٢٤

عدد الصفحات: ٢٦٨ صفحة

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٣٢٣١

الترقيم الدولى: I.S.B.N. ٩٧٧-٦٢١٥ -٥٠- ٥

أحمد على محمد الصغير
النوبة-بحيرة ناصر:الأسرار و الأثار/الصغير-أحمد-ط١ - شركة أجيال لخدمات التسويق و النشر/ القاهرة، ٢٠١٠.
٢٨٦ ص ، ٢٤سم
تدمك ٥ ٥٠ ٦٢١٥ ٩٧٧ ٠
١- النوبة- تاريخ
٢- بحيرة ناصر - تاريخ
أ-العنوان ٩٦٢,٥

مقدمة

لقد بدأتْ فكرة هذا الكتاب كمرجعٍ مبسط للآثار المصرية فى النوبة المصرية والسودانية والتى تم إنقاذها وإعادة تشييدها على ضفاف بحيرة ناصر بعد بناء السد العالى ثم كَبُرتْ الفكرة وغدت أفكارا متشعبة تتشابك جميعها فى ثلاثة خيوطٍ رئيسية الأول منها يدور حول أصل المكان وهو النوبة وتاريخها وقليلٍ من أسرارها الكثيرة وما يدور حاليا من جدلٍ صاخبٍ أحيانا حول حقيقة ما حدث فى القرن الماضى وهذا الخيط يبدو ناعما حريريا أحيانا ولكنه ملتهب فى نهايته ولا مفر ولا ضير من قليلٍ من اللهب من أجل إماطة اللثام عن بعض الحقائق المنسية فى قصة التهجير وذلك فى إطار سعينا المشروع نحو المعرفة المجردة ولا شئ غيرها. أما ثانى الخيوط فذلك الذى يحاول أن يكتشف أسرار الحياة فى تلك البحيرة وما حولها. وهى التى تبدو غامضة غارقة فى هدوءٍ مصطنعٍ وخادع.. فهناك حياة أوسع وأكبر مما نتصور. ويرتبط بذلك الخيط ما يحدث فى أقصى الجنوب من النهر حيث يضطرب ذلك المِرجَل الذى كان هادئا لعقودٍ طويلة فما ومن الذى قلب المرجل رأسا على عقب وماذا يحدث حول منابع النيل؟

أما ثالث الخيوط فهو العمل الإرشادى الأثرى الذى يتناول الآثار المصرية والنوبية التى انتفض العالم بأحمعه لإنقاذها فى القرن الماضى وسيذكر التاريخ دائما أن هذا العمل كان نقطة الإلتقاء الحضارية العظمى فى تاريخ العالم الحديث فلم يحدث قبلها أو بعدها حتى الآن أن اتفق العالم المهتم بالحضارة الإنسانية بحكوماته ومنظماته المدنية وعلمائه على هدف واحد كما اتفق على هذا الهدف. وقد حاولت أن يشتمل هذا الخيط على لمحات هامة عما لم يتيسر إنقاذه وكذلك عما تم إنقاذه فى أرض الشقيقة السودان وإعادة تشييده بالمتحف الوطنى بالخرطوم.

والله الموفق

أحمد الصغير ١٦ مايو ٢٠١٠

المحتويات

الجزء الأول

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الجزء الثانى

الجزء الأول

النوبة.. النيل.. بحيرة ناصر

أهم الأسرار

الفصل الأول

تاريخ النوبة منذ عصر ما قبل الأسرات حتى التهجير

■ أهم ملامح التاريخ النوبى

♦ لقد كان هناك عدد من العوامل الطبيعية والبيئية التى حددت ملامح هذا التاريخ وحددت علاقات النوبيين بجيرانهم شمالا وجنوبا. التضاريس أهم هذه العوامل فالفوالق الجيولوجية كانت سببا فى تعرجات النهر وحنياته المتكررة وفى ظهور بوابات كلابشة والمضيق وأبى سمبل وحنية كورسكو من الدر حتى وادى السبوع وبذلك فقد حددت مناطق العمران منذ بداية توطن السكان.

♦ كما كان للتغييرات الجغرافية أهميتها.. ففى فترة الدولة الوسطى مثلا (٢٠٠٠ – ١٧٨٨ ق. م) كان منسوب النيل مرتفعا عن المنسوب الحالى بحوالى ٧,٥م فى النوبة السودانية ولذلك أقام ملوك الدولة الوسطى حصونهم فى المنطقة الصخرية المرتفعة المتحكمة فى الملاحة النهرية مثل حصنى سمنة وقمنة ٦٦ كم جنوب وادى حلفا وكانت تلك المنطقة الصخرية ذات ارتفاع يقدر بحوالى ١٠٠م من منسوب النهر الحالى. وهذا يعنى أن العوائق الملاحية التى يشكلها الشلال الثانى والثالث لم تكن موجودة بل كانت فى معظمها غاطسة تحت الماء وكانت الملاحة أيسر فى عصر الدولة الوسطى.

♦ كانت هناك تغييرات مناخية هامة حدثت فى الفترة من ٤٠٠٠ – ١٠٠٠ ق.م حيث كان الحد الجنوبى للصحراء يقع إلى الشمال كثيرا من الحد الحالى وكان نطاق شبه الصحراء (الذى تتيسر الحركة فيه) أوسع ويغطى كل شمال السودان فكانت رحلات وبعثات حكام أسوان (بداية من الدولة القديمة مثل بعثات حرخوف الشهيرة) ميسورة بقوافل الحمير فى اتجاه السودان الأوسط والغربى. وبالتالى برزت أهمية النوبة كطريق برى للتجارة المصرية ثم حل الجفاف تدريجيا وزحفت الصحراء جنوبا حتى استقر الوضع الحالى منذ الألفية الثانية ق. م.

♦ كان للبيئة الجغرافية القاسية فى إقليم النوبة السفلى أثره فى تأخر انتقال النوبة من المرحلة البدائية (ما قبل الأسرات) إلى العصور التاريخية مقارنة بجيرانهم فى الشمال.

♦ ارتبط التاريخ النوبى بنظيره المصرى والتطورات السياسية والحضارية فى مصر كانت تحدد مجريات الأمور فى النوبة بحيث يمكن القول أنه كان هناك تناسب

عكسى بين التاريخين فكلما توحدت المملكة المصرية وتولى مقاليد الأمور فيها أسر حاكمة قوية فكانت تبسط نفوذها جنوبا وتصبغ النوبة بطابع مصرى فى الحكم والإدارة والثقافة. حتى إذا ما ضعفت تلك الحكومة المركزية كانت النوبة تتحررمن الحكم المصرى وتمارس نوعا من الإستقلال السياسى والحضارى.

- بدأ الارتباط بين النوبة ومصر فى إطار نفعى تجارى منذ ما قبل التاريخ فاحتاجت مصر المواد الخام التى افتقدتها فى أرضها واحتاجت النوبة أرضا خصبة ومحصولات غذائية.

- كان هناك دائما نوبيون مارسوا أدوارا مهمة فى التاريخ المصرى سواء فى البلاط الملكى أو الحياة الفكرية والفنية حتى وصلوا يوما لحكم مصر (أسرة ٢٥). بل هناك بعض الملوك منذ الدولة الوسطى الذين يحتمل أن يكونوا مزيجا من الدم المصرى والنوبى. ومن أهم التقاليد التى مارسها ملوك الدولة الحديثة كان استقدام أبناء أمراء النوبة وأبناء العائلات ذات الأهمية والشأن ليتعلموا فى طيبة جنبا إلى جنب مع أبناء الملوك والأمراء المصريين فى المدارس التى كانت تعرف تحت اسم (بيوت الحياة) والتى كانت ملحقة بالمعابد الكبرى كمعبد الكرنك. وبعد أن ينالوا القسط اللازم من التعليم يعودوا إلى موطنهم حيث يتولوا المناصب الهامة الدينية والسياسية. ومنهم من تعلم الفن والنحت وعمل فى تشييد ونحت بعض المعابد المصرية فى النوبة. والبعض الآخر تعلم الكهنوت وأشرف على معابد أمون المنتشرة فى النوبة وتنسب بعض الآراء أصول ملوك الأسرة ٢٥ النوبية التى حكمت مصر إلى أولئك الكهنة الذين تعلموا فى مصر وعملوا ككهنة لأمون فى نباتا ولما رأوا ما آلت إليه مصر من اضمحلال (من الأسر ٢١ حتى ٢٤) قرروا تخليصها باعتبارها أرض الإله أمون وحملوا على عاتقهم تلك المهمة ويتضح ذلك من التبجيل الذى حظيت به مصر فى نصوص هؤلاء الملوك وعلى الأخص طيبة.. مقر وأرض أمون.. (تطهروا فإنكم فى أرض الإله أمون).

■ الاسم والموقع

- ينطبق اسم النوبة على المنطقة التى تمتد من مدينة أسوان فى الشمال حتى مدينة [دبا أو دبة] قرب الشلال الرابع فى الجنوب. وهى منطقة انتقالية بين شمال الوادى فى مصر وجنوبه فى السودان. ولم يظهر هذا الاسم فى أى نص مصرى قديم ولكنه ظهر للمرة الأولى فى مؤلف [سترابون] الذى يعتقد أنه زار مصرحوالى ٢٩ ق.م. لم يتم

الاتفاق حول الأصل الحقيقى لهذا الاسم الذى ربما يعود إلى كلمة مصرية [نوب] والتى تعنى الذهب للإشارة إلى مناجم الذهب التى وجدت يوما فى المنطقة مثل منجم وادى العلاقى. أو أن اسم النوبة قد اشتق من اسم قبيلة [النوباديين] الذين استقدمهم الرومان فى القرن الثالث الميلادى من موطنهم بالصحراء الغربية ليصدوا غارات [البليميين] وسيأتى الحديث عنهم بمزيد من التفصيل فى هذا الفصل. وفى النصوص المصرية القديمة عرفت هذه المنطقة تحت اسم [تا – ستى] الذى يعنى بلاد الأقواس لأن القوس كان السلاح المميز للسكان. وأحيانا كان يطلق عليها [تا – كنسى] أى الأرض المقدسة. وفى بعض المراجع العربية بعض التفسيرات للاسم منها أن كوش هو الجد الأعلى للنوبيين مثل مصراييم الجد الأعلى للمصريين. وينسب الطبرى تسمية النوبة إلى [نوبة بن حام [1]].

- كما أطلق اليونانيون لفظة إثيوبيين على النوبيين والذى كانت تعنى (المحترقة وجوههم أو التى لفحت وجوههم الشمس).
- لقد ميز المصريون القدماء بين [النوبة السفلى] المصرية والتى توجد فى المنطقة الفاصلة بين الشلالين الأول والثانى وكانوا يسمونها [واوات] وبين [النوبة العليا] السودانية والتى تمتد للجنوب من الشلال الثانى وحتى ما يقارب الخرطوم والتى كانوا يسمونها [كوش]. وقد مر هذا الإسم [كوش] بعدة مراحل.. فكانت كلمة [كيش أو كياس] تطلق على الجزء جنوب الشلال الثانى ثم كلمة [شات] كانت تطلق على الجزء جنوب الشلال الثالث وأخيرا [كوش] أطلقت كإسم عام على كل النوبة الجنوبية.

وميز المصريون أيضا بين النوبيين المستقرين على ضفاف النيل والذين كانوا إما زراع أو رعاة والذين أسموهم [نحسيو] وبين القبائل النصف بدائية التى كانت تنتقل فى الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر والذين أسموهم [مجاو] والذين كانوا يغيرون على مصر من وقت لآخر وانحدرت منهم القبائل الحالية [البجاى].

- كما ذكرت النصوص المصرية العديد من القبائل النوبية مثل:

قبيلة (واوات) وقد سكنت حول كورسكو – قبيلة (الإيرثت) سكنت حول توماس.

قبيلة (ستاو) وسكنت حول توشكى – قبيلة (أيام) وسكنت بين أرمنة وبوهين.

- ولم تكن النوبة أبدا بمعزل عن مصرلأن النيل كان دائما يوحد بينهما وكان

لشعبيهما نفس الخصائص العرقية. وكانوا يتقلون عبر النهر إذا ما كان ذلك ممكنا أو بطريق البر عابرين الصحراء إذا ما أعاقت الشلالات الطريق النهرى.

وقد منح الله النوبة كثيرا من الثروات الهامة مثل النحاس والذهب والأحجار النصف كريمة مثل العقيق الأحمر والياقوت والهيماتيت. وقد كانت النوبة نقطة لمرور منتجات أفريقيا الاستوائية مثل العاج – البخور – ريش النعام وهى المنتجات التى أعطتها دورا مهما فى التجارة العالمية فى ذلك الوقت.

■ النوبة فى عصور ما قبل التاريخ

- لقد أوضحت الكشوف الأثرية الأخيرة روابطا حضارية مشتركة بين سكان وادى النيل خلال العصر الحجرى القديم. وكان الجنس الذى يسكن النوبة السفلى حتى الشلال الثانى يشبه الجنس الذى يسكن مصر ولم يكن ممكنا تمييز أى اختلاف بينهما فى مستوى اللهجات أو العادات أو الثقافة. ففى النوبة كانت هناك مجموعات من الناس تتمركز على ضفاف النيل وتعيش على صيد الأسماك وصيد الحيوانات البرية مثل الغزلان والفيلة والزرافات وغيرها وما يدل على ذلك هو الأدوات الحجرية التى تركوها لنا وبعضها معروض فى متحف النوبة بأسوان وأيضا الرسومات التى وجدت على الأحجار التى تحيط بضفتى النيل والمعروض بعضها بجوار معبد كلابشة وقد وجدت فى عديد من مناطق النوبة المصرية مثل [خور داود – عمدا – وادى السبوع – توشكى] ووجد مثلها فى النوبة السودانية فى [نورى – خور أبى موسى].
- وقد كانت القبائل النوبية من الجنس الحامى مثل سكان شمال إفريقيا فى العصور الأولى وامتازت بالقامة الطويلة النحيلة والرأس المستطيل البارز إلى الخلف والشعر المموج ولون البشرة الأسمر الذى يميل للإحمرار.
- وقد تطورت حضارة النوبيين كثيرا خلال أكثر من ١١٠٠٠ سنة. فقد وجدت فى [نباتا] بالقرب من الشلال الرابع بعض البقايا المعمارية التى تذكرنا بمنازل ومقابر العصر التاريخى والتى وجهت اتجاه المجتمع للإستقرار وهذا ما يعرف كفترة انتقالية بين العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث.
- ربما تكون حضارة الخرطوم التى تعود إلى ٦٠٠٠ ق.م أقدم حضارات وادى النيل فى العصر الحجرى القديم وأهم ما يميز أصحابها الأدوات المصنوعة من الطمى

المحروق. وكانوا يعيشون على تربية الحيوانات وزراعة الحبوب بالإضافة لصيد الأسماك وصيد الحيوانات. واتجهت تلك الحضارة نحو الشمال ووصلت [دنقلة] فى جنوب الشلال الثالث.

♦ وقد اتصلت الحضارة النوبية فى الجنوب مع الحضارة المعروفة فى صعيد مصر فى نفس الوقت. ويتضح هذا بوضوح من الأوانى الخزفية والصناعات الحجرية الصغيرة التى اكتشفت حول منطقة الشلال الثانى والتى يمكن مقارنتها بالآثار التى تركتها حضارة [البدارى] والتى ازدهرت بين ٥٠٠٠ و٤٥٠٠ ق. م.

أما بالنسبة لحضارة [نقادة١ – نقادة٢] التى ازدهرت فى صعيد مصر فى نهاية عصر ما قبل التاريخ فقد انتشر ما يماثلها فى مناطق نوبية عديدة من بينها [وادى السبوع].

▪ النوبة فى العصر الفرعونى

♦ فى نهاية القرن ٤ ق.م دخل الجزء الشمالى من الوادى [مصر] فى العصر التاريخى وذلك حينما بدأ سكانه الكتابة وأسسوا دولة موحدة تديرها حكومة مركزية. وبدأت مصر خطواتها نحو تأسيس مملكة وحضارة مستقرة وقد قرر العلماء تأريخ الحقب التاريخية المصرية طبقا للأسر الحاكمة لمصر متبعين فى ذلك المؤرخ المصرى [مانيتون] الذى عاش فى القرن ٣ ق. م.

♦ ولم يكن هذا هو الحال فى النوبة فلقد تأخرت هذه العملية بسبب الظروف الجغرافية وبسبب ضيق مساحة الأرض الخصبة الصالحة للزراعة. والتقدم الحضارى فى النوبة كان أقل سرعة من نظيره المصرى.

وقد قسم المؤرخون تاريخ النوبة فى مجموعات والتى يرمز لها [A – B – C] وهذا هو التقسيم المتبع حتى اليوم وإن كان أحيانا غير دقيق وقد ربط العلماء بين هذا التقسيم وبين الحقب التاريخية المصرية.

▪ النوبة فى عصر الأسرات الأولى والثانية [٣١٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م]

♦ فى تلك الفترة كانت النوبة مقسمة إلى تجمعات صغيرة قليلة العدد ويرأس كل منها زعيم منفصل وقد تولى بعض النوبيين بعض الوظائف الهامة المرموقة فى مصر.

♦ توجد كثير من شواهد هذا العصر فى أماكن متفرقة من النوبة مثل [سيالا – عكشا] وحتى أم درمان. وتثبت الخصائص العرقية للموتى الذين عثر عليهم أن

هؤلاء لم يختلفوا عن إخوانهم فى شمال الوادى بل على العكس فمع تسلسل القرون ثبت وجود اندفاع للمهاجرين المصريين للإستقرار فى النوبة.

- وبخلاف صيد الحيوانات فإن النوبيين قد مارسوا زراعة الحبوب وتربية الكباش والخراف والنعاج والماشية. ولطحن الحبوب فقد استخدموا طواحين من الكوارتز. وقد استقروا على حافة السهل الطميى واستخدموا أحيانا الأحجار لبناء مساكنهم. لقد تفوقوا فى صناعة الأوانى الحمراء من الصلصال والتى كانت مصقولة من الخارج وسوداء ولامعة من الداخل وصناعة الأوانى الزجاجية على شكل السلال المجدولة. ومن أجل الزينة فقد استخدموا قلائدا وعقودا من الصدف والخرز.

- وقد عرفوا فن رسم الأشكال المختلفة. ويتضح ذلك من الرسومات المحفورة على الصخور خاصة فى الأودية الصحراوية وكانت معظم هذه الرسومات تعرض الحيوانات البرية والمستأنسة مثل الأفيال - الزرافات - أفراس النهر - الأبقار. وقد وجدت أيضا بعض التماثيل الصغيرة التى تمثل الإنسان والحيوان والمصنوعة من الفخار.

- وهناك أدلة كثيرة تثبت الروابط بين النوبيين والمصريين فى هذه الفترة. مثل بعض المقابر المكتشفة من هذا العصر وهى ذات قمم مخروطية مذهبة وبعض الأدوات النحاسية مثل مدقات لهرس العطور وأوانى حجرية ذات تصميم مصرى كامل. وفوق [جبل سليمان] فى جنوب [بوهين] وجد نقش يحمل اسم الملك [جر] من ملوك الأسرة الأولى.

▪ النوبة فى عصر الدولة القديمة [٢٧٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م]

- فى الماضى كانَ يطلق على الحضارة التى عرفتها النوبة فى تلك الفترة اسم المجموعة [B] ولكن حاليا هناك اتجاه على عدم وجود مجموعات مستقلة فى النوبة فى تلك الفترة وتم اعتبارها استمرارا للعصر السابق. ولكن الجديد أن مصر كانت تعيش فترة مزدهرة من تاريخها وقد قررت الحكومة المركزية فى [ممفيس] أن تمد سلطانها على كل المناطق المجاورة بما فى ذلك النوبة فى الجنوب. فقد زادت من نشاطها فى المحاجر خاصة محاجر الديوريت فى [توشكى]. وظهرت فى أماكن عديدة أسماء ملوك مصر مثل [زوسر] أسرة ٣ - [خوفو - خفرع] أسرة ٤ - [ساحورع] أسرة ٥.

- فى تلك الفترة بدأ تسرب الزنوج تدريجيا فى النوبة. وقد دلت الجبانات المكتشفة على قلة السكان المتناثرين فى أرجاء النوبة فالهياكل البشرية الموجودة فى الجبانة الواحدة لم تزد مائة هيكل فى طبقات متعاقبة مما من ناحية أخرى على استمرار

السكنفى نفس المكان لعدة أجيال.

- كانت توضع ألواح حجرية على الجانبين من المقبرة ويدفن الميت ورأسه إلى الشمال أو الغرب ملفوفا فى جدائل حصير أو جلود.

- لقد زادت أنشطة الحكومة المصرية فى الأسرة ٦ [٢٣٤٥ – ٢١٨١ ق.م] ويتضح هذا من النصوص التى تركها بعض رجال الدولة وبعض حكام أسوان. فقد قام الموظف الشهير [أونى] بحفر خمس قنوات فى صخور الشلال الأول للملاحة وقام بمساعدة بعض القبائل النوبية مثل [واوات – جام – بجا] فى التغلب على بعض البدو الذين كانوا يهاجمون مصر على الحدود الشمالية للنوبة. كما قام حاكم أسوان [حرخوف] ببعض رحلات التفتيش فى النوبة وقد وصل إلى [جام] جنوب الشلال الثانى أو منطقة [دنقلة] جنوب الشلال الثالث حيث كانت توجد مقاطعة مستقلة لها صلات ودية مع مصر. وقد امتلأت مقابر حكام جزيرة الفنتين بالنصوص التى توضح أنشطتهم ورحلاتهم جنوب إلى ما بعد الشلال الثانى جنوبا.

- ونجد فى نصوص الأهرامات المصرية اسم الإله النوبى [ديدون] مانح البخور. وقد ازدهرت [بوهين] كمركز تجارى شمال الشلال الثانى. فقد بنيت هناك بعض أفران صهر النحاس الخام وكانت تتجمع هناك المنتجات الإفريقية الإستوائية مثل البخور – الأبنوس – العاج – جلد النمور والتى كانت تصدر لمصر مقابل العسل – الزيوت – الخمور – البيرة – وملابس الكتان.

- وقرب نهاية الدولة القديمة ظهرت اضطرابات فى النوبة بسبب وصول بعض العناصر الجديدة للمنطقة والتى حاولت الإستقرار هناك وهذه هى التجمعات التى كونت ما يسمى حضارة المجموعة [C].

▪ النوبة بين عام [٢٢٠٠] وعام [١٥٥٠] ق.م

عصر الإنتقال الأول – الدولة الوسطى – عصر الإنتقال الثانى

- لقد بدأت أقاليم شبه الصحارى المجاورة فى الجفاف مما أدى لبحث سكانها عن الإستقرار. فالمجموعات التى تمثل حضارة هذه المجموعة كانت مزيجا من عناصر آتية من جنوب الصحراء الشرقية قرب [كردفان] حاليا. ومع مرور الوقت استقروا فى النوبة وزادت أعداد السكان فى النوبة وازدهرت الحياة نتيجة لانتشار السلام

وساعدهم فى ذلك ضعف الحكومة المصرية ثم سقوطها واختفاء وضع اليد المصرى فى عصر الإنتقال الأول.

- لقد قوى سقوط الحكومة المصرية المركزية من سلطة حكام الأقاليم فى الصعيد وظهرت النزاعات فيما بينهم واستعان بعضهم بالجنود النوبيين من قبائل [الواوات – المجاى] والذين سيستمرون فى الجيش المصرى فيما بعد. ويدل على ذلك اكتشاف بعض النماذج الخشبية التى تمثل كتائب من الجنود النوبيين فى مقابر أحد أمراء أسيوط. وأيضا استقرار بعض النوبيين بالقرب من [جبيلين] والذين سوف يجندهم أمراء طيبة فى الجيش المصرى عندما يبدأون إعادة توحيد البلاد.
- كانت التجارة قائمة مع أمراء ودويلات الصعيد خاصة نحاس بوهين والمنتجات المدارية من عاج وخشب.
- ومن أجل هذه الظروف فإن الدولة المؤسسة فى [كرما] قرب الشلال الثالث فى النوبة العليا قد استفادت – من تقهقر السلطة المصرية – فى تقوية نفسها إلى حد تهديد الحدود الجنوبية المصرية وإعاقة المصالح الإقتصادية المصرية مع الجنوب.
- بعد قيام الدولة الوسطى قررت مصر علاج الموقف السائد فى الجنوب بضم النوبة السفلى [الواوات] للدولة. ولذلك فقد قام [سنوسرت ٣] بتشييد سلسلة من القلاع والحصون بطول النيل فى بيجة – الدكة – عنيبة – فرس – بوهين والتى لم تكن فقط نقاط دفاع بل مراكز تجارية ومراكز تعدين مثل مراكز إذابة الذهب المكتشف فى [وادى العلاقى].
- ولقد أتت هذه الجهود ثمارها حيث ازدهر اقتصاد مصر والنوبة معا. تنوعت أشكال الفخار وأحجامه وألوانه مما يدل على وجود مجتمع مستقر كبير العدد نسبيا ومورست الزراعة وبخاصة أعلاف الحيوانات.
- كانت القلاع المصرية عبارة عن أسوار عالية يصل ٩ متر وخندق وثكنة عسكرية ومساكن للضباط والجنود وموظفى الضرائب والإدارة وأسرهم ومساكن لإيواء التجار المقيمين والمسافرين. وبالقرب من كل قلعة كانت توجد جبانة لدفن الموتى.
- وبداية من حكم [سنوسرت الأول ١٩٧٧ – ١٩٢٨ ق.م] تذكر النصوص المصرية النوبة العليا خاصة المناطق المحيطة بالشلال الثالث تحت اسم [كوش]. وعلى الرغم من ضم النوبة السفلى للسلطة المصرية فإن دولة [كوش] ظلت قوية فى منطقة

[كرمة] بل أكثر من ذلك فقد أصبحت الوسيط التجارى بين مصر وحوض البحر الأبيض المتوسط فى الشمال وبين قلب أفريقيا فى الجنوب مما أسرع بازدهارها.

- فى عصر الإنتقال الثانى [١٧٨٦ – ١٥٥٠ ق.م] ضعف الوجود المصرى فى النوبة السفلى بسبب تفكك السلطة المركزية. وقد استبدل الوجود المصرى بسلطة [كوش] لدرجة أنه فى أواخر هذا العصر امتدت سلطتها لتحتل مقاطعة [واوات] حتى جنوب أسوان وبذلك أصبحت قادرة على منافسة مملكة [طيبة] فى جنوب الصعيد ومملكة الهكسوس فى الدلتا وكانت عاصمتها [كرما] أعظم مركز تجارى فى أفريقيا الإستوائية. ومما يوضح ما وصلت إليه عمارتها وفنونها وفخارها المميز والذى كان يصدر إلى حوض البحر المتوسط.
- توضح البقايا الأثرية وقطع النسيج التى وصلت إلينا الروابط الودية التى ربطت الكوشيين والهكسوس والتى وصلت أحيانا إلى التحالف ضد مملكة [طيبة] مما كان له أثره فى نفوس أمراء طيبة وظهر هذا جليا فى حروب التحرير التى قادها هؤلاء الأمراء ضد الهكسوس. ورغم كل شىء لم يكن أمراء طيبة بمفردهم فى كفاحهم ضد الهكسوس فقد احتوى جيشهم عناصر من [مجاو] وحتى من [الكوشيين].

▪ النوبة فى عصر الدولة الحديثة وعصر الإنتقال الثالث

[١٥٥٠ – ١٠٧٠ ق.م] [١٠٧٠ – ٧٨٠ ق.م]

- بالرغم من انخفاض منسوب النيل فى النوبة فى عصر الدولة الحديثة إلا أن إدخال الشادوف قد أدى لزراعة أراضى كثيرة عالية المستوى فكانت هناك حالة عامة من الإزدهار فى النوبة. وربما وصل عدد السكان فى النوبة ٢٠ ألف شخص.
- عاش المصريون تحت حكم الهكسوس تجربة مريرة دفعتهم لمراجعة فكرتهم عن الحدود الآمنة. وبعد أن تخلصوا من القوة الأجنبية فقد حاولوا وضع استراتيجية دفاعية جديدة مبنية على توسيع الحدود المصرية مما ساعد على تكوين أول امبراطورية مصرية فى آسيا وأفريقيا. وكان لهذه السياسة الجديدة تأثيرا قويا على العلاقات المصرية النوبية. فلم ينسَ الفراعنة الجدد تحالف [كوش] مع الهكسوس ووجدوا أنفسهم مضطرين لقمع أى خطر محتمل يأتى من الجنوب. وإذا كان الفضل فى رجوع النوبة السفلى إلى مصر يرجع إلى [كاموس وأحمس] فإن الفضل يرجع لتحتمس١ فى إنهاء مملكة [كوش] وضم [كرما] والتوغل المصرى حتى

الشلال الرابع. وفى عهد حفيده [تحتمس٣] فقد أصبحت النوبة بأكملها من الشلال الأول حتى [كورو] قرب الشلال الرابع جزءا مكملا للمملكة المصرية. ومن أجل تقوية هذا النفوذ فقد بنى الفرعون مدينة [نباتا] قرب [جبل بركل] وبنى بها معبدا للإله [آمون] ولعبت هذه المدينة دورا هاما فى تاريخ وادى النيل بأكمله. وبنيت مدن أخرى مثل [عنيبة – سولب] وكانت هذه المدن بالإضافة لمدن أخرى مراكز إشعاع ثقافى للنوبة.

♦ لم تكن النوبة فى عيون حكام مصر مقاطعة حدودية يجب عليهم حمايتها بالقلاع والحصون فقط بل اعتبروها امتدادا طبيعيا للأراضى المصرية يجب أن يطبق عليها النظام الإدارى المطبق فى مصر. فكانت تحتوى منطقتين منطقة الشمال [واوات] ومنطقة الجنوب [كوش]. وقسمت كل منهما إلى خمس أقسام محلية وكان لها بدءا من الأسرة ١٨ نظاما إداريا مدنيا استمر طوال الدولة الحديثة. على رأس هذا النظام كان يوجد مسئولا يسمى [الإبن الملكى لكوش] وهو مسئولا عن كل النوبة وكان الملك يختاره من بين رجال الدولة العظماء وبين واجباته جباية الضرائب – إقامة العدالة – بناء المعابد – المخازن – حفر الآبار. وقد كان يساعده ممثلان أحدهما فى [واوات] كان يقيم فى [عنيبة أو ميعام] والآخر فى [كوش] وكان يقيم فى [أمارا]. أما بالنسبة للخمس أقسام المحلية والوحدات الإدارية الأقل فقد كانت تدار إما بحكام نوبيين أو موظفين مصريين يساعدهم هياكل إدارية وفنية ومفتشين وكتاب ومحاسبين.



خريطة لمصر والنوبة فى عصر الدولة الحديثة

♦ ولقد تطورت النوبة سريعا بفضل هذه الإدارة المنظمة وزادت مساحة الأراضى الزراعية وبنيت فى المدن الجديدة معابد كثيرة لآلهة مثل [بتاح – رع حور آختى – حورس – حتحور – خنوم] وزادت كميات الذهب المستخرجة من المناجم وبمرور الوقت فقد تمصرت النوبة من وجهة النظر الحضارية ونتج عن هذا الاستقرار النوبى زيادة البضائع المستوردة من أفريقيا مثل العاج – الأبنوس – الخشب – الصمغ – ريش النعام – جلود النمور – الأحجار شبه الكريمة وحتى الحيوانات الحية مثل المواشى – كلاب الصيد – النمور – الزرافات – القرود.

- حاول ملوك مصر تنفيذ ما يشبه الحكم الذاتى فى النوبة فاستعملوا حكاما نوبيين محليين وكانوا يرسلون أبنائهم إلى مصر للتعليم فى طيبة ثم كانوا يعودون لتولى المناصب الكبرى. واتبع النوبيون نظام ملكية الأراضى المصرى حيث تبعيتها للحكام. وأصبحت حدود الدولة حتى الشلال الرابع وانتشرت الثقافة المصرية وانتشرت معابد الآلهة المصرية وتمصرت النوبة.
- فى خلال آخر قرن من عصر الدولة الحديثة بدأ الضعف يستشرى فى مصر وفسدت الإدارة وضعفت الحكومة ودبت النزاعات بين ورثة العرش وكان طبيعيا أن ينعكس هذا الوضع على إدارة المقاطعات المصرية بما فيها النوبة فقل إنتاج المناجم وتدهورت التجارة وهجرت المدن وتفتت النظام الإدارى.
- ومع سقوط الدولة الحديثة فقد تكونت كيانات مدنية وريفية لم توحدهم إدارة واحدة وفيما يزيد على ثلاثة قرون فقد عاشت النوبة عصرا مظلما غامضا لا نعرف تقريبا عنه أى شىء. ولكن قليلا قليلا فإن شعاع ضوء لاح فى الأفق وأعلن عصرا جديدا.

■ الحقبة الكوشية [٧٨٠ – ٥٩٣ ق.م]

- على الرغم من الإنسحاب الإدارى المصرى من النوبة خلال فترة الإنتقال الثالث إلا أن الوجود الحضارى والثقافى استمر بقوة وفعالية. فى مصر انهارت المملكة والسلطة المركزية وانكفأت مصر على نفسها وسيطر الكهنة على مقاليد الأمور أما فى النوبة ففى بداية القرن ٨ ق.م ظهرت فى مدينة [نباتا] أسرة ذات جذور محلية وكان بها أشخاص أقوياء ومنهم [ألارا] الذى يعتبره أولاده وأحفاده مؤسس الأسرة وقد بدأ حكمه حوالى ٧٨٠ ق.م واستمر عشرين عاما. لقد اعتبرت مملكة نباتا نفسها الوريث الشرعى للملكة المصرية وأنها لا بد وأن تخلص مصر من انهيارها وكانت تتبنى العقيدة الدينية المصرية (أمون إله طيبة). ولهذ الحماس للتقاليد الدينية المصرية فهناك آراء أن هذه الأسرة ذات جذور مصرية نزحت إلى ليبيا أولا ثم إلى السودان. خلال حكم [ألارا] وحكم أخيه [كاشتا] الذى خلفه فى الحكم تبنت الأسرة سياسة توسعية نشطة ومدت أراضيها للشمال حتى احتوت كل النوبة العليا حتى أسوان. واتباعا للتقاليد الفرعونية فإن [كاشتا] قد نسب لنفسه ألقابا ملكية بما فى ذلك لقب [ابن الإله رع].
- ويعد [بعنخى] الذى حكم من ٧٤٧ – ٧١٦ ق.م أشهر ملوك هذه الأسرة وقد وجدت له

لوحة فى معبد [آمون بنباتا] نقش بها أحد أهم وثائق تلك الفترة. ذكر بها الحالة السيئة لمصر التى مزقت وحدتها السياسية نزاعات الأمراء فيما بينهم. ثم يصف تقدم جيشه نحو الشمال بدونه أولا ثم تحت قيادته ثانيا. ووصف المعارك التى قادها ضد أمراء الأقاليم الذين تحالفوا ضده تحت قيادة الأمير [تف ناخت] وهزائمهم المتوالية حتى دانت له مصر كلها. وبعد أن حقق النصر عاد إلى [نباتا] وبقى بها حتى موته. وتكثر بهذا النص التعبيرات التى توضح الإحترام الذى يكنه الكوشيون للجزء الشمالى من الوادى وبالأخص [طيبة] ومعبودها [آمون]. وبعض الآراء ترجح أن بعنخى هو آخر سلسلة الكهنة النوبيين فى معبد أمون بطيبة حيث كان تقليدا متعارفا عليه فى الدولة الحديثة أن يأتى أمراء النوبة إلى طيبة لتعلم الكهنوت ثم يعودون إلى نباتا لتولى الحكم والمناصب الرفيعة بالدولة وهناك أمثلة عديدة وأشهرها بانحسى فى عصر الملكة حتشبسوت وبنوت من عصر رمسيس السادس.

- وبعده قام أخوه [شباكا] بغزو مصر وإليه يعود الفضل فى تأسيس الأسرة ٢٥ والتى وضعت حدا لاضطرابات العصر الإنتقالى الثالث وأدخلت البلاد عصرا جديدا من الوحدة السياسية والاستقرار الإدارى والإزدهار الإقتصادى.

- لم يعتبر الملوك النوبيون أنفسهم غرباء عن مصر بل اعتبروها كالأم واعتبروا المصريين إخوة لهم والأدلة على ذلك كثيرة. فقد حكم هؤلاء من مدينتين قديمتين هما [ممفيس وطيبة]. وعلى الرغم من أنهم قد احتفظوا بأسمائهم إلا أنهم حملوا الألقاب الفرعونية التقليدية وتحدثوا اللغة المصرية واستخدموا كتابتها وتبنوا الأسلوب المصرى فى التلوين والنحت فى مقابرهم ومعابدهم. وقد أرادوا إحياء المجد القديم فطرقوا فى الفن موضوعات ترجع للدولة القديمة وتبنوا ديانة [رع] وجعلوا من بعض أميراتهم زوجات إلهية للإله [أمون]. وشيدوا فى معبد الكرنك مبانى جديدة وعند موتهم كانوايتبعون نفس الشعائر الجنزية مثل المصريين وكانوا يدفنون فى [نورى] فى أهرامات مع الحفاظ على بعض تقاليدهم مثل دفن خيولهم فى مقابر خاصة.

- فى عصر الأسرة ٢٥ وقعت منطقة جنوب غرب آسيا فريسة لحروب طاحنة وقد قاوم الملوك النوبيون هذه القوة الجديدة وحاولوا الحفاظ على استقلال بلادهم واشتركوا فى معارك كثيرة خلال حكم [طهرقا وتانتامانى]. ولكن لسؤ الحظ لم يستطيعوا مقاومة هذه القوة الفتية ودخل الجيش السورى [طيبة] مرتين وفى المرة الأخيرة انسحب [تانت امانى] إلى [نباتا] ولم يعد مرة أخرى إلى مصر وانتهت الأسرة ٢٥ فى

مصر حوالى ٦٦٤ ق.م.

◆ حكمت الأسرة الكوشية من [نباتا] خلال عصر آخر أربع ملوك منها وأهمهم هو [أسبالتا ٥٩٣ – ٥٦٣ ق.م]. وفى خلال حكمه أرسل [بسماتيك الثانى] جيشا إلى النوبة وهاجم الكوشيين وأعطى لمصردورها القديم وأهميتها فى النوبة حتى الشلال الثالث ويبدو أنه قد دخل [نباتا] أيضا ولكن هذه الصحوة المصرية لم يكتب لها الإستمرار طويلا. وهكذا فقد وضع الكوشيون نهاية لطموحاتهم فى الشمال وبدأوا فى تركيز جهودهم فى شئونهم الداخلية وغيروا مركز حكومتهم للجنوب فى [مروى] محافظين فى نفس الوقت على الارتباط بمدينة [نباتا] التى ظلت واحدة من أماكنهم المقدسة الرئيسية.

■ العصر المروى ٥٩٣ - ٣٥٠ ق.م

▪ المملكة المروية

◆ تقع مدينة [مروى] على الجانب الشرقى للنيل بين الشلالين الخامس والسادس فى المنطقة المعروفة حاليا باسم [بوتانا] وهى ذات مياه كثيرة وأراضى خصبة وهو ما سمح للمدينة ولسكانها بممارسة الزراعة وتربية الحيوانات. وقد مكنها موقعها من السيطرة على طريق القوافل المتجه للشرق تجاه البحر الأحمر وللغرب تجاه [كردفان – دارفور] وللشمال تجاه مصر وللجنوب تجاه وسط أفريقيا. لهذا ليس من المدهش أن تصبح [مروى] مركزا اقتصاديا حيويا منذ القرن السابع ق.م وهدفا للملوك الكوشيين حتى جعلوها عاصمة لمملكتهم تحت حكم [أسبلتا] وهكذا بدأ العصر المروى والذى استمر تسعة قرون وهو يعاصر الفترة الفارسية [أسرة ٢٧] ثم العصر المتأخر من الأسرات ٢٨ – ٣٠ والفترة البطلمية ثم الفترة الرومانية.

◆ على الرغم من أن العلماء قد عرفوا أسماء جميع الملوك الذين حكموا من [مروى] والفترة التقريبية لكل منهم إلا أن تاريخ النوبة فى العصر المروى ملىء بالفجوات وذلك لبعدها النسبى عن الأحداث التى كانت تجرى فى مصر وجنوب غرب آسيا وحوض البحر المتوسط كما أن معظم الحفريات فى المواقع المروية ما تزال جزئية ومصادر المعلومات نادرة وكذلك فإن دراسة اللغة المروية تتقدم ببطء.

◆ عند وقوع مصر تحت حكم الفرس ٥٢٥ ق.م قرر [قمبيز] احتلال النوبة ليستفيد من تجارتها المزدهرة ومصادرها الطبيعية فقام بإرسال جواسيس إلى [مروى] إلا أن

المرويين اكتشفوا الحيلة فقاموا بإرسالهم إليه مرة أخرى. فأرسل جيشا لاحتلال النوبة ولكنه هزم ولم يحاول مرة أخرى.

♦ امتدت السيطرة المروية من شمال السودان حتى مصر العليا وقد عرفت استقرارا ملحوظا وأتاحت لها تجارتها فرصة الإزدهار. وبدءا من عصر الملك [أرجامون] كان الملوك يدفنون فى [مروى] وليس [نورى] وفقدت العاصمة القديمة [نباتا] أهميتها واختلط التأثير الحضارى المصرى – على الحضارة المروية – مع مؤثرات أفريقية محلية وأخرى أوروبية جاءت عبر مصر التى كانت تخضع فى ذلك الوقت للحكام المقدونيين.

▪ النوبة فى العصر البطلمى

♦ فى بداية عصر الملك المروى [ناستيسين ٣٣٥ – ٣١٠ ق.م] دخل الإسكندر الأكبر مصر وبعد موته فى [بابيلون ٣٢٣ ق.م] آلت مصر لأحد قواده [بطليموس الأول] والذى تبدأ معه الفترة البطلمية. ولقد دخل البطالمة فى منازعات وحروب عنيفة مع بلاد حوض البحر الأبيض وتزايد الطلب على المنتجات الأفريقية من الذهب – العاج – الأبنوس – التوابل – الحيوانات الحية والتى كان يستخدم منها الأفيال كسلاح قتال. وكان البطالمة يطمحون فى وضع أيديهم على النوبة ليتقدموا نحو التجارة الأفريقية وثرواتها. طبقا لما ذكره [تيودور الصقلى] فإن [بطليموس الثانى] قد أرسل جيشا للنوبة والتى كان يسميها تيودور[إثيوبيا] ولكن هذه البعثة لم تعد عليه بالكثير فلم نعد نسمع عن محاولات بطلمية أخرى لضم النوبة بالقوة.

♦ وفى الجنوب تكونت فى نفس الوقت منطقة شبه مستقلة ارتبطت بمعبد [إيزيس] فى [فيلة] عرفت باسم [دودكاشون] والتى امتدت من جنوب [أسوان] حتى [المحرقة] حاليا. لأن البطالمة قد رسموا سياسة خاصة تتلخص فى إقامة منطقة عازلة امتدت لحوالى ١١٠ كم وشملت (دابود – تافا – كلابشة – جرف حسين – الدكة – كوبان – قورتة – المحرقة). لذلك أصبحت المحرقة هى نهاية الحدود الرسمية لمصر تحت الحكم اليونانى. لأن هذه المنطقة كانت تحت السيادة الرسمية اليونانية ولكنها تتمتع بحكم ذاتى وقد شكلت منطقة محايدة بين المرويين فى السودان والبطالمة فى مصر.

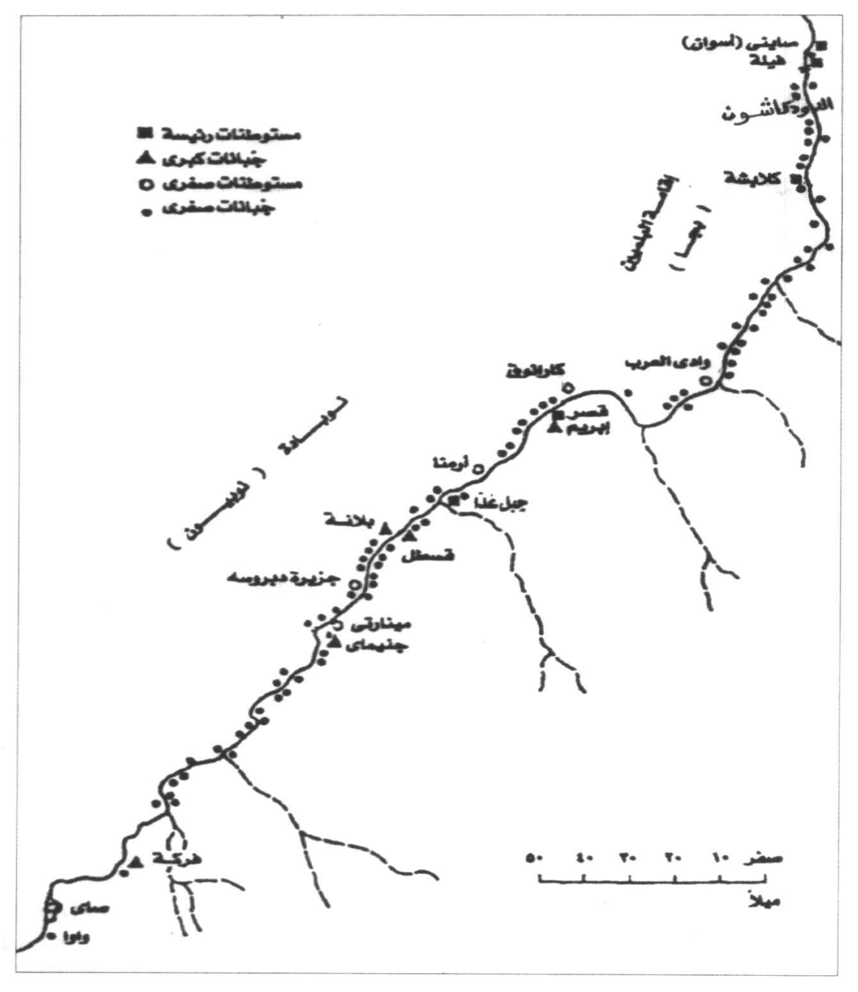
♦ ولم يخترق هذا الحياد سوى مرة واحدة تحت حكم [أرجامون ٢١٨ – ١٩٥ ق.م]. ولكنه بعد ذلك قد تشبع بالثقافة اليونانية وتوطدت صلته ببطليموس الثانى

واشترك معه فى بعض المنشآت الدينية واستمرت بعد ذلك الروابط الودية بين البطالمة والنوبيين بما فيها مملكة [مروى]. وفى عصر أرجامون كتبت اللغة المروية بطريقتين أحدهما بالأشكال اليونانية والأخرى بالأشكال المصرية.

♦ كان كهنة أمون فى نباتا يتمتعون بنفوذ كبير لدرجة أنهم إذا ما أرادوا التخلص من أحد الملوك بعثوا له برسالة يخبروه برغبة الإله فى أن ينهى حياته فما يكون من الملك المؤمن بالإله إلا أن يتناول السم بنفسه وقد تخلصوا من عدد من الملوك بهذه الطريقة وحاولوا نفس الشئ مع أرجامون إلا أن رده قد اختلف عن سابقيه.. فقد أرسل إليهم بجنوده الذين قتلوا منهم عددا كبيرا.

♦ وقد أسس البطالمة على ساحل البحر الأحمر عدد من الموانىء البحرية للتجارة مثل [برنيس – أرسينوى] بالقرب من باب المندب وقد ساهمت هذه الموانىء فى التنمية التجارية سواء المصرية أو النوبية.

♦ وقد انعكس هذا الموقف السياسى والإقتصادى على مملكة [مروى] التى ازدهرت وتطورت بها الصناعات اليدوية والخزفية وتسربت بعض السمات الأوروبية إلى الفن. ومع ذلك ظل التأثير المصرى التقليدى واضحا وبقى الإله [آمون] أو [أمانى] فى اللغة المروية هو الإله الرسمى للدولة واستقرت [إيزيس] معه على عرش واحد وأصبح معبد[فيلة] هو مزارا للحجاج النوبيين. وكانت جميع مراسم الدفن تتم طبقا للمعتقدات المصرية فكان الموتى يحنطون وكانت المقبرة تشبه الهرم. وبداية من القرن الثانى ق.م طور النوبيون شكلين من الكتابة الأولى تتكون من ٢٣ شكل وتعرف باسم الهيروغليفية المروية والثانية بها عدد أقل من الأشكال ومن المحتمل أن تكون مستوحاة من الكتابة الديموطيقية المصرية.



خريطة النوبة فى العصرين البطلمى والرومانى

▪ النوبة فى العصر الرومانى

◆ بعد هزيمة [كليوباترا] أمام [أوكتافيوس – أوجستس] ٣٠ ق.م أصبحت مصر مقاطعة رومانية وقد أدرك السادة الجدد أهمية النوبة لإمبراطوريتهم لكونها ممرا للتجارة الإفريقية ومصدرا مهما للذهب فقرروا مد سلطانهم حول منطقة [دودكاشون] التى تتحكم فى مناجم الذهب فى [وادى العلاقى].

◆ فى البداية اتفق الرومان والمرويون أن تظل النوبة تحت سيطرة المرويين ولكن توضع

تحت الحماية الرومانية.

- قامت ثورات مصرية كبيرة فى صعيد مصر [طيبة] ضد الرومان وقد ساعد النوبيون الثوار وأمدوهم بمعونات مختلفة حتى قام الحاكم الرومانى [كورنيلوس جاللوس] بإخماد ثورة طيبة ثم توجه للجنوب لمحاربة النوبيين ولكنه لم ينجح فى مهمته وتركهم على أن يعترفوا بالسلطة الرومانية عليهم.
- قام النوبيون بثورة كبرى ٢٤ ق.م وهاجموا صعيد مصر وهزموا الرومان ونهبوا جزيرة فيلة حتى طردهم بترونيوس عند الدكة وطاردهم حتى قصر إبريم واستولى عليها وطاردهم حتى نباتا ودمرها واستولى على ما فيها من كنوز وآثار.
- بعد عامين استعد النوبيون للثأر تحت حكم الملكة كانديس وتقابلوا مع الرومان عند إبريم واضطرت الملكة إلى طلب الصلح حيث أعفاهم الإمبراطور الرومانى من دفع الجزية واستمر اتفاق السلام بينهم وقام الرومان بتشييد المزيد من القلاع. (بعض المصادر تنسب الهجمة النوبية الأولى التى استولوا فيها على فيلة وأسوان إلى الملكة ذاتها وأنها فى حملتها تلك قد هاجمت الكتائب الرومانية التى كانت متجهة إلى [نباتا] واحتلت جزر [إلفنتين وفيلة] حتى أسوان وحصلت على غنائم وأسرى كثيرين وحطمت كثيرا من تماثيل [أغسطس]. ثم رد الرومان وقام [بترونيوس] حاكم مصر [٢٤ - ٢٢ ق.م] بهجمة مضادة وهزمها فى [الدكا] وطاردها للجنوب ووصل لنباتا ونهبها ثم عاد للشمال وترك حامية فى إبريم.)
- وقع الطرفان معاهدة تجعل النوبة السفلى حتى [المحرقة] تحت السيادة الرومانية بينما النوبة العليا تحت السيادة المروية وعاد السلام مرة أخرى وأسس الرومان كثيرا من القلاع والحصون والمعابد فى أماكن متفرقة مثل [دكا - كرتاسى - دبود]. أما بالنسبة لمدينة [مروى] فالسلام قد سمح لها بالدخول فى دائرة التجارة الرومانية حيث وجدت سوقا مهما للعاج والذهب والأبنوس والحيوانات الحية فازدهر اقتصادها مما أثرى حضارة البلاد ويظهر ذلك جليا فى المشغولات البرونزية والسيراميك ذات الأشكال المصرية والرومانية واليونانية. ويظهر التأثير الرومانى فى حمامات [مروى] وتيجان الأعمدة والأشكال الصغيرة من الطمى المحروق وبلغت المملكة المروية قمة مجدها فى القرن الأول الميلادى.
- ثم بدأ الضعف يدب حثيثا فى المملكة مشجعا لظهور شعبين جديدين من الصحراء هم [البليميين والنوباديين]. ويحيط الغموض الأصول الأولى للبليميين. فربما كانوا

مزيجا من عناصر إفريقية زنجية وكانت قبائلهم تنتشر فى الصحراء الشرقية حتى منطقة النيل الأبيض والأزرق وقد ذكروا للمرة الأولى فى العصر البطلمى ونشطوا شيئا فشيئا حتى أصبحوا قوة مسيطرة فى القرن الثالث الميلادى. وانتشروا فى مناطق مختلفة من النوبة وكانت لهم نشاطات عدائية ضد المصريين والحكومة الرومانية بغرض احتلال مناطق فى الجنوب فوصلوا حتى [قفط] وقريبا من [جرجا] الحالية ودفعهم الجيش الرومانى كثيرا للجنوب فاستقروا فى النوبة.

- فى عصر دقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥م أجبرت هجمات البليميين الرومان على سحب حامياتهم فى النوبة السفلى وأسوان وأصبح البليميون هم أسياد النوبة.

أما [النوباديين] فهم قبيلة ليبية وكانت تتنقل فى مناطق شاسعة من الصحراء الغربية بين [كردفان] و[دارفور] فى الجنوب و[واحة الخارجة] فى الشمال ومنهم انحدرت قبيلة [البقارة] حاليا وبمرور الوقت فقد نزلوا تجاه وادى النيل وانتشروا فى مملكة [مروى] وكان طبيعيا أن تتعارض رغبة كل منهما فى وضع أيديهم على النوبة مما أجج العداوة بينهما.

- تبنى [ديقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥ م] سياسة جديدة تقوم على فكرة [فرق تسد] بين [البليميين والنوباديين] فسحب ما تبقى من جنود رومان من الجنوب جاعلا من الشلال الأول حدود مصر الجنوبية وجعل حتى الشلال الثانى بين أيدى [النوباديين] الذين جذبهم إليه وأعطاهم أراضى فى أسوان وأغدق عليهم الهدايا ليكونوا نوعا من الصمام الذى يعزل الرومان عن [البليميين] وقد حمت هذه السياسة حدود مصر الجنوبية ولكن كانت لها نتائجها الخطيرة على المرويين ثم على الطريق التجارى لمصر الذى قطع منذ ذلك الوقت.

- ولم تتوقف متاعب المرويين عند ضغط [البليميين والنوباديين] وعند توقف تجارتهم مع مصر ولكنهم أيضا دخلوا فى منافسة مع مملكة [أكسوم] الواقعة فى شمال [إثيوبيا] والتى أصبحت فى بداية القرن الأول الميلادى أعظم سوق فى إفريقيا الشرقية وقد أقامت هذه المملكة ميناءً لها على البحر الأحمر وهو ميناء [أدوليس] والذى جذب التجارة الرومانية مع إفريقيا حتى قرب الجزيرة العربية والهند وفقدت مروى مصدرها الإقتصادى الحيوى. تجمعت كل هذه العوامل ضد مملكة [مروى] التى دخلت عصر الفوضى وحوالى ٣٥٠م هاجم الملك [أيزيناس] ملك [أكسوم] البلاد ونصب نفسه سيدا لكوش بمعنى سيدا لأراضى [مروى] وفى بداية القرن الرابع الميلادى اختفت مملكة مروى للأبد.

■ حضارة المجموعة [C] ونصرنة النوبة

من ٣٥٠م حتى بداية القرن ٦ م

♦ تجمعت العديد من العوامل التى جعلت من [البليميين والنوباديين] أسيادا لكل المنطقة وقد استمرت هذه السيادة حتى القرن السادس. من هذه العوامل انتشارهم فى النوبة منذ القرن الثالث - انسحاب الرومان خارج مصر - انحلال المملكة المروية فى منتصف القرن الرابع الميلادى. وقد عاشت النوبة فى هذه الفترة ما يعرف بحضارة المجموعة [C] والتى لم يتفق الباحثون على أصلها الأول حتى الآن وهل تنسب للبليميين أو النوباديين أو لهم جميعا. وقد كشف الكثير من أطلال هذه الحضارة فى أماكن عديدة من النوبة مثل [إبريم - كارانوج - جماى - ساى] وكانت أهم مراكزها فى [بلانة - قسطل] على ضفاف النيل جنوب أبى سمبل. وقد اكتشفت فى هذه المناطق ما يقرب من ١٨٠ مقبرة ترجع للفترة من القرن ٤ إلى القرن ٦م ومنها ما يخص ملوكا أو حكاما ومن المحتمل أن تكون عاصمة تلك الحضارة غير بعيدة عن [جبل عدّة] فى شمال [قسطل].

♦ من أسلوب دفن الموتى فى هذه المقابر يتضح أن الأفكار الدينية لأصحابها لم تختلف كثيرا عن تلك التى تخص سكان وادى النيل. فقد كان المتوفى يغطى برداء من الجلد ويوضع فى تابوت من الخشب مصحوبا بمتعلقاته الشخصية وأسلحته. واكتشفت فى المقابر صناديق خشبية مطعمة بالزجاج - أوانى زجاجية وبرونزية مثل الفوانيس - الموائد - المباخر - أسلحة - أقواس - سيوف - خناجر - أسهم ومعظم الأسلحة من الحديد. أما الدروع فكانت من جلود البقر. وفى المقابر الملكية اكتشفت تيجان من الفضة مزينة برسوم مصرية مثل العين والصقر المتوج بالتاج المزدوج وقرص الشمس والكوبرا. وتوضح هذه الآثار أن هذه الشعوب وإن كانت غير معروفة الهوية حتى الآن إلا أنهم كانوا تحت سلطة ملك واحد ينصب تنصيبا دينيا مقدسا وكانت هذه الشعوب وثنية تتعبد إما للآلهة المصرية أو المروية وكانوا متأثرين بالفنون المصرية - المروية - البيزنطية.

▪ دخول المسيحية فى النوبة

- عندما أعلن الإمبراطور البيزنطى [تيودوروس ٣٨٠ م] المسيحية ديانة رسمية للبلاد تغيرت الأوضاع فى مصر والنوبة. فبعدها بعشر سنوات منعت كل الأديان الوثنية فى الإمبراطورية وأغلقت المعابد فى مصر والنوبة بما فيها معبد [إيزيس] فى [فيلة] مما أثار [البليميين والنوباديين] واتحدوا فجأة ضد أعداء دينهم وهاجموا كل الحاميات الرومانية وأسروا كثيرا من جنودها كما هاجموا التجمعات المسيحية الموجودة فى [واحة الخارجة] واحتلوا منطقة [طيبة] منتصف القرن الخامس الميلادى وحاصروا الأديرة هناك. ورد الرومان على هذه الهجمات تحت قيادة [ماكسيموس] ممثلهم فى مصر حيث أوقع هزيمة كبرى[بالبليميين والنوباديين] وفرض عليهم معاهدة سلام كانت أهم شروطها الحفاظ على السلام لمدة ١٠٠ عام وإطلاق الأسرى الرومان ودفع الجزية ووجب على المهزومين أن يدفعوا تكاليف الحرب وإرسال أولادهم إلى [روما] كرهينة لضمان السلام ولكنهم طلبوا الإحتفاظ بمعبد فيلة وممارسة شعائرهم واستعارة تماثيل إيزيس.
- ولكن لم تستمر مقاومتهم للدين الجديد طويلا حيث وجد هذا الدين طريقه لقلوب النوبيين عن طريق بعض التجار أو بعض المسيحيين المصريين الذين وجدوا فى النوبة ملاذا آمنا من تعذيب الرومان والبيزنطيين فى عصور الإضطهاد.
- ثم قام الإمبراطور الرومانى (جستنيان) بإغلاق المعبد ونقل التماثيل إلى القسطنطسنية وسجن الكهنة. ودخلت المسيحية مصر عام ٥٧٧م وافتتح رئيس مطارنة أسوان معبد إيزيس بعد تحويله لكنيسة. وقد وجدت فى [بلانة – قسطل] بعض القطع التى توضح وصول المسيحية للنوبة منها قطع حجرية عليها صلبان أو رسوم قبطية.
- مع بداية القرن ٦م ظهرت فى النوبة ثلاث ممالك مستقلة. الأولى مملكة [نوبادى] فى المنطقة من الشلال الأول حتى الشلال الثالث تقريبا وقد أسسها [سيلكو] أما الثانية فهى مملكة [ماكوريا أو المقرة] من [دنقلة] حتى المنطقة التى تفصل الشلال الرابع عن الخامس والمملكة الثالثة [ألوديا أوألوا أو علوة] فى أقصى الجنوب فى أراضى مملكة [مروى] القديمة وكانت عاصمتها [سوبا] على النيل الأزرق فى شمال شرق [الخرطوم].
- فى نفس الوقت تقريبا كثرت بعثات المبشرين فى النوبة خاصة فى عهد الإمبراطور [جوستنيان ٥٢٧ – ٥٦٥ م] ويرجع الفضل للمبشر [يوليان أو جوليان] وهو أحد

قساوسة المذهب اليعقوبى الأرثوزوكسى فى اعتناق [سيلكو ٥٤٣ م] ملك [نوبادى] للمسيحية وربما هذا هو السبب الذى جعل ما قام به [يوليان] من إغلاق معبد [إيزيس] فى [فيلة] لا يثير أى مشاكل مما شجعه على إرسال كل التماثيل المقدسة إلى [القسطنطينية]. وقد أدى تحول [نوبادى] للمسيحية إلى إضافة عداوة جديدة بينهم وبين البليميين فاشتعلت الحروب بينهم مما أضعفهم جميعا وكانت مملكة [ألوديا] هى الثانية فى التحول للمسيحية عام ٥٨٠م وذلك فى أعقاب نشاط المبشر [لونجن] وكانت [ماكوريا] آخر ممالك النوبة فى التحول للديانة الجديدة.

♦ ولكن هذه الممالك لم تتفق فى عقيدتها الجديدة فبينما اعتنقت كل من [نوبادى وألوديا] المذهب القبطى المصرى الذى يؤكد الطبيعة المقدسة للمسيح فإن مملكة [ماكوريا] قد تبنت المذهب البيزنطى الذى يؤكد الطبيعة البشرية والمقدسة للمسيح. ومن الطبيعى أنه مع انتشار المسيحية فى النوبة فإن المعتقدات الوثنية قد اختفت ومعها شواهد حضارة المجموعة [C] وبدأت مع المسيحية فترة جديدة وعرفت النوبة فى القرن ٨ – ٩ فترة من الرخاء الكبير.

♦ وانتشرت الكنائس والأديرة فى كل النوبة والتى بنى بعضها على الطراز البيزنطى وقد اكتشف فى [إبريم] أطلال كنيسة يعود تاريخها للنصف الثانى من القرن ٥م ووجد بها بقايا من البردى وجلود الكتابة البيضاء بها نصوص قبطية تعود للفترة من القرن ٥ – ١٠م وقد كانت [إبريم] مقرا للبطرياركية النوبية فى ذلك الوقت. وقد تحولت كثير من المعابد جزئيا أو كليا لكنائس مثل معابد [فيلة – دندور – تافا – بيت الوالى – جرف حسين – وادى السبوع – عمدا].

♦ بدءا من القرن ٨م تزينت حوائط بعض الكنائس ببعض الرسومات الجميلة الدقيقة بها بعض المؤثرات القبطية والبيزنطية والسورية. وأفضل مثال لذلك كنيسة [فَرَس] التى تحتوى ١٦٩ منظرا منها ميلاد المسيح – الصلب – موضوعات مستخرجة من الكتاب المقدس – تمثيلات للمسيح – العذراء – الملائكة – القديسين – بعض الملوك النوبيين. ومن الطبيعى أن تختلف العادات الجنائزية المسيحية عن مثيلتها الوثنية. فمقابر المسيحيين أصبحت أكثر اعتدالا ورقة وكان المتوفى يدفن فى تابوت بدون أن يدفن معه أى متعلقات شخصية أو قرابين أما رجال الدين فقد كانوا يدفنون فى ملابس الرهبان أو الكهان ومعهم صلبانهم وربما أيضا بعض الأوانى التى تحتوى ماء البركة.

■ النوبة فى العصر الإسلامى ٦٤١ - ١٥١٧ م.

♦ عرف العرب المسلمون النوبة منذ ٦٤١م حينما دخلوا مصر تحت قيادة [عمرو بن العاص] وقد أدرك القائد العربى أهمية حدود مصر الجنوبية ولم يتأخر فى إرسال حملة تحت قيادة [عبدالله بن سعد بن أبى سرح] الذى واجه مقاومة متماسكة من جانب المملكة النوبية ولم ينجح فى أى شىء فى حملته.

♦ بعد عشر سنوات وتحت خلافة سيدنا [عثمان بن عفان] تقدم [عبدالله بن سعد] مرة أخرى للنوبة حينما عين حاكما لمصر وتقدم حتى [دنقلة] ولكنه واجه أيضا مقاومة قوية وكانت المواجهات عنيفة ومن أجل عدم إراقة مزيد من الدماء فقد وقع الجانبان معاهدة [البقط] وهى معاهدة سياسية وتجارية فى آن واحد وقد اشترطت ألا يهاجم أحد الطرفين الطرف الآخر وأن ترسل النوبة كل عام عددا محددا من العبيد مقابل جزء من المصادر الزراعية المصرية وقد ظلت مطبقة حتى العهد الإخشيدى. والبقط هى كلمة عربية مأخوذة من التعبير العربى [فى الأرض بقط] أى نبذ من مرعى بمعنى نبذ من المال وتسمية المعاهدة بهذا الاسم فيه إشارة إلى كميات القمح والعدس والمحصولات المصرية الأخرى التى يأخذها النوبيون مقابل ٣٦٠ رأسا من السبى كما ذكر فى المصادر العربية.

♦ وهكذا ضمن المسلمون لبعض الوقت أمن حدودهم الجنوبية وانفتحت البلاد لتجارتهم ولكن الأهم أن المعاهدة قد سمحت للإسلام بالدخول للنوبة وقد توغلت مجموعات عربية كثيرة للنوبة ووصلت حتى [ماريس] فى منطقة وادى حلفا وكانوا يشترون من النوبيين الأراضى التى كانوا يتركونها لأبنائهم وأحفادهم.

♦ وتحت حكم [العباسيين وولاتهم ٧٥٠ – ٨٦٨ م] أصبح الوجود العربى فى النوبة أكثر أهمية حيث أن بعض القبائل مثل [قحطان – رابية – مضر – قريش] أصبحت تملك بعض الأراضى هناك. وعندما وصل الخليفة [المأمون] لمصر فإن الملك النوبى أرسل وفدا يشكو للخليفة أن بعضا من هذه الأراضى تخص مواطنيه وأن قيامهم بالبيع لاغ ويجب أن ترد هذه الأراضى إليه. وقد حسم البائعون الأمر مؤكدين أنهم ليسوا عبيدا وإنما أشخاص أحرار يرتبطون بملكهم بنفس الرابط الذى يربط المسلمين بحاكمهم ولذلك فلهم حق البيع.

♦ حينما أسس [أحمد بن طولون ٨٦٨ – ٩٠٥ م] الدولة الطولونية بمصر فقد أرسل حملة

لبلاد النوبة تحت قيادة [عبد الرحمن عبد الله ابن عبد الحميد العمرى] الذى أوقع بالملك النوبى [جورج الأول] هزيمة كبيرة وأخضع قبائل [البجاى] التى لم تكن تتوقف عن مهاجمة أسواق البلاد.

- فى عصر [الدولة الإخشيدية ٩٣٤ – ٩٦٩ م] غزت النوبة الحدود الجنوبية لمصر ووصلت لواحة الخارجة فى عام ٩٥٠م ومدينة أسوان ٩٥٦م وقتل كثير من المسلمين وهذا ما دعى [أنوجور ابن الإخشيد] لإرسال حملة بسرعة والتى هزمتهم ووصلت حتى [إبريم] ثم عاد لمصر ومعه عدد كبير من العبيد من الرجال والنساء. وقد استفاد النوبيون من المشاكل الكثيرة التى اتسمت بها فترة حكم [كافور الإخشيد] فى مصر ففى عقب المجاعة التى نتجت عن الفيضان الضعيف هاجموا الصعيد ووصلوا حتى [إدفو].
- عند قيام [الدولة الفاطمية ٩٦٩ – ١١٧١ م] فى مصر أرسل الفاطميون إلى الملك النوبى [جورج الثانى] طالبين منه احترام بنود اتفاقية [البقط] وبدأت القبائل العربية فى الاستقرار فى النوبة وبدأ كثير من النوبيين فى التحول للإسلام. وشهدت الفترة الفاطمية ميلاد إمارة عربية قوية والتى كان على رأسها [أبو مروان بشير ابن اسحاق] من قبيلة [الرابية] وقد جعل من أسوان مركزا لإمارته ومد نفوذه حتى [مريس] جنوب العلاقى. واختلط العرب من هذه القبيلة مع النوبيين وتزوجوا بنات رؤسائهم واستفادوا من نظام الميراث النوبى. لأن النوبيين قد اعتادوا تبنى نظام الوراثة الأمومى فى العصر المسيحى واستطاع العرب من خلال هذا التزاوج تحويل النوبيين تدريجيا إلى الإسلام دون اللجوء إلى الأسلوب الكلى المباغت. وبمرور الزمن تكونت طبقة جديدة هى التى حكمت النوبة.
- وقد ظهرت قوة هذه الإمارة حينما طلب الخليفة من الأمير [أبو المكارم هبة الله] أن يساعده فى القضاء على التمرد الذى قاده [أبو ركوة] ضد الفاطميين. ونجح فى آسر [أبى ركوة] وكمكافأة له فقد منحه الخليفة لقب [كنز الدولة] ولذلك أطلق على قبيلة [الرابية] اسم [بنى كنز] ومنهم جاءت قبائل الكنوز التى تعيش بين [أسوان] والمنطقة التى تمتد من [إبريم] حتى [كورسكو] كما سيأتى تفصيلا. وشيئا فشيئا فقد قوى المسلمون فى النوبة وتمتعوا بحرية عقيدة كاملة ومارسوا شعائرهم وأعيادهم بدون إكراه.
- على الرغم من انشغال [صلاح الدين الأيوبى] مؤسس [الدولة الأيوبية ١١٧١ – ١٢٥٠ م]

بالحروب ضد الصليبيين فى بلاد الشرق فإنه لم ينس النوبة. فقد أرسل حملة تحت قيادة أخيه الأكبر [شمس الدولة] من أجل إخضاع النوبة وقد حاصر مدينة وقلعة [إبريم] ودخلها واستقر بها بعض الوقت ثم عاد لمصر محملا بكثير من الغنائم. وبعدها بعام تفجرت الإضطرابات بين الأيوبيين و[كنز الدولة] الذى قتل مما اضطر بنى كنز لمغادرة [أسوان] ولجأوا للجنوب حيث امتزجوا أكثر مع النوبيين.

- فى عصر [المماليك البحرية والشراكسة ١٢٥٠ – ١٥١٧ م] تم إرسال حملة للنوبة لاحتلال ميناء [سواكن] ولكن الملك النوبى [داود] كان متحمسا وأرسل جيشه لمحاربة المماليك ورد السلطان [بيبرس] بشن حملة عقابية والتى خلالها هزم [داود] وجيشه بالقرب من [دنقلة] عام ١٢٧٦م واضطر للهرب إلى [ألوديا] فى النوبة العليا وقد نصب بدلا منه ابن أخيه [شيكندا] كملك للنوبيين والذى قبل أن يكون مخلصا للسلطان المملوكى وأن يدفع الجزية له. وكانت تلك المرة الأولى فى العصر الإسلامى التى يعين فيها ملك نوبى بواسطة سلطان مصر والمرة الأولى التى يدفع فيها النوبيون الجزية. وهذا يعنى أن النوبيين قد أصبحوا رعايا الدولة الإسلامية وأنهم قد قبلوا بما فى ذلك التمتع بالحقوق التى تعطيها الدولة الإسلامية لرعاياها. وقد أسس السلطان [بيبرس] فى مصر وزارة تسمى [ديوان النوبة] كانت مسئولة عن إدارة شئون المنطقة. ثم توالت الحملات للنوبة والتى كان يرسلها سلاطين المماليك الوحد تلو الآخر حتى وصل الأمر أنهم أصبحوا يعينون الملوك النوبيين ويعزلونهم سواء فى النوبة العليا أو السفلى.

- فى حكم السلطان [ناصر محمد ابن قلاوون] لجأ أحد أمراء النوبة وهو [صانبو ابن أخ داود الأول ١٣٠٥م] إلى مصر واعتنق الإسلام وسمى نفسه [عبدالله] وقد أرسله السلطان على رأس جيش للنوبة لتأديب الملك [كيربيس] ونجح فى هزيمته فعلا فعينه السلطان حاكما للنوبة. وقد اغتيل فيما بعد على يد قبيلة [بنى كنز]. وهذا الاغتيال دفع السلطان لإرسال حملة أخرى نجحت فى الوصول للسلام فى النوبة وفى وضع الملك [كيربيس] مرة أخرى على العرش بعد أن اعتنق هو ورعيته الإسلام. وهكذا فقد اختفت الجزية مما يعنى أن الإسلام قد انتشر فى كل ربوع النوبة وبحلول القرن السادس عشر فقد حل الإسلام بوجه كامل بدلا من المسيحية.

■ النوبة فى العصور الحديثة

♦ يبدأ تاريخ النوبة فى العصر الحديث مع الغزو التركى لمصر ١٥١٦ – ١٥١٧م بعد انتصار السلطان العثمانى [سليم الأول] على المماليك فى معركتى [مرج دابق والريدانية] ومع نهاية العصر المملوكى أصبحت مصر والنوبة خاضعتين للسيادة التركية.

■ حُكم الكُشّاف للنوبة

♦ كان العثمانيون بداية من ١٥١٧م يقيمون القلاع ويتركون الحاميات فى النوبة وأغلب جنود هذه الحاميات كانوا من مناطق كالأناضول والبلقان من الأكراد والألبان أو البوسنيين (البوشناق) والمجريين. وقد وجدت الحاميات الكبرى فى إبريم (البوشناق والمجريين) وجزيرة صاى (الأكراد). اختلط جنود هذه الحاميات بالسكان الأصليين وأصبحوا حكاما لبلاد النوبة باسم السلطان العثمانى. استمر حكم الكشاف لمدة ثلاثة قرون واتبعوا سياسة تزاوج مع بنات وجهاء النوبيين وأغنيائهم وتزويج أبنائهم على نفس الطريقة وكان للكاشف زوجات عديدات ولكنه لم يجمعهن فى حريم داخل قصر واحد وإنما أبقاهن فى قراهن للإشراف على ممتلكاتهن. وكان الأبناء يتلقون التعليم والتدريب اللازم لجمع الضرائب من الأهالى. امتد حكم الكشاف من بلاد الكنوز إلى بلاد المحس (من أسوان لشمال السودان) وإن كان مركز الحكم فى مناطق الفاديجا من كورسكو حتى جنوب الشلال الثانى لكونها المناطق الخصبة. وكان مقر الكاشف الكبير فى عمودية (الدر).

♦ تركت الدولة الكشاف ليتدبروا أمورهم فى النوبة وبمواردها المحلية مقابل ضريبة سنوية فى نظام مشابه لنظام الملتزم الذى كان متبعا فى مصر ومشابه لعلاقة الوالى العثمانى فى مصر بالخليفة العثمانى فى العاصمة. ولقد عانى النوبيون من الضرائب الباهظة التى فرضها عليهم الكشاف وقد هاجرت قرى بأكملها فى بدايات القرن القرن ١٩م إلى دارفور وهذا هو السبب فى انتشار اللغة النوبية فى تلك المناطق.

♦ بعض قرى الكنوز الشمالية ونتيجة لقربها من مركز الحكم المصرى فى أسوان كانت تقف أحيانا فى وجه الكشاف ولا تدفع الخراج أو تدفع أقل منه كما أن عرب العليقات كانوا جيدى التسليح ولهم علاقات تجارية قوية فكانت تتم معاملتهم بشكل أفضل. وكان بين الكشاف ما يشبه مراكز القوى مثل أغا إبريم

الذى فرض سيطرته على المنطقة من جنوب الدر حتى توشكى وأغا جزيرة صاى الكردى الذى كان يتحكم فى شمال بلاد المحس فى شمال السودان.

♦ ومما يظهر نفوذهم أنه فى بداية القرن ١٩م كان الخراج السنوى الذى يدفعه الكشاف للقاهرة حوالى ١٨٠ بويتل (عملة عثمانية تساوى مائة قرش مصرى) فى حين كان ما يتحصل عليه الكشاف من الضرائب المفروضة على النوبيين تعادل ٤٠٠ بويتل أى أنهم يتحصلون على أكثر مما يدفعونه للدولة. وكانوا يستغلون جزءا من قوتهم المالية فى تجارة الرقيق بين مصر والسودان. وكان حكم الكشاف أحد أسباب فقر النوبة التى كانت محدودة الموارد الطبيعية.

♦ رغم قوته فلم يصمد حكم الكشاف أمام المماليك الفارين من محمد على فبعد هزيمة المماليك أمام إبراهيم باشا فى شمال النوبة ١٨١١م زحفوا نحو الدر واستولوا على قلعة إبريم ١٨١٢م واستولوا على ١٢٠٠ بقرة وأغنام كثيرة وأموال كفدية للأغا والسكان ثم أكمل المماليك زحفهم نحو الجنوب حيث استقروا فى (دنقلة) وكونوا دولة قوية عدادها ٥٠٠ فارس مملوكى بالإضافة للعبيد المسلحين بالرماح بينما احتفظ المماليك لأنفسهم بالبنادق. ولكن دولتهم لم تستمر أكثر من تسع سنوات انتهت بفتح السودان ١٨٢٠م ودخولها فى حوزة مصر تحت حكم محمد على.

♦ تابع النوبة فى العصر الحديث

♦ حين ضعفت الدولة العثمانية منذ بدء القرن ١٨م عادت قوة المماليك للصعود وأخذوا يتحكمون فى تعيين حكام الأقاليم بما فيها النوبة مرة أخرى(التى يحكمها الكشاف فى ذلك الوقت). وبمنتصف القرن اشتد الصراع بين السلطة التركية وبين الأمراء المماليك. وبين المماليك بعضهم البعض وظهر هذا جليا فى الصراع بين [إبراهيم بك ومراد بك ١٧٧٥ – ١٧٩٨م]. واستمر هذا الوضع حتى وصول الحملة الفرنسية على مصر.

♦ مع دخول [نابليون بونابرت ١٧٩٨م] مصر بدأت صفحة جديدة من تاريخ مصر والنوبة وبوجه أعم إفريقيا فهى أول حملة أوروبية فى العصر الحديث توجه للعالم العربى والإسلامى. وقد حضر معها علماء مزودون بالوثائق ومجهزون بالأدوات. وقد درسوا المناخ والطبيعة والحيوانات والسكان وعادات البلاد وزاروا صعيد مصر والنوبة. وقد احتوى مؤلفهم [وصف مصر ١٨٢٢م] على دراسة للنوبة والنوبيين قام بها [كوست] الذى حدد موقعها بين مصر ومملكة [سنار] وتحدث عن السكان الذين ميزهم عن

جيرانهم فى مصر أو فى الجنوب [زنوج سنار] وكذلك القبائل البدوية التى كانت تحيط بهم فى الصحراء فى شرق وجنوب النيل. وقد وصف وسائل اتصال النوبيين وتجارتهم مع مصر المبنية على نظام المقايضة وذكر خضوعهم للسلطة العثمانية فقد كانوا يدفعون للسلطان ضرائب على النمور والعبيد الذين يشترونهم من قبائل [سنار] ولم يتاجروا أبدا فى العبودية من أبناء جلدتهم. وقد وصف حياة النوبيين وعاداتهم وعلاقتهم الطيبة بجيرانهم وأمانتهم وإخلاصهم وارتباطهم بالإسلام وكذلك ملابسهم ولغتهم التى قارنها باللغة العربية ولكنه لم يتوقف كثيرا عند مقارنتها باللغات واللهجات الإفريقية الأخرى. وتكمن أهمية هذه الدراسة أنها كشفت النوبة للعلماء الأوربيين الذين كانوا يجهلونها تماما.

- وقد استمر توافد الرحالة والمكتشفين على النوبة بعد الحملة الفرنسية. ومن الدراسات تلك الخاصة بالرحالة السويسرى [ج.ل. بوركاردت] المسماة [رحلات فى النوبة] والتى ظهرت فى [لندن ١٨١٩م] فبعد وصوله لمصر ١٨١٢م قد وصف عدد كثير من الآثار والمعابد النوبية وتحدث عن أصل النوبيين وحياتهم.

- وبعد وصول[محمد على باشا ١٨٠٥ م] لحكم مصر بدأ فى احتلال السودان وأصبحت النوبة [سنار وكردفان] تخص مصر منذ ١٨٢٠ - ١٨٢٣م. وكشف المؤرخون أسباب ضمه للنوبة منها رغبته فى تقييد النوبيين والسودانيين فى الجيش المصرى لشهرتهم بالشجاعة والصبر والولاء. وقد كان يريد أن يتخلص من الجنود الذين بقوا معه بعد غزوه لشبه الجزيرة العربية ومن المماليك الذين كانوا يلجأون للنوبة بعد مذبحة القلعة وأخيرا كان يتمنى وضع يده على الذهب النوبى.

فقد تقدم بنفسه على رأس جيش عام ١٨١٥م حتى[دنقلة] وقضى على المماليك الموجودين هناك وأعلنت النوبة خضوعها لمصر وتقدم مرة أخرى عام ١٨٣٨م ونجح فى إحلال السلام فى النوبة والصعيد واعتبر المصريون السودان والنوبة جزءا مكملا لبلادهم ووصلت حدود مصر حتى جزيرة [صاى].

- وبعد حروب محمد على ضد السلطان العثمانى وتدخل الدول الأوروبية من خلال اتفاقية [لندن ١٨٤٠م - فيرمون ١٨٤١م] ولتأكيد ارتباط مصر بالسودان فقد أصبح كلا من شمال الوادى وجنوبه مقاطعات تركية. وقد عانت النوبة والسودان من هذه الإتفاقية لأنهم اعتبروا كرعايا لمصر وقد أتى كثير من المكتشفين والرحالة والتجار والمغامرين الأوروبيين للنوبة للإستفادة من بنود هذه الإتفاقية. وفى عهد [إسماعيل ابن

محمد على] توافد الباحثون والتجار على النوبة لشراء العبيد والعاج.

- حين اندلعت ثورة [المهدى] فى السودان أصبحت النوبة ميدانا للمعارك بين الثوار وبين الجيش المصرى تحت القيادة الإنجليزية. ووضعت معركة [توشكى] نهاية للثورة فى أغسطس ١٨٨٩م ثم حاولت [إنجلترا] استعادة [دنقلة] وباقى السودان. ووضعت المعاهدة المصرية الإنجليزية نهاية لحالة الحرب فى ١٩ يناير ١٨٩٩م ولكنها لم تكن فى صالح الجانب المصرى السودانى حيث ظلت إنجلترا الحاكم الوحيد للسودان والمستغل لمصادره. وأيضا لم تكن فى صالح الوحدة السياسية النوبية حيث أنها قسمت البلاد إلى النوبة العليا أو السودانية التى تمتد حتى السودان والنوبة المصرية أو السفلى التى تمتد من الحدود السودانية حتى أسوان.
- فى عام ١٩٠٢م تم بناء سد أسوان أو ما يطلق عليه الخزان الذى أقلق علماء المصريات وأرسلت مصر بعثة أثرية لعمل حفريات فى جميع المواقع التى تهددها المياه وتمت عمليات بحث أثرى شامل شارك فيه [ريزنروفيرث]. ثم كان [إمرى] مسئولا عن البعثة الثانية عندم تقرر تعلية الخزان.
- فى ٣ نوفمبر ١٩٣١م تم اكتشاف مقابر [قسطل وبلانة]. ثم تم بناء السد العالى على بعد ٧ كم جنوب سد أسوان ووجهت [اليونسكو] فى [٨ مارس ١٩٦٠م] نداءً لإنقاذ آثار النوبة واستجابت المنظمات والمعاهد العلمية. وهكذا تضافرت الجهود ونجحت فى إنقاذ هذه المعابد العظيمة التى سوف يتم الحديث عنها.

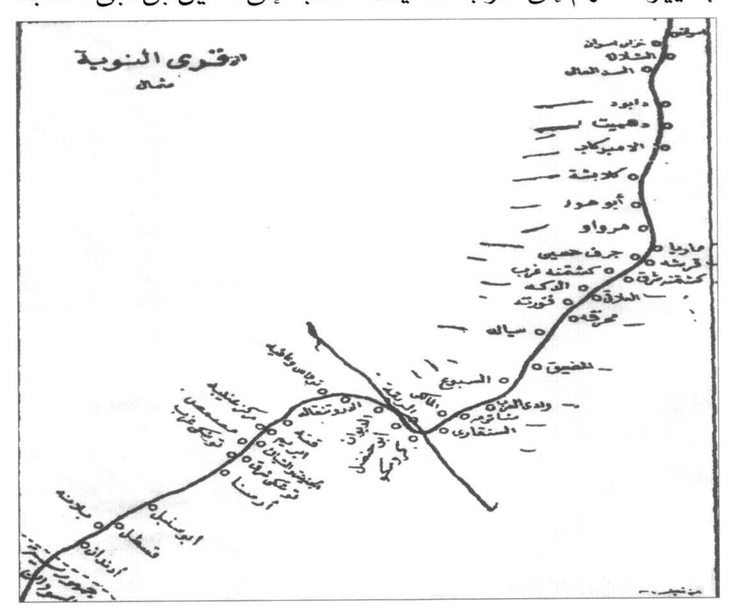
ثم غمرت مياه بحيرة ناصر أراضى النوبة القديمة وتم تهجير سكانها إلى [كوم امبو] ٤٧ كم شمال مدينة أسوان وتم الإحتفاظ بمعظم أسماء القرى النوبية القديمة فى هذا المكان الجديد.

الكنوز والفاديجا والعرب

- فى الفترة التى سبقت التهجير إلى مواقع جديدة كانت قرى النوبيين تمتد من الجندل أو الشلال الأول حتى الجندل الخامس وكانت هذه القرى تقع على ضفاف النيل وجغرافيا كان الشريط ينقسم إلى قسمين الأول النوبة السفلى من أسوان حتى القرب من وادى حلفا والنوبة العليا من الشلال الثانى وتمتد نحو الجنوب. والنوبة السفلى كانت تضم قرى الكنوز من دابود فى الشمال حتى السبوع فى الجنوب والتى تمتد لمسافة ١٥٠ كم وتضم نحو ١٧ قرية ونجع وكانت لهم لهجتهم الخاصة وهى الماتوك

أو الماتوكية. من حوالى الكيلو ١٤٥ حتى الكيلو ١٨٤ كانت تقع منطقة وادى العرب والتى تمتد حتى كورسكو لمسافة حوالى ٤٥ كم وكان ينحدر سكانها من أصول عربية (عرب العليقات) وهم وإن كانوا يتحدثون اللغة العربية إلا أنهم نوبيون ثقافيا واجتماعيا وكان عدد القرى الخاصة بهم هو ستة قرى.

- عرب العليقات أو العقيلات. كانوا قد استقروا فى تلك المناطق فى أواسط القرن السابع عشر كجماعات بدوية تشارك فى خفارة الطريق التجارى بين مصر والسودان عبر أودية كورسكو ثم استقر بعضهم فى الجيوب الصغيرة على النيل لممارسة الزراعة وتنظيم القوافل التجارية للسودان التى كان ينافسهم فيها العبابدة حتى عصر محمد على حيث تم تقسيم التجارة بينهم. فى أثناء الحملة المهدية كان عرب العليقات يقومون بدور أدلاء الصحراء بينما كان العبابدة جمّالة الجيش المصرى. وكانت توجد على قمة جبل كورسكو طابية صغيرة كان يستعملها الجيش المصرى للمراقبة تحسبا لأية تحركات معادية وكانت قمة هذه الطابية ما تزال موجودة على صفحة مياه بحيرة ناصر حتى وقتٍ قريب وكان الصيادون يحسبونها مئذنة مسجد غارق. فى الثلاثينيات من القرن الماضى طالب عرب العليقات بتغيير اسمهم إلى عرب العقيلات نسبة إلى عقيل بن أبى طالب.



خريطة لقرى النوبة المصرية قبل التهجير

♦ للجنوب من هذه المجموعة كانت تقع قرى الفاديجا والتى تمتد جنوبا نحو مائة كم حتى تصل لقرية أدندان قرب الحدود السودانية. وعدد قراها كان ١٩ قرية. أما النوبيون الذين يعيشون فى أقصى الجنوب [فى السودان] من وادى حلفا حتى دنقلة فيطلقون على أنفسهم وعلى اللغة التى يتحدثونها لفظة [محس] وهى لغة شديدة الشبه بلغة الفاديجا الذين يجاورونهم فى الشمال وتعتبر مناطق المحس امتدادا للفاديجا. أما مناطق الدنقلاويين فكانت تقع جنوب مناطق المحس وتتطابق لغتهم مع لغة الكنوز فى أقصى الشمال.

♦ وهناك قرى نوبية تقع فى مناطق متفرقة حول مدينة أسوان مثل قرى [غرب أسوان – جزيرة أسوان – جبل تقوق – منشية النوبة – سهيل – غرب سهيل – الخزان – الكرور – الشلال – تِنقار – امشير].

ملاحظة هامة:- سكان هذه القرى لم يُهجَّروا من قراهم لأنها تقع للشمال من خزان أسوان وسوف تتضح أهمية هذه الملاحظة فى الفصل التالى.

■ هناك اختلاف كبير حول [أصل الكنوز والفاديجا] وسوف نستعرض بإيجاز مجمل هذه الآراء:

- أن أصل كلمة الكنوز يرجع إلى الكلمة المصرية القديمة [كنست] وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على الكنوز.

- أن لفظة كنز أو تاكنز كانت تطلق فى العصر القديم على جزيرة فى النيل عند الشلال الأول وأن معنى الكلمة فى اللغة المصرية القديمة [أرض القوس] وأن كل فرد من أفراد الجزيرة يدعى كنزى مما يشير إلى مهارتهم فى رمى الأقواس وأطلق عليهم العرب رماة الحدق.

- أن أهل المحس والفاديجا ينحدرون من مملكة نباتا وأن الكنوز والدنقلاويين هم أهل ماكوريا.

- أن الكنوز وليس المحس والفاديجا ينتمون إلى نباتا الذين رحلوا عن كردفان فى فترة مبكرة واستقروا فى إحدى واحات الصحراء عام ٢٩٧م عندما أمر الإمبراطور ديولستيان أهل نباتا بإخلاء الصحراء والاستقرار فى النوبة.

- أن أصل الكنوز يرجع لقبيلة البجا التى سيطرت على أسوان فى القرن ١٠م ثم أحكموا سيطرتهم على منطقة النوبة الشمالية وفى القرون التالية قام الأيوبيون

والمماليك بطردهم إلى بلاد النوبة التى أصبحت معقلهم.

- أن الكنوز أصبحوا نوبيين عن طريق الزواج بأهالى النوبة حيث قام أهالى بنى كنز بعقد معاهدة مع ماكوريا واتخذوا زوجاتهم من أهلها المسيحيين الذين كانوا يتحدثون المحس واعتاد أهالى بنى كنز الذهاب إلى دنقلة حيث تزوجوا من أهلها وأتوا بزوجاتهم إلى ماكوريا حيث قامت الزوجات بتعليم اللهجة الدنقلاوية لأطفالهن.
- أن كلمة كنزى عربية الأصل دخيلة على اللهجة المعروفة للكنوز الذين ينتمون إلى قبائل أولاد كنز ومن بطون أبوطوفان وبنى ربيعة واستوطنوا فى منطقة النوبة وينسبون إلى أبى المكارم وهبة الذى أطلق عليه الفاطميون لقب [كنز الدولة] لوقوفه أمام الممالك النوبية المسيحية.
- أن الكنوز ينحدرون من أصل الأنصار الذين ينتمون إلى العرب وهم الذين ناصروا الرسول [ص] فى دعوته وبشروا بالإسلام فى الوجه القبلى والنوبة وهم من بطون ربيعة وجهينة.
- يرى جمال حمدان أن فكرة انتماء الكنوز إلى أصل عربى يجانبها الصواب فالكنوز هم نوبيو مصر القدامى.
- الرأى الغالب أن الكنوز من أصل دنقلاوى ولكنهم اختلطوا وامتزجوا بالقبائل العربية الأخرى من خلال النسب والمصاهرة. فالقرن الرابع عشر الميلادى قد شهد قيام النوبيين من ذوى السلطة بتزويج أخواتهم للشيوخ العرب وذلك بهدف دعم علاقاتهم بالقبائل العربية القوية وهم بذلك قاموا بتسليم سلطانهم للعرب لأن أطفالهم لم يصبحوا مسلمين فقط بل وفقا للقوانين النوبية انتقلت إليهم الإمارة والألقاب والأراضى من أخوالهم ومن ثم ورثوا عرش ماكوريا. ولذلك فإن الدماء الأفريقية والعربية امتزجت فى دماء الكنوز ومما يؤكد ذلك هو التباين فى لون البشرة والشعر والسمات الشخصية.
- يطلق على الكنوز لفظة ماتوكى وهى كلمة يستخدمها أفراد الفاديجا ومعناها الوافدون من الشرق.
- لا يوجد كثير من الجدل حول أصل مجموعة الفاديجا. يرى جمال حمدان أن الفاديجا مهاجرون جدد إلى مصر فهم أصلا جماعة [المحس والسكوت] الذين لجأوا إلى الشمال هربا من اضطرابات المهدية فى القرن ١٩م وأقاموا فى جنوب

النوبة المصرية حيث اسمهم الجديد فديجا تعنى ببساطة [سنهلك] أى أنهم هاربون من هلاك محقق ولذلك يعتقد أن هذا الاسم لا يرجع أبعد من الحركة المهدية.

■ التهجير

▪ التهجير فى النوبة المصرية

♦ قام الإنجليز ببناء سد أسوان أو الخزان [سير ويليام ويلكوك] ١٩٠٢م ثم تم تعلية الخزان مرتين بعد ذلك [١٩١٢ – ١٩٣٤م]. وأخيرا تم بناء السد العالى فى عهد الرئيس المصرى جمال عبد الناصر وبتعاون روسى بداية من ١٩٦٠م وحتى تم افتتاحه رسميا ١٩٧١م. وقد نتج عن ذلك عدة تهجيرات للسكان النوبيين من قراهم وديارهم. أول هذه الهجرات ١٩٠٠م عندما غرقت ١٠ قرى نوبية ورحل السكان إلى البر الغربى وعدد من محافظات مصر وتكرر الأمر عند تعلية الخزان ففى التعلية الأولى غرقت ٨ قرى وفى التعلية الثانية غرقت ١٠ قرى. وقد كانت جملة التعويضات التى تكلفتها الحكومة المصرية آنذاك ١,٧٠٠٠٠٠ جنيه مصرى.

♦ وكانت الهجرة الكبرى عندما تقرر بناء السد العالى وقد تم مسح لأعداد القرى والنواحى والممتلكات وطبقا لهذه الإحصاءات الرسمية فالنوبة الحديثة المصرية كانت تنتظم فى ٣٩ قرية وناحية وبلغ سكان هذه الوحدات ٩٨٦٠٩ نسمة منهم ٤٨٠٢٨ يعيشون فوق أرض النوبة والباقى من يطلق عليهم مغتربون.

صدر قانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٢م بنزع ملكية الأراضى التى سوف تغمرها مياه البحيرة التى سوف يكونها السد العالى.

وصدر قانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٦٥م الخاص بالتعويضات.

♦ أفادت عملية المسح أن مساحة الأرض الزراعية فى النوبة ١٥ ألف فدان تروى منها ٤ آلاف فدان بآلات رى خكومية مؤقتة وتروى ٧٥٠ فدان بطلمبات رى ثابتة وبعض المساحات الأخرى كانت ترويها السواقى ووسائل أخرى فلم تكن كل الأراضى مزروعة كما سيتم توضحيحه فى الفصل التالى.

وتم اختيار صحراء وادى كوم امبو شمال أسوان لتهجير سكان النوبة المصرية.

وأعلنت خطة التهجير بتوزيع الأراضى الزراعية وتوزيع المساكن وتأسيس خمسة مصانع إنتاجية منها مشاريع تجميع الألبان وتجفيف البلح وتعطين الكتان وصناعة السكر.

وكان على الجميع أن يخلى أرض النوبة قبل ١٥ مايو ١٩٦٤م وهو موعد ارتفاع المياه فى البحيرة الجديدة.

♦ قدرت الحكومة المصرية تكاليف المشروع بـ٢٥ مليون جنيه مصرى منها ٢٠٠٠٠٠ تعويضات خسائر النوبيين و٢٥٠٠٠٠ مصاريف إدارية و٤٦٢٠٠٠ تكاليف حصر الممتلكات. أما إصلاح ١٥ ألف فدان فى وادى كوم امبو فقد تكلف ٧.٥ مليون جنيه وتكاليف إقامة المساكن كان ١.٨٤٥٠٠٠ جنيه.

وطبقا لما ذكر فى الصحف والمصادر الرسمية آنذاك فإن ثمن أرض النوبة كان ٢.٢ مليون جنيه وأن البيت النوبى المهجور سيكون ثمنه ٧٥ جنيه وأن ثمن فدان الأرض النوبية الخصبة ١١٠ جنيه وثمن نخيل البلح جنيهان للواحدة والساقية بالبئر وجهاز رفع المياه تساوى ٢٠ جنيه وكان عدد السواقى ١٠٠٠ ساقية.

♦ بدأ الرحيل إلى وادى كوم امبو فى أكتوبر ١٩٦٣م وعدد من هاجر فعليا آنذاك ٦٧٩٩٩ نسمة وتشير تقديرات أخرى إلى خمسين ألف نسمة. وتم التهجير على أساس التقسيم إلى مقيمين ومغتربين وتم نقل المقيمين إلى ٤٢ قرية أعطيت جميعها أسماء القرى النوبية الأصلية.

♦ ذكر أن عدد المدارس قبل التهجير كان ٢٤ مدرسة وبعد التهجير أصبحت ٧٦٠ مدرسة وبنى فى مركز ناصر النوبة [نصر النوبة فيما بعد] ٥ مستشفيات و٥٣ وحدة صحية وثلاث مراكز لصحة المرأة و٥ نقاط إسعاف ومستشفى مركزى واحد ومستشفى حميات و٣٨٥٢ منزل.

▪ **التهجير فى النوبة السودانية**

♦ أكثر من خمسين ألف مواطن نوبى سودانى كان عليهم أن يرحلوا من قراهم وقد كانوا يسكنون فى ٢٥ ناحية وقرية ومركز فى جزء يمتد من الحدود حتى حوالى ١٦٠ كم جنوبا. وقد قبلت الحكومة السودانية بتعويض قدره ١٥ مليون جنيه نظير غرق ٥٠ نجعا من القرى المحيطة بمنطقة حيفا التاريخية.

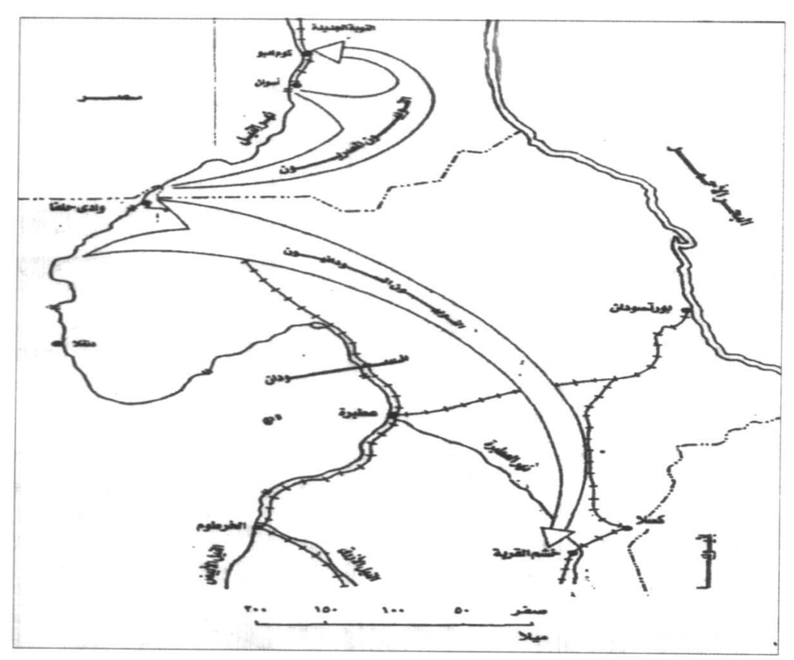
♦ وقد اختارت الحكومة السودانية منطقة [خشم القربة] فى الشرق بجوار سد عطبرة لتكون وطنا بديلا لهم. ومن مياه خزان عطبرة يمكن استصلاح واستزراع وإنتاج مساحات كبيرة وقد كان اختيارا موفقا على الرغم من أنها تبعد كثيرا منطقتهم الأصلية حلفا.

♦ وكان يناير ١٩٦٤م هو تاريخ مغادرة أول فوج وكان عددهم ١٢٠٠ مهاجر. وبلغت المساحة التى خصصت لهم حوالى ١٨٠ ألف فدان. وقامت الحكومة بتنفيذ خطط الإسكان والمرافق والطرق والمياه والكهرباء وأطلقت عليها [حلفا الجديدة]. وكانت كل قرية تتسع لما يزيد عن ٢٥٠ عائلة وخصصت الحكومة ١٥ فدان لكل أسرة ومساحة المسكن حوالى ٣٥٠ متر مربع بالإضافة لحديقة.

♦ هناك عشرة آلاف مواطن فى وادى حلفا رفضوا التهجير وفضلوا البقاء بجانب النيل وقد أبلغتهم السلطات بأعلى مستوى ستصل إليه المياه فى بحيرة ناصر وهو ١٨٢ متر. وبناء على ذلك تم تحديد منطقة [خور موسى باشا] ليبنوا فيها مساكنهم ويزرعوا بلا خوف من الفيضان. وتبعد هذه المنطقة عن حلفا حوالى ١٢ كم.

وسارعت الحكومة بتقديم خدمات إضافية للمقيمين فى خور موسى باشا وأسست مشروعات خدمية على مساحة ١٥٠٠ فدان يتخذه المواطنون وسيلة فاعلة للإعاشة.

♦ **ملاحظة:** - الحديث عن التهجير يرتبط ارتباطا وثيقا بالفصل التالى وبالفقرات التى تتحدث عن الأنشطة الإقتصادية فى النوبة وبعض الحقائق المنسية عن التهجير.



خريطة مناطق التهجير فى النوبة المصرية والسودانية

الفصل الثانى

ملامح الحياة فى قرى النوبة قبل التهجير

- السكان
- اللغة النوبية
- النشاط الإقتصادى
- القرى والمنازل
- المعتقدات الدينية والشعبية
- الموت وطقوس الحداد
- تقاليد الزواج
- الأغانى النوبية
- المسألة النوبية.. وجهة نظر

بعد ما يقرب من مرور ستين عاما على بناء خزان أسوان تغيرت الحياة فى النوبة تماما وتبنى النوبيون قيما جديدة نتجت عن هجرتهم بحثا عن العمل وعندما أعلن عن بناء السد العالى كان الكثير منهم فى حالة مزاجية تسمح بقبول فكرة التهجير ولكن أسلوب الحياة فى النوبة القديمة والعادات والتقاليد والتراث الغنائى واللغوى والعقائدى، كل ذلك أصبح مهددا بالإندثار مما دفع بعض البعثات العلمية المهتمة بحفظ التراث النوبى للقيام بالعديد من الرحلات الميدانية من عام ١٩٦٠ – ١٩٦٣م حين بدأت عملية التهجير الفعلية وكان الغرض هو تسجيل ملامح الحياة هناك قبل أن يطأها النسيان وقد نشر الكثير من نتائج هذه المحاولات وفى الفقرات التالية سأحاول أن أعرض موجزا لأهم هذه الملامح ويجب أن يتذكر القارئ دائما أن ما أتحدث عنه هو النوبة فى ذلك التاريخ.

▪ السكان

اتفقت معظم الآراء أن عدد النوبيين فى العهود القديمة لم يزد عن بضعة آلاف وربما بلغ هذا العدد ٢٠ ألفا فى عهد الدولة الحديثة التى تم فيها إدخال الشادوف إلى النوبة. وتشير الأبحاث أن النوبة السفلى {المصرية} كانت شبه مهجورة لفترة طويلة تزيد عن ٩٠٠ سنة منذ حوالى ١٠٠٠ ق.م وحتى حوالى ١٠٠ ق.م وهو ما يعرف بالفجوة الكبرى وكان ذلك بسبب هبوط فى مستوى النيل مما جعل الزراعة شبه مستحيلة خاصة أنهم كانوا يعتمدون على الشادوف ولم تكن الساقية معروفة بعد. وفى العهد الرومانى تم إدخال الساقية فى بلاد النوبة فعادت تلك الرقعة للإمتلاء فى القرون الأولى بعد الميلاد بل وتضاعف عدد السكان الذى كان موجودا فى الدولة الحديثة. غير أن تلك الفجوة التاريخية أثارت العديد من التساؤلات عما إذا كان السكان الذين استوطنوا النوبة بعدها ينحدرون من نفس سكان العصور القديمة أم لا؟

وفى العصر الحديث وقبل التهجير مباشرة بلغ تعداد النوبيين ٩٨٦٠٩ نسمة وكانوا مقسمين إلى:

- سكان مقيمين بالكامل فى النوبة وبلغ عددهم ٤٨٠٢٨ نسمة
- سكان مهاجرين جزئيا وبلغ عددهم ٢٦٦٣٧ نسمة وهؤلاء كانوا يعملون خارج النوبة

ولهم عائلات مقيمة فى النوبة يعودون إليها من وقتٍ لآخر.

- ♦ سكان مهاجرين بصفة دائمة خارج النوبة وبلغ عددهم ٢٦٧٥٦ نسمة.

وكانت هذه الأعداد سواء المقيمين أو المهاجرين مقسمة بين الكنوز فى الشمال {من دابود حتى السبوع لمسافة ١٥٠ كم فى ١٧ عمودية} والعرب فى المنتصف {وادى العرب لمسافة ٤٠ كم فى ستة عموديات} والفاديجا فى الجنوب {من وادى العرب حتى أدندان لمسافة ١٠٠ كم فى ١٩ عمودية} على النحو التالى:

- ♦ المقيمون – الكنوز وبلغ عددهم ٢٠٠٤٦ شخص

عرب العليقات وبلغ عددهم ٥٨٤٦ شخص

الفاديجا وبلغ عددهم ١٣٥٧٣ شخص

- ♦ المهاجرون جزئيا – الكنوز وبلغ عددهم ١٣٤٧٢ شخص

عرب العليقات وبلغ عددهم ٢٩٧٩ شخص

الفاديجا وبلغ عددهم ٧٠٨٦ شخص

وطبقا لهذه الإحصاءات وغيرها من الإحصاءات الأخرى التى تمت عام ١٩٦٣م أمكن استخلاص بعض النتائج الهامة:

- تأثير هجرة العمل التى يقوم بها الرجال على التركيب النوعى للسكان سواء هجرة مؤقتة أو دائمة ومن أثر ذلك انخفاض نسبة الذكور بين المقيمين وارتفاع نسبتهم بين المهاجرين وفى بعض الحالات ارتفعت نسبة الذكور بين المقيمين {٤٤٪} من المجتمع كان سببه وجود الأطفال بنوعيهما مع أمهاتهم وكذلك عودة كبار السن من الرجال إلى قراهم بعد تجاوز سن العمل. بصفة عامة يمكن القول إن نسبة الذكور إلى الإناث فى مجتمع النوبة القديم تنخفض كثيرا إلى ٣٧٪ وهذه كانت الصفة الأساسية التى اتصف بها مجتمع النوبة فى الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٦٣م لذلك يمكن القول أن النوبة كانت مجتمعا طاردا لسكانه حتى قبل التفكير أو الشروع فى بناء السد العالى مثله فى ذلك مثل كل مجتمعات الجنوب فى ذلك الوقت وكانت نسبة هذه الهجرة أو الطرد تختلف حسب نسبة الغنى والفقر. وكانت المناطق كثيرة العمران هى التى تظهر فيها التربة الفيضية ويمكن زراعتها سواء بعد الفيضان أو باستخدام أدوات الرى بالرفع مثل الشادوف والساقية والطلمبات. وتراوحت تلك المناطق بين جيوب فيضية صغيرة المساحة أو سهول ذات امتداد معقول.. فى المنطقة

الشمالية من دابود إلى كلابشة والمنطقة الوسطى من المضيق إلى كورسكو تظهر تلك الجيوب الصغيرة والتى كانت غالبا مصبات الأودية والأخوار وهى تزرع بعد الفيضان ومساحات صغيرة جدا منها تزرع بالرى بعد انخفاض مستوى المياه.

♦ المناطق السهلية الغنية تركزت فى ٣ مناطق:

الصغرى حول مصب وادى العلاقى وسهل الدكة أمام هذا المصب وأقصى اتساع لهذا السهل كان من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ متر.

المنطقة الكبرى الممتدة من الدر إلى عنيبة وتوشكى على ضفتى النهر.

المنطقة الثالثة بلانة – أدندان فى أقصى الجنوب وكانت تزرع بالسواقى والترع القصيرة الممتدة من ضفة النيل شرقا وغربا.

♦ المناطق الفقيرة هى قليلة أو منعدمة العمران وتركزت فى ثلاث مناطق أساسية:

المنطقة من المحرقة إلى كورسكو حيث تشتد الوعورة وتقترب الحافة الهضبية.

المنطقة الثانية من أرمنّا إلى أبى سمبل على كلتا الضفتين حيث تتراكم غطاءات الرمال بكثافة من جنوب توشكى شرق وغرب إلى أبى سمبل وكان يسكنها قبيلة بدوية تسمى الجراريش وكان قوام حياتهم الأساسى هى دلالة الطريق وكان أحدهم هو دليل الرحالة الشهير بوركارديت فى رحلته إلى أبى سمبل ثم إلى بلاد المحس.

المنطقة الثالثة جنوب بوابة كلابشة إلى جرف حسين وهى مناطق تلال صخرية. وبصفة عامة يمكن القول أن الفاديجا كانوا أسعد حظا لغنى بلادهم زراعيا نسبيا مقارنة بأماكن الكنوز والعليقات التى كانت أفقر لضيق السهل الفيضى وتداخل الحافات الصخرية مع الأراضى الزراعية باستثناء بعض المناطق مثل عمودية دهميت حيث تتراجع الحافة الصخرية فى الشرق ويتسع السهل الفيضى نوعا ما.

وبصفة عامة فالنوبة فى مجملها كانت مجتمعا سكانيا طاردا ويمكن إرجاع ذلك إلى:

♦ الطبيعة الجغرافية الوعرة لبلاد النوبة وضيق الوادى وضآلة السهل الفيضى مقارنة بالوادى فى الشمال.

♦ بناء خزان أسوان وتعليته أكثر من مرة مما أغرق أجزاءً من السهل الفيضى الذى كان بطبيعته ضيقا ومحدودا.

▪ اللغة النوبية

هناك خطأ شائع وهو تسمية اللغة النوبية باللهجة النوبية لأن مصطلح اللهجة دائما ما يشير إلى وجود لغةٍ أم تتفرع منها لهجات عدة وعدم وجود طريقة لتدوين النوبية فى العصر الحالى لا ينفى كونها لغة ولها أبجديتها وقواعدها ووثائقها. والثابت علميا أن اللغة النوبية قد مرت بمرحلتين مهمتين:

◆ المرحلة الأولى هى اللغة النوبية القديمة والتى تميزت فيها بمعرفة الكتابة والتدوين وقد كانت لغة موحدة تدل على ذلك المخطوطات والوثائق المحفوظة فى عدد من متاحف العالم.

◆ المرحلة الثانية هى اللغة النوبية الحديثة والتى تميزت بظهور عدة لهجات تفرعت عن تلك اللغة الأم مثل الكنزى – الفاديجا – السيكود – المحسى – الدنقلاوى وغيرها.

وأحيانا تقسم إلى قسمين رئيسيين:

الكنزى – الدنقلاوى {أوشكير}.

الفاديجا – السيكود – المحسى {نوبين}.

لأن كل مجموعة منها ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا. وهناك العديد من الوثائق والمخطوطات ببعض المتاحف كالمتحف البريطانى تقطع بوجود اللغة النوبية بأبجديتها المستقلة فى فترة العصر المسيحى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى. بعد دخول الإسلام للنوبة مع بدايات القرن الثالث عشر الميلادى توقفت الكتابة بها واستقرت بعد ذلك كلغة منطوقة تتناقلها الأجيال.

ولا يعنى هذا أن بداية التدوين كان فى العصر المسيحى ولكن هذا يعنى فقط أن الوثائق الموجودة بالفعل ترجع لهذا التاريخ. وفى القرن الماضى أشارت الدراسات بقوة إلى وجود هذه اللغة المكتوبة منذ عصر الدولة الحديثة وما تلاها من عصور ودليل ذلك احتواء اللغة النوبية حتى الآن على بعض الكلمات المصرية القديمة والتى تشير طريقة نطقها إلى زمن انتقالها من اللغة المصرية إلى النوبية فى الدولة الحديثة. ◆ كان للنمساوى {ليورانيش} والألمانى {ريتشارد ليبسيوس} الفضل فى وضع بدايات الدراسات النوبية الحديثة الخاصة باللغة حين قاما بكتابة مؤلفين عن اللغة النوبية الحديثة فى نهاية القرن ١٩م بعد أن جمعا قصصًا من الأدب الشعبى من أماكن نوبية مختلفة وأضافا قاموسًا بالكلمات التى وردت بتلك القصص.

◆ فى عام ١٩٠٦م قام الألمانى {كارل شميث} بشراء مخطوط على جلد الغزال لحساب

متحف برلين وبمعاونة الألمانى {هاينريش} والكاتبين السابقين تمكن من التعرف على بعض الكلمات النوبية وقراءة النص قراءةً أولية.

- فى عام ١٩٠٩م قام الإنجليزى {واليس بَدج} بنشر مخطوطين باللغة النوبية دون نشر ترجمةٍ لهما وهما من مقتنيات المتحف البريطانى.
- فى عام ١٩١٣م قام الإنجليزى {جريفيث} بجمع كل النصوص النوبية القديمة من المتاحف الأوروبية وترجمتها واستخراج قواعد اللغة والتراكيب اللغوية وأضاف لمؤلفه قاموسًا بالمفردات.
- فى عام ١٩٢٨م قام الألمانى {إيرنيست تسيلارتيس} بتنقيح المرجع السابق ووضع الكتاب الأول الشامل لقواعد اللغة النوبية القديمة كما قام بجمع ونشر كثير من نصوص النقوش اليدوية الغير فنية {جرافيتى} التى كانت منتشرة بأماكن مختلفة بالنوبة.
- فى منتصف الستينات من القرن الماضى قام الإنجليزى {مارتن بلوملى} والأمريكى {جيرالد براون} بنشر مجموعة من المخطوطات النوبية القديمة التى عثر عليها فى قصر إبريم والتى توجد الآن بالمتحف القبطى بالقاهرة.
- لقد أخذ النوبيون أغلب حروف أبجديتهم عن الأبجدية القبطية وبالتالى عن اليونانية القديمة. وكما فعل المصريون عندما أضافوا للأبجدية اليونانية ستة أو سبعة حروف أخذوها من الكتابة الديموطيقية، فقد أضاف النوبيون بعض الحروف للأبجدية اليونانية التى لم تكن تغطى كل الأصوات التى ينطقونها. وعدد حروف الأبجدية النوبية ٢٦ حرف منها ١٩ حرف ساكن و٥ حروف متحركة ويضيفون إليها حرفين يطلق عليهما نصف متحرك وهما يعبران عن الواو والياء.
- هذا بخصوص اللغة النوبية التى ترجع للعصر المسيحى والتى يوجد لها بعض الوثائق أما اللغة التى كانت توجد فى عصور سابقة كالدولة الحديثة فلا يوجد رأى قاطع عن طريقة تدوينها وعما إذا كانت تستخدم العلامات المصرية أم لا وإنما تتفق الآراء فقط على وجود طريقةٍ ما كانت تكتب بها هذه اللغة.
- فى مملكة مروى وفى القرن ٣ ق.م (عصر أرجامون) كانت هناك اللغة المروية وكانت تكتب بطريقتين أحداهما بالكتابة المصرية الديموطيقية والأخرى باليونانية.
- نخلص من هذا أن اللهجات المختلفة التى يتحدث بها النوبيون اليوم فى مصر أو فى السودان إنما هى لهجات متفرعة عن اللغة النوبية القديمة.

▪ النشاط الإقتصادى

♦ قبل بناء سد أسوان ١٩٠٢م كان الفيضان صيفا يغرق السهل الفيضى وتنحسر المياه عنه فى الشتاء مما يتيح زراعته وكانت هناك محاصيل شتوية أغلبها من البقوليات ومحاصيل صيفية مثل الذرة والشعير وكانت مساحات الأرض المزروعة محددة بالقدرة على رفع المياه. فقبل السد كان النشاط الزراعى مركزا فى الشتاء أما بعد سد أسوان أصبح موسم الفيضان هو موسم المياه المنخفضة فى النوبة بين يونيو وأكتوبر حين يتم فتح بوابات الخزان للمياه لحاجات الزراعة فى الأراضى المصرية شمالا وترتب على ذلك أن أصبح الصيف هو موسم الزراعة الرئيسى فى النوبة قبل أن تغطى مياه الخزان معظم الأراضى المنخفضة.

♦ قبل الخزان كانت الزراعة النشاط الأهم مع تربية بعض الحيوانات. صيد الأسماك كان قليلا ولم يكن يتناسب مع الثروة السمكية التى كانت على بعد خطوات من القرى. كان هناك صناعة الفحم النباتى وخدمات التجارة الداخلية وتصدير بعض المنتجات خارج النوبة مثل البلح والأعشاب البرية ذات الإستخدامات العلاجية.

فى الفترة من ١٩٣٣ – ١٩٦٣م كان الإقتصاد النوبى يعتمد على مصادر خارجية وأخرى محلية.

♦ المصادر الخارجية كانت تتمثل فى عدد المهاجرين جزئيا وما كانوا يرسلونه من أموال وهدايا عينية لأهلهم فى النوبة وسبيل المثال فقد بلغت قيمة التحويلات الواردة إلى عمودية كورسكو من نوفمبر ١٩٦١ – أكتوبر ١٩٦٢م أى فى عام:

تحويلات العاملين فى مصر كانت ١٩١٢ جنيها.

تحويلات العاملين فى السودان بلغت ٧١٣ جنيها.

المجموع ٢٦٢٥ جنيها.

وكان فى عمودية كورسكو ٤٠٨ نسمة طبقا لتعداد ١٩٦٠م منهم ٢٤٧ يعملون بالخارج منهم ١١٩ فى مصر و١٢٨ فى السودان. وكان هذا المبلغ فى وقت كان سعر شجرة السنط يبلغ من ١٠ – ١٥٠ قرش ويبلغ سعر فدان الأرض الزراعية فى النوبة حوالى ٣٥ جنيها.

♦ الموارد المحلية أصبحت قليلة وتمثلت فى:

الزراعة التقليدية مع تربية بعض الحيوانات المنزلية.

القليل من صيد الأسماك – النقل النهرى – عمل الفحم النباتى – التجارة الصغيرة – بعض المهن كالنجارة والحدادة.

- وبسبب الهجرة من النوبة فقد أضيفت النساء كقوة عمل فى الزراعة فى معظم مناطق الكنوز وعرب العليقات وبعض مناطق الفاديجا بالإضافة لقدوم بعض الصعايدة للعمل فى الزراعة. وكان البشارية والبدو يقومون بشراء قش المحاصيل لترعاه إبلهم وأغنامهم والمساعدة فى نقل بعض المنتجات من الوديان الجبلية إلى قرى النوبة أو أسوان. وعلى الرغم من انضمام النساء للعمل فى الزراعة واشتراك الصعايدة كقوة عمل إلا أن هذا لم يكن كافيا لزراعة ما كان متاحا من أراضٍ زراعية.
- ملاك الأراضى الزراعية فى النوبة كانوا لا يشكلون أكثر من ٤٣٪ من مجمل الأسر و٥٧٪ من الأسر لا تملك أرضا وكان أكثر الملاك من الفاديجا وأكثر من لا يملكون أرضا من الكنوز وذلك للأسباب الطبوغرافية التى سبق الإشارة إليها.

الأرض الزراعية (القابلة للزراعة) فى النوبة عام ١٩٦٣م كانت كلآتى:

- زراعة المنافع وهى الأراضى التى يزرعها الأهالى بعد انحسار المياه عنها وهذه الأراضى كانت الحكومة قد عوضت الأهالى عن خسارتها فتم الإتفاق أن يزرعها الأهالى مقابل حق انتفاع.
- ما يسمى بأراضى المشروعات التى هيأت الدولة زراعتها بعد عام ١٩٣٣م وذلك حين أقامت ١٣ محطة طلمبات للرى منها ٦ طلمبات يمكن أن تروى ٤١٠٠ فدان ريا نيليا و٧ محطات تروى يمكن أن تروى ٧٥٠٠ فدان ريا مستديما وبلغت مساحة أرض المشروعات ١١٦٥٠ فدان. وكان مشروع بلانة من أكبر المشروعات ومساحته ٢٢٠٠ فدان ومشروع الدكة ٦٢٥ فدان.
- أراضى {العِلو} الواقعة فى بعض المناطق مثل العلاقى والدكة والمضيق والتى كانت توجد خلف ما يسمى بجسور الوقاية أى لا تغطيها المياه وبلغت مساحتها ٢٠٠٠ فدان.
- والمفاجأة فى هذه الأرقام أن ما كان يزرع من هذه المساحات لم يتجاوز الربع والسبب هو هجرة الأيدى العاملة أى أن النوبيين قد بدأوا الهجرة قبل بناء السدود وبعد بناء سد أسوان قفز عدد المهاجرين إلى نصف السكان (على الرغم من توفر الأراضى الزراعية ولكنها كانت تحتاج إلى فلاحة شاقة) ونصف هذا النصف كان قد انقطع تماما عن النوبة بحلول الستينات أى أنهم قد فضلوا الهجرة عن زراعة تلك الأراضى.
- **أدوات الرى والزراعة:-** كانت الساقية الى أدخلت للنوبة فى العصر الرومانى من أهم أدوات الرى وكانت تصنع من أشجار السنط وأفلاق النخيل وقد يشترك فى ملكية الساقية الواحدة عدة أُسَر ومعها كان يوجد الشادوف الذى يستخدم لرى الأشجار المثمرة أو الخضروات الشتوية ذات المساحات المحدودة جدا. أما أدوات

الزراعة فكان أهمها الفأس أو الطورية كما يسمونها – الجرّافة وهى من الخشب لتسوية الأرض – الواسوق من الخشب أيضا وكان لإقامة الجسور الطينية داخل الحوض الزراعى – المنجل.

- **طقس الحصاد:-** كانوا يمارسون طقوسا للإحتفال بالمحصول الجديد عن طريق ذبح أضحية من الماعز تسمى {عتوت} وهو حيوان يتم اختياره وتعليمه من الصغر حتى لا يؤذيه أحد حتى وقت الحصاد ومن لا يستطيع الذبح كان يخرج بسخاء من محصول العام الماضى للأهل أو لمن لا يملك أرضا.
- **المحاصيل الرئيسية:-** الذرة وكانت تزرع على الجروف الملاصقة للنهر أو الأخوار العميقة – اللوبيا والكشرنجيه (أو الكشرنجيج) كانا يزرعان فى الأراضى الداخلية – بين المساحتين كانت تترك مساحة تنمو فيها أعشاب برية.
- **الثروة الحيوانية:-** كانت تتمثل فى الماعز والأغنام وبلغت تلك الثروة عند الحصر ٨٧٠٠ رأس – الحمار كان هو حيوان الركوب الوحيد وتراوح أعداده بين ١٠ فى القرى الصغيرة ويصل ١٠٠ فى القرى الكبيرة وكان يستخدم أيضا لنقل المحاصيل من الحقول للبيوت – الإبل كانت ملكا لعشائر البادية من العبابدة والبشارية – لم يكن للخيول وجود فى النوبة فى تلك الفترة الحديثة.
- صيد السمك لم يكن من الأنشطة الرئيسية فى شمال النوبة لأسباب عقائدية حيث اعتقدوا أن النبى يونس قد ابتلعته أحد أنواع الأسماك {الحوت} وأصبح عندهم صيده شبه محرم. وكان هذا الإمتناع يتلاشى كلما اتجهنا جنوبا لذلك كان أهل الصعيد هم من يقومون بالصيد فى بلاد النوبة فى الفترة من إبريل حتى نهاية الصيف وكان معظم هؤلاء من قوص ونجع حمادى بقنا ومن أبنوب بأسيوط. كان لكل مجموعة منطقة محددة يصطادون فيها ويعرفهم أهل المنطقة وكانوا يستخدمون المراكب ذات المجاديف وكل مركب بها أربعة أفراد اثنان للتجديف واثنان للصيد.
- صناعة الفحم النباتى كانت من الحرف الجانبية التى يقوم بها أهل الصعيد وتبدأ بشراء أشجار السنط من الملاك حسب عمر وحجم الشجرة التى يتراوح ثمنها من عشرة قروش إلى ١٥٠ قرش. تجار الفحم كانوا من أسوان والصعيد ويتفقون مع بعض الصعايدة على تقطيع الأشجار وعمل الفحم.
- المهن الصغيرة الأخرى مثل النجارة والحدادة والخياطة كان يقوم بها أشخاص قليلون موزعون فى قرى متباعدة بحيث يخدم الواحد منهم عددا من القرى المجاورة وأحيانا

عدد من العموديات.

- وسائل الإنتقال. كان النيل هو وسيلة الإنتقال الأولى وكان هناك خط ملاحى بين الشلال الأول ووادى حلفا تسير فيه السفينة {إكسبريس} و{سفينة البوستة} التى تخدم كل القرى النوبية مرة كل أسبوع وهى متجهة للشمال ومرة أخرى وهى متجهة للجنوب وكانت هى وسيلة الإنتقال ونقل البضائع والسلع والبريد والتحويلات المالية. تتوقف سفينة البوستة شهرين هما يونيو ويوليو. وكانت هناك أيضا الصنادل المسماة {الدلتا} والتى تعمل فى النقل النهرى بين مصر والسودان وسفينة وزارة الصحة التى كانت عيادة متنقلة تتوقف فى أماكن معينة للخدمات الصحية وكانت هناك لنشات أهلية أما المراكب الشراعية الصغيرة فكانت للإنتقال بين القرى القريبة أو للإنتقال بين الشرق والغرب.

■ القرى والمنازل

- ♦ كانت المساكن النوبية تأخذ شكل تجمعات يطلق عليها نجوع أو قرى وكل مجموعة كانت تكون عمودية ويستخدم مصطلح القرية لأن أساس قيام السكن فى الماضى كان الزراعة. بعض العموديات كانت تشمل عددا قليلا من النجوع فمثلا الدر وقسطل كان لكل منها سبعة نجوع وبعض العموديات الأخرى كان لها عدد أكبر مثل بلانة التى شملت ٢٧ نجع. كانت النجوع منتشرة ومبعثرة تأخذ نمط السكان فى الوديان الجبلية وبعضها كانت قرى طويلة تمتد بحذاء النيل الذى كان الطريق الرئيسى الذى يلم شتات النجوع والقرى. كانت مراكز الثقل فى العموديات هى القرى التى تشمل المسجد الكبير ومكتب البريد ومحطة الباخرة النيلية الإسبوعية {البوستة}.
- ♦ كانت {أمبركاب} هى أطول العموديات التى امتدت لنحو ١٩ كم على ضفتى النيل وبها ٣٩ نجع من نجوع الكنوز. بلانة كانت أكبر عموديات الفاديجا وعمودية المالكى أكبر عموديات العليقات وبه ١٨ نجع.
- ♦ مناطق الكنوز كثرت بها ألسنة المرتفعات والأرض الوعرة مع كثرة الخيران مما أدى لفواصل كبيرة بين النجوع كانت تصل لمئات الأمتار. كانت الفواصل بين نجوع الفاديجا صغيرة لا تزيد عن بضع عشرات من الأمتار لتركز الأراضى السهلية.
- ♦ إذا كان سد أسوان قد تسبب فى غرق أجزاء من السهل الفيضى فإنه قد أعطى الفرصة للتوسع فى العموديات والبيوت لأن قبل السد كانت تلك البيوت والتجمعات

تتكدس داخل السهل الفيضى وكانت تبنى من اللبن وكانت مساحاتها صغيرة جدا ولكن بعد أن هاجرت تلك القرى لمناسيب أعلى بعد ١٩٣٣م أصبحت المساحات فى الأراضى غير قابلة الإستخدام واسعة وخامة البناء الحجرية متاحة فأصبحت البيوت أرحب مما كانت والنجوع أكثر امتدادا عن ذى قبل.

- السبب فى انخفاض نسبة المهاجرين فى الفاديجا بصفة عامة يرجع إلى اتساع السهل الفيضى أكثر منه فى مناطق الكنوز.
- الهجرة النوبية بدأت فى نهايات القرن التاسع عشر أى قبل بناء سد أسوان وسبب ذلك ارتفاع نسبة السكان حيث بدأ السهل الفيضى يضيق بساكنيه. فالهجرة النوبية أصبحت قدرا محتوما حتى وإن ظلت الأوضاع كما كانت قبل السدود وكانت تلك الهجرة ستصبح مرحلة طبيعية فى التطور العمرانى الحديث لأى مجتمع مغلق بفعل الطبيعية الجغرافية الوعرة والإفتقار إلى الظهير الطبيعى خلف القرى الذى يمثل عادة المكان الذى يسمح بالتمدد السكانى.

■ المنازل

- فى ستينات القرن الماضى كانت البيوت النوبية فى معظمها مبنية من الحجر الرملى ومغطى بطبقة من الطمى والرمال وبعضها مطلى بالجير الأبيض كما فى بعض عموديات الكنوز وبعضها غير مطلى بالجير ويأخذ نفس لون الصخور الداكنة حولها.
- فى الشمال {الكنوز} تميزت المنازل بالأسقف القبابية أو الأسطوانية فلم تكن هناك زوايا الجدار والسقف الأفقى مما جعل تلك المنازل شديدة التناسق مع الصخور المحيطة وكلما تم الإتجاه للجنوب قلت هذه الأسقف القبابية وكانت تقريبا غير موجودة للجنوب من العلاقى حيث تسود الأسقف المسطحة. بعض البيوت خاصة المطلية باللون الأبيض كانت تزينها رسومات نباتية من الزهور والأغصان والطيور وكان الأزرق والأصفر والأحمر أكثر الألوان استخداما. بعض البيوت كانت محاطة بأسوار يصل ارتفاعها لثلاثة أمتار ولكل سور بوابة خشبية كبيرة وأعلى هذه الأسوار كانت هناك زخارف من الجبس تأخذ شكل المثلثات والغرض الأساسى للأسوار كان الحماية من حيوانات الصحراء أو التماسيح بالنسبة للمنازل التى اقتربت من النهر.
- معظم البيوت تشابهت فى تخطيطها ويتوسطها الحوش الواسع وفى أحد أركانه مكان مسقوف وداخله سرير واحد للجلوس وكان هذا المكان يسمى السبيل وهو

استراحة لاستقبال النساء. أما المزيرة فكانت مكان داخل المنزل مسقوف ومفتوح الجوانب لتبريد المياه وبها الأزيرة الفخارية. حجرات النوم بسيطة وبها سرير للنوم وصندوق لحفظ الملابس ومنضدة صغيرة. أفلاق النخيل وجريده وسعفه وأعواد الذرة والبوص كانت المواد الأساسية للأسقف.

- معظم المنازل مزينة بأطباق الخوص والسلال والرسومات الوردية والشعاليق المتدلية من الأسقف ذات الألوان الذاهية وكانت من الصوف وهى لحفظ الأطعمة أما حجرة المطبخ فبها عدد من الأزيرة الفخارية من الصعيد لتخزين المؤن الغذائية مثل اللوبيا والتمر والدقيق والذرة وعدد من الأوانى النحاسية والفخارية الأخرى. المواقد {الكانون} كانت عبارة عن ثلاث قطع من الحجارة فوقها قطعة من الصاج يوقد تحتها النار لإعداد الطعام أو عمل خبز الخمريت من الشعير وبكل منزل مضيفة لاستقبال الضيوف ويراعى فيها أن تكون خارج المساحة الأساسية للدار. جريد النخل هو المادة المستخدمة لصنع الأسرة والمقاعد وتخصص فى ذلك عدد من الذكور فى كلِ قرية وأوراق النخيل أو الخوص كان يستخدم لعمل السلال والحصر والأبراش والأطباق وتقوم بذلك النساء.

- بكل منزل كان هناك ركن خاص للماشية ومكان آخر للدواجن والطيور وكانت لها مداخل خاصة بها غير المدخل الرئيسى للمنزل وذلك خلاف قرى الصعيد التى تترك الحيوانات خارج المنزل وسط الحقول الواسعة وسبب ذلك أن قرى النوبة كانت ملاصقة للصحراء بما فيها من أخطار قد تهدد حيواناتهم. فى كل منزل هناك مخزن يحتفظون فيه بعدد كبير من الأوعية الفخارية والسلال الغير مستخدمة وفى أحد أركانه يوجد حمام الاغتسال.

- المطاحن الرئيسية كانت موجودة فى بعض العموديات الرئيسية مثل الدكة وكانوا يذهبون إليها بالمراكب الصغيرة لطحن غلالهم. ولكن كان لديهم فى المنازل {الرحاية} التى يستخدمونها عند الضرورة ولطحن كميات صغيرة ثم {المهراكة} لتنعيم الدقيق وكانت النساء تقوم بعمل الزبد والسمن من حليب حيوانات المنزل.

■ المعتقدات الدينية والشعبية

- ينتمى النوبيون للمذهب السنى وإلى مذهب الإمام مالك كمذهبٍ رسمى ولكن تميز المجتمع النوبى فى تلك الفترة {ما قبل التهجير} بوجود العديد من المعتقدات القديمة

والحديثة المتشابكة فمنها ما كان ذا طابع مسيحى مثل وضع علامة الصليب على جبين المولود ومنها ما كان ذا طابع إسلامى صوفى حيث شاعت الطريقة الميرغنية التى أسسها محمد عثمان الميرغنى {١٧٦٣ - ١٨٥٣م} المولود فى مكة والذى كان تلميذا للصوفى الشهير سيدى أحمد بن إدريس. فى عام ١٨١٧م شد محمد عثمان الرحال لمصر لكسب المزيد من المريدين بناء على رغبة أستاذه وشيخه. لكنه لم يحقق النجاح المطلوب فى مصر فاتجه جنوبا إلى النوبة حيث لقى موكبه الترحاب والقبول وأصبحت بعدها طريقته هى السائدة فى المجتمع النوبى. كان المجتمع النوبى مهتما ببناء الأضرحة التى انتشرت بصفة خاصة فى مناطق الكنوز أكثر من الفاديجا وكان لكل من هذه الأضرحة نقيبا مسئولا عن جمع النذور وإقامة الإحتفالات والولائم وليالى الذكر وكانت هناك نقيبات لبعض الأضرحة.

- من أهم الإحتفالات الدينية بخلاف العيدين كان يوم عاشوراء لإحياء مقتل سيدنا الحسين حفيد النبى ع وكان له بعض الطقوس الخاصة مثل حرق الحبال بعد حلول الظلام وإضاءة الشموع على القوارب الصغيرة ثم الهروع إلى النهر وكان كل فرد يلقى عددا من الأحجار الصغيرة حسب عدد الأسرة لجلب البركة. كما كان النصف من شعبان من أهم المناسبات الدينية. البعض توجه للتعليم الدينى فى الأزهر وهؤلاء كان منوطا بهم إقامة الشعائر الإسلامية خاصة صلاة الجمعة فى الجامع الكبير كما انتشرت الكتاتيب تقريبا فى كل القرى. على الرغم أن معظم أهل النوبة لم يكونوا يتقنون الحديث باللغة العربية خاصة النساء إلا أنهم كانوا حريصين على حفظ بعضا من القرآن الكريم للصلاة.

- بالإضافة لتلك المعتقدات الدينية كان هناك إرثا من المعتقدات والأفكار الأخرى التى اصطبغ بها المجتمع النوبى منها إيمانهم المطلق فى العين الشريرة والعين الحسود وانتشار الأحجبة كوسيلة للحماية من الحسد وكانت تلك الأحجبة تصنع عادة من الملح والفلفل والكمون وأظافر اليدين. كما كانت تعلق على جبين الطفل يد ذهبية للقيام بنفس الدور من الحماية من الحسد.

- اعتقد المجتمع النوبى بشدة فى فكرة التعرض للمُشاهرة عند الزواج أو الإنجاب أو الختان. وكلمة المشاهرة مشتقة من اللفظ العربى {شهر} والفكرة تعنى باختصار أنه لو قام شخص ما ببعض الأفعال قبل ظهور القمر الجديد أى الشهر القمرى العربى الجديد فسيتعرض للضرر مثل تعرض الطفل للخطر بعد الختان إذا خرج

للشارع أو دخل عليه زائر قبل حلول الشهر الجديد وفى حالة الولادة ينبغى ألا تخرج المرأة أو تزورها زائرة قبل حلول الشهر. وكوقاية من التعرض للمشاهرة كانت بعض النساء بعد الولادة توقد نارا فى ساحة الدار ثم تلقى فيه الملح وتخطو فوقها سبع مرات وتمرر طفلها أيضا سبع مرات وتكرر ذلك كل مساء حتى حلول القمر الجديد وإن لم تفعل ذلك فقد يجف اللبن بثديها أو قد يموت الطفل.

- كان هناك اعتقاد سائد بوجود ما يسمى كائنات النهر الشريرة الذين يسكنون قاع النيل وأشكالهم غريبة فهم لهم آذان طويلة وعيون طويلة وشعر طويل يغطى كل الجسد ويعشقون دماء ولحوم الآدميين ويظهرون فى موسم حصاد البلح لحبهم الشديد له.

- كانت طقوس الزار معروفة ومنتشرة فى قرى النوبة. والزار كان يعتبر بمثابة مرحلة متقدمة من العلاج أو الوسيلة الأخيرة التى يلجأ إليها المرضى النفسيون أو العقليون إذا لم تجد الأحجبة أو أطباء الأعشاب وإخراج الدم. كان الإعتقاد أن الأمراض النفسية والعقلية إنما مرجعها الأرواح الشريرة والجن ويمكن الإنتصار عليهم بالأحجبة وبعض التعاويذ والطقوس فإن لم يفلح ذلك يقوم الشخص بتنظيم حفل الزار الذى يعد اعترافا بانتصارهم وخضوعا لهم فحفل الزار هو حفل زواج لإرضاء الأرواح ولا يتم ذلك إلا بعد أن يستجوب شيخ الزار المريض المقصود وهو أى الشيخ الذى يقرر عما إذا كانت هناك حاجة للزار أم لا. عند الإتفاق على إقامة الزار يطلب الشيخ من المريض قطعة قماش بها رائحته ملفوفة حول عشرة قروش هى رسوم التشخيص {ما يوازى ثمن شجرة سنط من الحجم الصغير فى ذلك الوقت}. توضع القطعة تحت وسادة الشيخ فإذا أصيب بالقلق فإنه سيعرف نوع المرض وطبيعة الجن. وكان الزار يقام فى مكان واسع مغلق وحرارته مرتفعة حيث كانوا يعتقدون أن الجن يقفز خارج البدن عندما يسيل العرق الغزير. يرتدى الحضور الذين قد يزيد عددهم عن ثلاثين ملابسا جديدة لإرضاء الأرواح أو الأسياد كما كانوا يطلقون عليهم. أما المريضة المقصودة فكانت ترتدى جلابية بيضاء وطرحة بيضاء وتصبغ يديها وجسدها بالحنة وتضع الكحل فى عينيها وتتزين بالحلى الذهبية كالعروس. الموسيقى والرقص من العناصر الهامة فى احتفال الزار. والدف كان الآلة الرئيسية.

♦ **حجر السلامة**

كانت هناك بعض المناطق فى نهر النيل ضيقة وصعبة الملاحة وتعترضها بعض الجزر الصخرية وأهم هذه المناطق بوابة كلابشة – المضيق – مضيق فرقندى. عند نهاية كل منطقة كان هناك أحد الجزر الصغيرة وعندما يعبرها البحارة النوبيون كانوا يشكرون الله على السلامة ولذلك أطلقوا على كلٍ من هذه الجزر حجر السلامة. هناك اعتقاد أن هذا تقليد قديم وهو ما يفسر بناء المعابد المصرية الكبيرة فى النوبة عند نهاية كل منطقة من ناحية الجنوب. فمعبد كلابشة كان يقع عند النهاية الجنوبية لبوابة كلابشة ومعبد السبوع كان يقع للجنوب من منطقة المضيق ومعبدا أبى سمبل كانا يقعان جنوب مضيق فرقندى وربما تم إنشاء هذه المعابد عند المواقع الخطرة للملاحة لتقام فيها الصلوات وتقدم قرابين الشكر على سلامة العبور.

■ الموت وطقوس الحداد

- كانت فترة الحداد فى قرى النوبة أربعين يوما بداية من الوفاة ويأتى المعزون من كل القرى المجاورة وعلى المسافرين أن يعودوا لتقديم واجب العزاء ومن لم يستطع الحضور لسبب قهرى يقبله ويعلم به المجتمع فعليه أن يفعل ذلك بمجرد عودته. وعدم المشاركة فى طقوس الحداد للمقيمين أو عدم تقديم العزاء بالنسبة للمسافرين كان له آثار اجتماعية كبيرة قد تصل للمقاطعة الأبدية.
- عند الوفاة يقوم بعض الأقارب من نفس جنس المتوفى بالغسل وإعداد الكفن فيوضع الجسد على سرير جريدى توضع تحته أوانى لسقوط المياه ويتم الغسل بالماء والصابون ويقرأ من يقوم بذلك سورة (يس) والتشهد ثم يوضع الطيب على الجسد والشعر. وإذا كانت أنثى يتم وضع طرحة على الرأس وتكون الطرحة بيضاء إذا كانت عذراء. يربط الكفن بثلاث عقد عند القدمين والصدر والرأس ويوضع حول الجثمان أفرع من سعف النخيل ويلف قماش أحمر حول الجسد والنخيل إذا كانت أنثى لستر معالم الجسد.
- يحمل الجسد أربعة أشخاص يتبعهم موكب المعزين الذكور وخلفهم بمسافة ليست طويلة تتبعهم النساء وهن يطلقن الصرخات ويطلقن شعورهن ويضعن التراب على رؤوسهن ووجوههن. بعد الدفن تلقى بعض فصوص الثوم ويذبح خروف ويترك على المقبرة للأرواح والطيور ثم يتركون إناء من الفخار على مكان مرتفع بالقرب من

المقبرة ويضعون فيه الماء لمدة الأربعين يوما لاعتقادهم بوجود روح المتوفى بالقرب من المقبرة وإن لم تجد الماء فسوف تركل الإناء بالقدم وهى تشعر وتتعرف على كل الزائرين فى تلك الفترة التى ستصعد بعدها للسماء ثم تعاود الرجوع فى المناسبات والأعياد وهى الأيام التى يأتى فيها الأهالى لزيارة قبور موتاهم.

- تنصب خيمة كبيرة أمام الدار لتكون مقر تقبل العزاء للرجال الذين يفكون عمائمهم ويمتنعون عن حلق شواربهم وذقونهم ويمتنعون عن الدخول إلى زوجاتهم طوال فترة الحداد خاصة للأقارب من الدرجة الأولى. أما النساء فيكون العزاء لهن بداخل المنزل.

- يقوم المعزون بزيارة المقبرة بعد ثلاثة أيام ويستطيع أن يغادر بعدها الوافدون من القرى البعيدة بينما يبقى أهل القرية وأقارب المتوفى ويقومون بالزيارة مرة أخرى بعد سبعة أيام وخمسة عشر يوما يستطيعون بعدها ربط العمائم مع ترك أطرافها متدلية على الكتف ثم الزيارة الأهم بعد أربعين يوما ويسبّحون عند المقبرة ٧٠ مرة ويلقون الحصى الصغير على المقبرة بعد كل مرة حتى تصبح مغطاة بالحصى الصغير. بعدها يقومون بإعداد وليمة كبيرة للمعزين ويكون ذلك إيذانا بإنتهاء فترة الحداد الرسمية. ولا تحمل المقابر النوبية أية أسماء عدا مقابر الأولياء.

- تخضع الأرملة لقيود والتزامات صارمة فهى ترتدى السواد لمدة ٣ أعوام أو طيلة حياتها أحيانا أما الأم والأخوات فيرتدين السواد لمدة عام وباقى القريبات يرتدينه لمدة ستة أشهر وتجلس الأرملة فى المنزل على حصيرة لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام ولا تضفر شعرها طوال تلك الفترة وفى أحيانٍ قليلة كانت تحلق شعرها وتجلس بلا حركة وتنام حيث تجلس لمدة خمسة أيام تنتقل بعدها إلى الحصير. وتمتنع عن الأكل لمدة ثلاثة أيام. بعد مرور فترة أربعة أشهر وعشرة أيام يسمح للأرملة بالذهاب للنهر حيث تهدى حصيرة الحداد للأرواح وكائنات النهر.

- تجرد حجرة النوم من كل أدوات الزينة وترفع الحصر والأوانى المعلقة والأطباق والأبراش والصور من الجدران.

- تقوم القرية بإلغاء حفلات الزواج والختان طوال فترة الحداد كما تعفى نساء المتوفى من المشاركة فى المناسبات الإجتماعية عام الوفاة ويلتزم جيران المتوفى بتقديم الأطعمة والمشروبات للوافدين من أجل العزاء.

■ الزواج

- كانت القبائل النوبية تفضل الزواج من ابن العم وابنة العم ثم يلى ذلك فى الترتيب ابناء الخالة ثم القرابة البعيدة ثم القبائل الأخرى وكان الزواج من غير النوبى أو غير النوبية يعد أمرا مرفوضا تماما. كان الزواج بين الكنوز والفاديجا أمرا نادر الحدوث. للمقبلين على الزواج كان الإختيار محدودا وعادة ما يقوم الأقارب {الآباء والأمهات} بالإختيار وترتيب الزواج. وأحيانا يعد الأبوان قائمة للشاب يختار من بينها. التقاليد تمنع الشاب من رؤية خطيبته وحتى لو حدث ذلك مصادفة فكان عليه أن يغير مساره حتى يتجنب رؤيتها.
- يبقى الزوجان فى منزل العروس لمدة ٤٠ يوما ثم ينتقلان بعدها إلى منزل العريس أو منزل مستقل. سن الزواج للفتيات صغير جدا ربما دون الرابعة عشرة وللأولاد بين السادسة عشرة والسابعة عشرة وهذا لايمنع من وجود حالات استثنائية نتجت عن هجرة الشباب للعمل خارج النوبة وفى حالات أندر قام بعض الشباب بالتزوج خارج النوبة وأتوا بزوجاتهم لزيارة أقاربهم وبعضهم لم يعد مرة أخرى.
- تبدأ إجراءات الزواج بمفاوضات تمهيدية يتم فيها الموافقة على تفاصيل المشروع يعقبها اليوم الرسمى لطلب يد الفتاة والذى يسمى {الفرجار} ويقوم فيه أهل العريس وأصدقاؤه الذكور بالتوجه لمنزل الفتاة حاملين معهم الشيلة أو الهدايا ولا يذهب معهم العريس.
- اليوم الرسمى لبدء احتفالات الزفاف يسمى {ادسيمار} ويكون حوالى أسبوعين قبل يوم الزفاف. تتحمل أسرة العريس كل الأعباء المالية للاحتفالات وتقوم النساء بطحن ما يقرب من ١٥٠ كجم من الدقيق وينتشر الرقص والغناء فى منزلى العروسين كل يوم من بعد الظهر حتى منتصف الليل ويتم تقديم الأطعمة مثل الشعرية وخبز الشعير.
- يتم إعداد غرفة العروسين وطلائها بلون يميل للإحمرار ويتم تزيينها بأطباق الخوص والحصر الملونة. كانت النقطة معروفة ويتم تدوين أسماء من يدفعونها وكم يدفعون. الليلة التى تسبق الزفاف تسمى {تتجودينديى} ويتم فيها ذبح الذبائح لإطعام المدعوين.
- الحنة من الطقوس الهامة للعروسين لليدين والقدمين وكانت تسمى {الكوفريه}.

كان يتوجب التوجه لزيارة الأضرحة فى موكبين منفصلين أحدهما للذكور والآخر للإناث.

- صباح يوم الزفاف يتوجه العريس بصحبة أصدقائه ومعه سيف إلى النهر حيث يغتسل ويغمر سيفه فى الماء ويقدم بعض الأطعمة والهدايا لملائكة النهر. تضع العروس الوشم على شفتيها وتذهب إلى النهر مع صديقاتها للحصول على الحماية من الجن والأرواح.
- كان العريس يوم الزفاف يرتدى جلابية بيضاء من القطن وقفطان من الحرير الناعم ويضع كوفية على الكتف وعمامة بيضاء على الرأس وينتعل خفا أحمر ويحمل سوطا وسيفا وخنجرا وهذه الأشياء ترمز للوقاية من الأرواح {السيف والخنجر} والهيمنة على النساء {السوط}. أما العروس فترتدى الجرجار الأزرق الغامق وتحته فستان آخر تختار لونه وتغطى رأسها بثلاثة أغطية وحلقتين فى كل أذن تسمى {بارتورى} أحدهما أعلى الأذن والآخر فى شحمة الأذن وتضع دبلة فى أنفها تسمى الزمام والحجول الفضية فى قدميها. ويرتدى المدعوون ملابس جديدة.. جلاليب أغلبها أبيض للرجال وجلاليب ملونة أو جرجار أزرق للنساء.
- يتم دفع المهر قبل كتب الكتاب الذى يتم فى نفس يوم الزفاف بعد الغذاء ويكون الخال هو وكيل العروس. كان يصاحب موكب العريس أحد العبيد يحمل إبريقا من الماء لكى يشرب العريس كلما أحس بالعطش وآخر يحمل البخور ويحيطهم عازفو الطمبورة وضاربو الدفوف.
- معظم النوبيون فى ذلك الوقت كانوا يقومون بالختان السودانى للإناث والذى يتم فيه بتر البظر كاملا وتخييط جزء من المهبل وكان ذلك يتطلب تدخل الداية يوم الزفاف لتقوم بفتحه مرة أخرى.
- كان هناك طقس يسمى فتح الفم حيث تجلس العروس فى الصباحية على حصير خاص ولا تتحدث مع العريس قبل أن يدفع لها مبلغا من المال. وهناك احتفال خاص فى اليوم السابع بعد الزفاف ويعنى ذلك انتهاء طقوس الزواج رسميا.
- كانت هناك أغانى نوبية خاصة للزواج تحفظها الكبيرات من النساء وتتنقل من جيلٍ لآخر ومنها ما كان خاصا بكل خطوة من خطوات الزفاف كالحنة أو ارتداء ملابس الزفاف أو ذبح الذبائح حتى نهاية العرس.
- الحماة فى مجتمع النوبة هى أخت الزوج أما أم الزوج أو أم الزوجة فهى {نسيبه}.

♦ كان تعدد الزوجات أو الطلاق فى النوبة أمرا نادر الحدوث. ومجتمع النوبة لم يستحسن زواج الأرملة التى لديها أبناء إلا إذا كان الأولاد صغار السن فربما يتزوجها شقيق زوجها المتوفى لرعاية الأبناء.

■ الأغانى النوبية

♦ لا شك أن الأغانى والرقصات النوبية كانت وما تزال من أهم مظاهر التراث النوبى. فهى بجانب أنها تعبير عن المشاعر الإنسانية التقليدية فى المناسبات المختلفة فهى أيضا تمثل تأريخا للعديد من التغييرات التى طرأت على المجتمع النوبى فى مراحله المختلفة. وفى نوبة الستينات وما قبلها كان هناك العبيد الذين أوكل لهم إحياء الإحتفالات الموسيقية المختلفة فكان منهم الموسيقيون والمغنيون وضاربو الدفوف ولكن هذا لم يمنع أن معظم النوبيين إن لم يكن كلهم كانوا يحفظون الكثير من تلك الأغانى باللهجات المختلفة.

♦ وقد طرأت تغييرات جذرية على الأغانى النوبية القديمة التى تختلف عن الأغانى التى ترددها الأجيال الحالية. فقبل التهجير كانت هناك كلمات تعبر عن مظاهر الحياة فى النوبة القديمة ولم يعد لها وجود الآن حيث دخلت كلمات جديدة تواكب البيئة الجديدة مثال ذلك:

استغرب واتعجب كيف تمشى على الرمله

وتطلعى الدرب الحجر وإنتى شايله الميه

برشاقة وجمال

ففى هذه الأغنية كانت صورة الفتاة النوبية التى تحمل الماء فوق رأسها أحد مظاهر الحياة التى اختفت فى المكان الجديد. وأغنية أخرى يتحدث فيها المحب عن شجرة السنط التى كان يجلس تحتها مع حبيبته وهذه الصورة لم يعد لها وجود أيضًا.

خدى إيدى يا حلوة أنا بقيت أعمى

حاستنا لما تخدى إيدى ونقعد تحت السنطة

♦ الأغانى العاطفية كان لها النصيب الأكبر وفى معظمها لم تتغير فهى تتغزل فى جمال البنت النوبية وسمارها وتكررت كلماتها

كم مرة سقيت شجرة المانجه معاكى يا أسمر اللونا

دا كان زمان

كبرت الشجرة واستوت المانجه

لكن النيل العالى جه وشال الشجرة

♦ كانت هناك أغانى خاصة للمناسبات المختلفة كالزواج والميلاد والختان والسبوع والنذور والحصاد وموالد الأولياء وأشهرها أغانى الزواج التى يتم فيها مدح العائلات والمدعوين والأماكن التى أتوا منها.

عيلة كبيرة يا عريس

عيلة كبيرة يا سلام

ومين يقدر على المقدر

يا سلام

دايما شباب كورسكو دايما خليل عريس البنت

♦ قبيل التهجير ظهر نوع جديد من الأغانى لوداع النوبة وبعد سنوات طويلة تراكمت بعض الأغانى التى تخاطب النوبة الغارقة وإن اتسم بعضها ببعض المبالغات لأنها غالبا ما يرددها الجيل الذى لم يرَ النوبة القديمة والتى يرسم لها البعض صورا خيالية غير حقيقية.

الوداع يا نوبة

أقولها تانى الوداع يا نوبة

باقولها من قلبى يا نوبة

الزمان بتاعنا كان أد إيه جميل فى النوبة

♦♦♦

بلادنا الطيبة الحنونة

كام مرة دورنا الساقية

وكام مرة اتشاركنا فى زراعة حقلاتنا

وكام مرة شربنا شاى الصباح

♦ كانت هناك بعض الرقصات المميزة ومعظمها جماعية ومن أشهرها {كومباجاش} التى يكون فيها الرجال صفوفا تقابلها صفوف متوازية من النساء وغالبا تكون الكبيرات من النساء فى الصفوف الأولى بينما الفتيات فى المؤخرة. يقوم الموسيقيون من العبيد بدق الدفوف التى تتمايل على صوتها الصفوف والأيادى متشابكة. يأخذون عدة خطوات أمامية تليها خطوات خلفية ويقوم أحد العبيد من الحين للآخر بالرقص وسط الصفوف وأحيانا تتقدم إحدى السيدات الكبيرات لترقص وسط الصفوف.

♦ من الرقصات الأخرى الشائعة رقصة الكف وهى رقصة يصاحبها تصفيق بالأيدى حيث يشكل مجموعة من الرجال نصف دائرة ويعزف العبيد على الطمبورة. يصفق الرجال وتقوم امرأة أو اثنتان بالدخول إلى دائرة الرقص حيث ترقصان فى خطوات قصيرة ويشترك نساء العبيد وهن يرقصن حول الدائرة.

■ المسألة النوبية.. وجهة نظر

♦ بعد أن هيأت لى الظروف مطالعة العديد من المراجع التى تناولت تاريخ وشكل الحياة فى النوبة قبل بناء السدود وبعد أن أتيحت لى فرصة مقابلة البعض ممن اشتركوا فى مشروع إعادة توطين النوبيين فى وادى كوم امبو وبعد أن استمعت لكثير من وجهات النظر النوبية لأشخاص فى أعمار مختلفة قليل منهم رأى النوبة القديمة وبعد أن تابعت الجدل الدائر حاليا حول المسألة النوبية.. بعد كل ذلك استطعت أن أصوغ وجهة نظر تستند إلى الكثير من المعلومات والحقائق وأعتقد أنه من الملائم أو ربما من الواجب أن أذكر وجهة النظر تلك بوضوح وفقط لوجه الوطن الذى نعيش فيه جميعا. وما يدفعنى للخوض فى ذلك ما تابعته فى الآونة الأخيرة حيث ارتفعت بعض الأصوات الهادئة أحيانا والمتشنجة أحيانا أخرى تتناول مسألة التهجير النوبى والتعويضات وجنحت بعض تلك الأصوات مطلقة بعض التعبيرات من قبيل حق العودة وحتى ما أسموه تدويل القضية النوبية. وسأوجز وجهة نظرى فى نقاط محددة أرجو أن تزيل بعض الضباب الذى غشى بعض العيون.

♦ يجب أن نعمل بكل الوسائل العلمية الممكنة لحماية التراث النوبى من الإندثار بما يحتويه هذا التراث من لغة وأدب وموسيقى وآثار وتسجيل وإحصاء للعادات والتقاليد النوبية وما طرأ عليها من تغييرات. والتراث النوبى فى ذلك شأنه شأن أى تراث يعبر عن منجزات الحضارة الإنسانية التى ينبغى حمايتها كاهتمامنا بالحضارة المصرية

القديمة والحضارة القبطية والحضارة الإسلامية ويجب أن تكون مدعاة لاعتزازنا بهذة الحضارة كاعتزازنا بالحضارات الأخرى وكذلك يجب المضى قدما فى الدراسات الخاصة باللغة النوبية القديمة ولهجاتها الحديثة المتفرعة عنها.

- لكن هذا لا يعنى تشجيع الثقافة الإنعزالية عن المجتمع الأشمل والوطن الأم والإنسياق وراء الدعاوى الجانحة والعناوين الخادعة مثل ما يسمى حاليا حق العودة أو خلق قضية ومحاولة تدويلها خاصة إذا عرفنا أن هذه الدعاوى تتنافى مع ما أصبح معلوما بالضرورة من حقائق التاريخ.

- هناك بعض العائلات التى كانت تتمتع بسعة من العيش ولها من الممتلكات الزراعية أو الأنشطة التجارية مع السودان ما كان يوفر لها حياة مميزة عن بقية العائلات وقد كانت هذه العائلات أكثر تأثرا من غيرها عند التهجير. يمكن أن يكون هناك شكلا من التعويض المعنوى الأدبى لهذه العائلات عن طريق الإدارة المحلية مثل إطلاق ألقاب تلك العائلات على بعض شوارع المجتمع النوبى الجديد حتى يكون ذلك إشارة دائمة لتكريم تلك العائلات.

- لا ينكر منصفٌ أو عاقل أن الجيل الأول الذى هاجر إلى كوم امبو هو من دفع الثمن النفسى لتغيير إطار حياته من حياة ملتصقة بالنهر وإن اتسمت بالجدب والفقر إلى حياة فى بيئة جديدة مختلفة وعلى الرغم من التعويض المادى والجهد الذى بذلته الإدارة المصرية لجعل هذا المجتمع الجديد أفضل، إلا أنه من الإنصاف أن نثمّن ونشير إلى تلك التضحية النبيلة لهذا الجيل. ولكن ما لا يستسيغه منطق أو عقل أو ضمير أن يستخدم قليلٌ من الأبناء تضحية الآباء كقميص عثمان يتم رفعه والمتاجرة به لأغراض شخصية فهم بذلك يفرغون تلك التضحية من قيمتها النبيلة. لذلك يجب الرد بوضوح أن هذا القميص مزيف وملئ بالمغالطات التاريخية التى يجهلها حتى باقى الأبناء.

- إن أحد الأمثلة الصارخة للمتاجرة بتضحية الجيل الأول ما يحدث عند زيارة بعض الأفواج السياحية للقرى النوبية بأسوان وهى التى لم تتضرر بأى شكل من أى سد ولم يضطر أهلها للهجرة فى أى مرحلة من تاريخهم.. ولكنك تفاجأ بالحديث عن الهجرة والظلم الذى وقع عليهم! إن لم يكن هذا من قبيل المتاجرة فبما يسمى؟

- من المغالطات الكبرى أن النوبيين قد تم تهجيرهم قسرا لبناء السد العالى. فالثابت أن ما تم رصده من آراء فى الفترة ١٩٦٠ – ١٩٦٣م فى القرى النوبية كان فى معظمه

يثبت أن جل النوبيين كانوا فى حالة مزاجية تقبل بل وترحب بفكرة التهجير ولم تسجل فى النوبة المصرية حالات رفض تم حملها قسرا على الهجرة. بل إن من الأغانى النوبية التى تم رصدها فى بعض القرى النوبية ما كان يجافى ذلك الإدعاء فقد غنى النوبيون قبل التهجير مباشرة لناصر واعتبروا قرار بناء السد العالى فى قيمته مساوٍ لقرار تأميم قناة السويس: -

تعيشى يا نوبة بزعيم الثورة يا نوبة

حنبنى السد حنبنى السد بمالنا

وفى النوبة الجديدة بيت ونزرع نخل

الله الله على النوبة الجديدة

يارب قد إيه عشنا فى الجبل سنوات مع الضباع

وقدامنا شوفنا البحر يعلى وورانا الجبل

والبحر لم يعطينا رزق يارب عاقب فاروق وأبوه بما ظلموا

يارب ناصر جمال منصور دائما

فى الأول القناة وتانى السد عشان يكتر الزرع

ويودينا كوم امبو يكون لنا أرض نزرع فيها القطن الأبيض

- من الحقائق التى يتم إغفالها تماما أن النوبة كانت على أعتاب تحولٍ وتطورٍ طبيعى فى نهايات القرن ١٩م أى قبل بناء السدود لتصبح مجتمعا طاردا لسكانه لأن جغرافية النوبة قبل السدود كانت تتميز بانحسار الوادى السهلى الأخضر فى مساحات محدودة والجبال كانت تلاصق ذلك الوادى الضيق الذى كان كافيا لإعاشة السكان فى مراحل سابقة وكان الفيضان كل عام يغرق تلك المساحات الصغيرة فلم تكن الزراعة طوال العام إلا فى أماكن محدودة مرتفعة يتم ريها بالسواقى والشواديف. لكن لم يكن ذلك قابلا للإستمرار مع زيادة أعداد السكان ووقوف الطبيعة الجبلية حائلا دون التمدد العمرانى الطبيعى فبدأت الهجرة النوبية مع نهايات القرن ١٩م أى قبل بناء السدود.
- بعد بناء سد أسوان وتعليته أكثر من مرة ١٩١٢م و١٩٣٣م أقامت الدولة فى النوبة مشروعات الرى الكبرى التى سبق ذكرها والتى أضافت مساحات كبيرة للرقعة

التى يمكن زراعتها وكانت هذه الرقعة المضافة تفوق الأراضى المفقودة بسبب سد أسوان وبلغت فى مجملها أكثر من ١١ ألف فدان. وما حدث أن السكان قد فضلوا الهجرة على زراعة هذه الأرض التى احتاجت فلاحةً شاقةً فطبقا لإحصائيات ١٩٦٣م كان أكثر من نصف سكان النوبة مهاجرين ونصفهم كان مهاجرا بصفة دائمة أى أنهم تقريبا قد قطعوا صلاتهم بالنوبة ولم تجد تلك الأراضى من يزرعها.. فلم يزرع منها سوى الربع.

- من الحقائق التى يتم تجاهلها أيضا فى الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٦٣م أنه كانت فى النوبة مساحات صالحة للزراعة بعد انحسار المياه عنها وهذه لم تكن تحتاج إلى نفس مجهود أراضى المشروعات فمثلا فى منطقة سيالة كان هناك ٢٠٠ فدان ومنطقة قِرشة كان هناك ٢٦٠ فدان وكورسكو ١٥٠ فدان إلا أن المزروع من هذه الأراضى لم يكن يتعدى الربع بسبب قلة الأيدى العاملة التى فضلت الهجرة قبل بناء السد العالى.

- يقول ابن خلدون فى مقدمته أن {العمران هو نهاية الحضارة} قاصدا أن تقدم العمران – بكل ما يشمله من مظاهر كالبناء والتقدم الميكنى الذى يشمل اليوم التكنولوجيا – يمكن أن يقضى على بعض عادات وتقاليد وحضارة أحد الشعوب ويدفعهم للتخلى عنها. وهذا ما حدث فى العالم المعاصر ففى العقود الأخيرة كانت خطوات التقدم التكنولوجى تركض ركضا وهى فى ركضها قد دهست الكثير من العادات والتقاليد والأعراف على مستوى العالم ولم يكن ممكنا فى عام ٢٠١٠م أن يكون هناك مجتمعا مازال يعلن الحداد ٤٠ يوما تتعطل فيها الحياة لوفاة أحد الأشخاص وليس ممكنا أن تستمر أفراح عريس ما لمدة أكثر من أسبوعين تتوقف فيها الحياة أو أن يتزوج شابٌ بفتاة لا يراها قبل الزفاف. إذن التغييرات التى حدثت فى مجتمع النوبة بعد التهجير فى معظمها تعتبر مرحلة طبيعية فى التطور العمرانى لأى مجتمع ويعكس التقدم السريع المحموم الذى يجتاح العالم كله وكل ما فعله التهجير هو التعجيل به. وتأكيد ذلك هو ملاحظة العادات وأُطر الحياة الآن فى أى قرية نوبية فى أسوان لم تتعرض للتهجير ومقارنتها بما كان سائدا فى نفس القرية منذ عشرين عاما مثلا ويمكن القيام بنفس الدراسة فى أى قرية مصرية فى الصعيد أو الدلتا بل فى أى تجمع سكانى تقليدى فى العالم.

- لا بد من تسوية أوضاع من لم يعوضوا بالقدر العادل عن ممتلكاتهم ممن كان يطلق عليهم المغتربين وهم المهاجرون جزئيا من النوبة القديمة ويمكن تتبع ذلك بالبحث فى سجلات وزارة الشئون الإجتماعية فى إحصائية عام ١٩٦٣م. كما يجب أن يتملك المهجرون مساكنهم البديلة وما أعطى لهم من أراضى فى وادى كوم امبو ويمكن المطالبة بتلك المطالب العادلة عبر القنوات الشرعية.
- الآن يحلو للبعض أن يعلن أرقام التعويضات كالقول مثلا أن النخلة قدر ثمنها بجنيهين وفدان الأرض ب١١٠ جنيها وهذا من قبيل المغالطة المقصودة التى تتغافل عن القيمة الشرائية لهذه الأموال فى ذلك الوقت. فقد كان ثمن شجرة السنط يبدأ بعشرة قروش ولا يتجاوز ١٥٠ قرش فى أكبر أحجامها وكان النوبيون يدفعون ١٥ قرش قيمة زراعة فدان الأرض مما يسمى بزراعة المنافع حينما تنحسر المياه عنها.
- كانت العجلة فى إتمام بناء المساكن البديلة أولا للمقيمين هى سبب العمل أحيانا بدون عمل المجسات اللازمة للأرض مما أحدث عيوبا فى بعض المنازل بعد ذلك ولكن نفس الشئ تكرر مع عمليات مشابهة مثل مساكن القرنة التى تم تهجير ساكنى المنطقة الأثرية إليها بغرب الأقصر.
- تم اختيار أخصب المناطق فى الصعيد وهى وادى كوم امبو للتهجير ولكنها كانت ذات تربة مختلفة رملية وكل ما احتاجت إليه هو المزيد من الجهد.
- لا يمكن الحديث عن بعض المشاكل فى النوبة الجديدة بمعزل عن مشاكل مصر فمثلا لايمكن الحديث عن البطالة هناك دون الحديث عن البطالة فى مصر أو الحديث عن تدهور معين فى بعض الخدمات دون الحديث عن نفس الخدمات فى قرى صعيد مصر أو دلتاها.
- إن مصطلح حق العودة مخادع ويحتوى على مغالطات تاريخية عديدة.. لأنه يعنى العودة لنفس المكان بعد زوال أسباب الهجرة مثلما حدث مع مدن القناة مثلا. ولكن هذا لا يحدث عند بناء السدود أو مشروعات المنفعة العامة فى أى دولة بل يتم تعويض المضارين وقد تم هذا فى وقته وإضافة إلى التعويض فقد تم بناء بنية أساسية كانت النوبة القديمة محرومة منها. فكيف يتم التعويض عن خسارة واحدة أكثر من مرة. ومن يريد المقارنة فليقرأ تاريخ السدود الحديثة وآخرها وأكبرها سد نهر اليانج سى فى الصين. كما أن ضفاف بحيرة ناصر التى تبلغ ٧٨٤٤ كم لا يمكن مقارنتها بالأماكن التى كانت تتركز بها قرى النوبة على نهر النيل لا من حيث الإمتداد أو

الطبيعة الجغرافية.

- إن الحياة على ضفاف النهر تختلف عن الحياة على ضفاف بحيرة صناعية لأن فيضان النهر واندفاع المياه كل عام كان يطهر المجرى المائى كل عام أما بحيرة ناصر فهى خزان مياه تسحب منه كميات حسب الإستخدام فهل مصر مستعدة للتضحية بهذا المخزون وتلويثه بإقامة قرى سكنية على ضفافه؟
- إن محاولة البعض التحدث عن النوبيين كأقلية تعيش فى مصر والدعوة لما أسماه البعض الآخر تدويل القضية النوبية هو من قبيل الدجل التاريخى والإبتزاز السياسى الذى يفضح جهل صاحبه لأن كل الدراسات التاريخية واللغوية تشير بوضوح إلى خروج الحضارة النوبية والمصرية من مشكاةٍ واحدة بدايةً من عصر ماقبل التاريخ وحتى اعتناقهم جميعا الديانات السماوية أما ما يخص التهجير فليس هناك قضية حتى يتم تدويلها.. فمن يعتقد أنه قد مسّه ظلمٌ فى التعويضات فعليه اللجوء للقضاء وتقديم المستندات المؤيدة لحقه ومن أخذ التعويض والمنزل والأرض.. زرعها أو أجرها لأحد الصعايدة وعلم أولاده فى المدرسة الجديدة المجانية والجامعة الحكومية وعولج فى المستشفى الجديدة وعمل فى مصلحة حكومية وسافر فى القطار المدعم وأخذ التموين المدعم واستوطن فى مدينة مصرية أخرى كالقاهرة أو الإسكندرية حتى قبل التهجير فلا حق له غير حق كل مواطن مصرى ولا شئ يزيد.
- إذا قدر يوما اتخاذ قرار بإعمار أجزاء من الضفة الغربية لبحيرة ناصر فيجب أن يتم ذلك فى إطار جماعى شامل دون تمييز لمجموعة بعينها عن باقى فئات المجتمع الأخرى. وإذا قدر يوما أن يكون هناك تجمعات سكنية محدودة فلا بد أن يكون حقا للجميع نوبيين وفلاحين وصعايدة وسيناوية وغيرهم لأن بحيرة ناصر بكل ما فيها وما حولها هى من الثروات الطبيعية التى ترجع ملكيتها لكل المصريين شأن كل ثروات مصر. فلا يعقل مثلا أن يطالب أهل محافظة القاهرة أو الإسكندرية بإخلائهما من النوبيين والصعايدة لأن ذلك سيعد نوعا من الجنون وإن حدث فإن معناه أن مصر قد دخلت نفقا مظلما بلا عودة.

الفصل الثالث

- نهر النيل
- خزان أسوان والسد العالى
- بحيرة ناصر
- مشروع توشكى
- أزمة المياه والموقف المصرى
- دول منابع النيل (بطاقة تعارف)

▪ نهر النيل

♦ الاسم المصرى القديم لنهر النيل هو [إيترو] والاسم القبطى هو [بيارو أو فيارو] بينما الاسم العربى مشتق من اسم يونانى [نيلوس].

نهر النيل يجرى من الجنوب للشمال فى قارة إفريقيا وهو يعتبر بصفة عامة أطول أنهار العالم.

♦ وتشترك فيه عشر دول هى [إثيوبيا – السودان – رواندا – بوروندى – تنزانيا – أوغندة – جمهورية الكونغو الديمقراطية – إرتريا – كينيا – مصر].

له رافدن أساسيان الأول النيل الأبيض وهو الأطول والآخر النيل الأزرق وهو مصدر معظم المياه ومصدر الطمى الخصب ويلتقيان قرب الخرطوم عاصمة السودان والمصب هو البحر الأبيض المتوسط.

♦ يبدأ النيل الأبيض من منطقة البحيرات العظمى فى إفريقيا الوسطى أو الإستوائية والذى يعد أبعد المصادر جنوبا ويتجه شمالا من هناك مخترقا [تنزانيا – بحيرة فكتوريا – أوغندة – جنوب السودان].

بينما يبدأ النيل الأزرق فى بحيرة [تانا] فى إثيوبيا ويخترق السودان من الجنوب الشرقى ويلتقى الرافدان قرب الخرطوم. ويجرى الرافدان فى الجانب الغربى من الهضبة الإفريقية الشرقية.

وينساب الجزء الشمالى من النهر تقريبا بشكل كلى فى الصحراء من السودان إلى مصر والتى اعتمدت حضارتها منذ البداية على النهر وينتهى النيل مكونا دلتا كبيرة والتى تصب فى البحر المتوسط.

♦ يبلغ طول النهر ٦٦٥٠ كم [٤١٣٤ ميل] وسعة تخزينه ٣٤٠٠٠٠٠ كم مربع [١٣١٢٧٤٧ ميل مربع] وهى تبلغ ١٠٪ تقريبا من مساحة القارة.

ويعترض مجرى النهر من السودان حتى جنوب مصر مجموعات صخرية متنوعة أطلق عليها الشلالات أو الجنادل وعددها ستة. اثنان فى جنوب مصر والأربعة الآخرون فى السودان.



خريطة دول حوض النيل

▪ الخزان والسد العالى

♦ على بعد حوالى ٥ كم جنوب أسوان تم بناء السد القديم أو ما يعرف بخزان أسوان عامى ١٨٩٨ – ١٩٠٢م وكان وقتها أطول سدود العالم وظل أطول السدود حتى تم بناء السد العالى. وقد صمم الخزان المهندس الإنجليزى سير (ويليام ويلكوك) والذى كان أيضا مسئولا عن تنفيذ سد أسيوط. كان طوله وقتها ١٩٦٠م وارتفاعه ٤٠م والعرض عند القاعدة ٣٠م وعند القمة ٧ م.

♦ تمت تعليته مرتين ١٩١٢م ثم ١٩٣٣م وأصبح طوله ٢١٤٠م وارتفاعه ٥١ م. يتم التحكم فى المياه عن طريق ١٨٠ بوابة منها ١٤٠ بوابة فى مستوى منخفض لمرور المياه و٤٠ بوابة علوية لمرور المياه الزائدة أى لا يتم استخدامها إلا عند الحاجة.



سد أسوان أو الخزان

♦ فى الجزء الغربى منه قناة طولها ٢ كم لمرور المراكب ذات أحجام محددة وأمام هذه القناة هويس به أربع فتحات طول ٧٠م وعرض ٩.٥ م. وقد استخدم هذا الهويس فى نقل حصيرة إحدى البواخر السياحية (بحر النوبة) التى تم بنائها فى القاهرة ثم تم قطرها فى النيل حتى الخزان حيث تم تقطيع تلك الحصيرة إلى أربع أجزاء لتمر من هذا الهويس. بعد المرور تم رفع تلك الأجزاء برا حتى بحيرة ناصر حيث استكمل بناء الباخرة ١٩٩٥ م. أما البواخر التى تم بنائها بعد ذلك فقد شيدت فى البحيرة بالكامل.

♦ ترتب على تشييده زيادة مساحات الأراضى المزروعة وتغيير بعض أنظمة الرى للرى الدائم وتكونت بحيرة خلف الخزان امتدت حتى قرب وادى حلفا وغرق عدد من المعابد إما جزئيا أو كليا كمعبد فيلة – كلابشة – جرف حسين – الدكا. كما

ترتب عليه تغيير طبيعة الحياة فى النوبة ولم يكن هذا التغيير سيئا فى كل جوانبه. فقد غرقت بعض الأراضى الخصبة والتى كانت بطبيعتها قليلة ومحدودة. ولكن الخزان قد آتاح للدولة إقامة محطات رى ضخمة فى مناطق مختلفة من النوبة وهذا أضاف مساحات قابلة للزراعة أضعاف ما كان موجودا قبل الخزان. كما أن إعادة بناء بعض القرى على مستويات أعلى قد أخرج السكان من الشريط شديد الضيق وشديد الإلتصاق بالنهر وأتاح لهم المزيد من التوسع العمرانى (سأتناول ذلك بمزيد من التفصيل فى الفقرة الخاصة بالنشاط الإقتصادى فى النوبة القديمة).

- مع تزايد أعداد السكان وتضاعفه أكثر من مرة بدأ التفكير فى مشروع السد العالى الذى تعود فكرته إلى ما قبل الثورة المصرية ولكن لم يتم الشروع فى بنائه حتى تولى عبد الناصر مقاليد الأمور وتحمس للمشروع الذى اعتبره هاما لاستكمال البنية الزراعية والصناعية للدولة الناشئة.
- فى عام ١٩٤٦م كان هناك تفكير لبناء سد كبير فى شمال السودان فى مروى لاستخدامها كخزان للمياه المصرية ولكن المشروع لم ينفذ لأسباب سياسية واقتصادية.
- من أوائل التصميمات الخاصة بالسد العالى كان التصميم الألمانى الخاص بشركة أوختيف ١٩٥٥م وتم عرض المساعدة لتمويل المشروع من (إنجلترا - البنك الدولى - أمريكا). بعد عمل الدراسات اللازمة تم سحب عرض التمويل وقيل ساعتها أن أسباب الرفض فنية لما سيترتب على السد من تغييرات بيئية وطبيعية. ورأت مصر أن الأسباب سياسية بحتة وفكرت فى توفير التمويل اللازم عن طريق تأميم شركة قناة السويس ثم التعاون مع الإتحاد السوفيتى الذى أمد مصر ب ٢٠٠٠ مهندس وفنى لتنفيذ المشروع بنفس التصميمات الألمانية الأساسية مع بعض التعديلات.
- المهندس (نيقولاى ماليشيف) هو مصمم جسم السد العالى.
- ٩ يناير ١٩٦٠م تم وضع حجر الأساس للمشروع وفى ١٤ مايو ١٩٦٤م تم الإنتهاء من تحويل مجرى النهر وافتتاح قناة المياه شرق النيل. وبعد ثلاثة شهور من (وفاة عبد الناصر ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ م) تم افتتاح المشروع رسميا ١٥ يناير ١٩٧١م وهو الذى يوافق الآن اليوم القومى لمحافظة أسوان.
- وقد تم تشييد نصب تذكارى على شكل زهرة اللوتس رمز مصر العليا ليكون رمزا للصداقة المصرية الروسية. وبه مصاعد يمكن منها رؤية السد العالى وجزء كبير

من البحيرة. فى الداخل نصان باللغة العربية والروسية وشكلين للرئيسين ناصر والسادات. وبعض النقوش التى تمثل التغييرات الإيجابية المترتبة على بناء السد العالى. النصب نفسه مقام فى دائرة تحيطها المياه وذلك لترمز إلى المحيط الأزلى وأسطورة خلق الكون المصرية القديمة.

- يقع السد العالى حوالى ٧ كم جنوب الخزان وهو سد ركامى به ٤٢.٧ بليون متر مكعب من الأحجار والرمال وهذا يعادل ما تم استخدامه فى بناء الهرم الأكبر ١٧ مرة والسد العالى ذو نواة طينية وتبطين خرسانى.
- يبلغ طول السد ٣٨٣٠م (حوالى ٤ كم) ويبلغ العرض عند القاعدة ٩٨٠م (حوالى ١كم) وعند القمة ٤٤م وارتفاعه من القاعدة حتى القمة ١١١م وهو ١٩٦م فوق مستوى سطح البحر. يبلغ معدل التخزين ١٣٥ بليون متر مكعب وأقصى حجم لتخزين المياه ٢٠٥ بليون متر مكعب وهناك حوالى ٦ بليون متر مكعب تفقد بالتبخر و٤٨ بليون متر مكعب تحفظ فى البحيرة كل عام.
- فى الجهة الشرقية يوجد الجزء الموجود به قنوات مرور المياه والذى يبلغ ١٦٠٠ متر طول وبه ٦ قنوات طولهم ٢٨٢م وهى الموجود بها التوربينات. وقد بنى السد على شكل نصف دائرة وشكل هرمى ليتحمل ضغط الكميات العملاقة من المياه المخزنة خلفه.



السد العالى

- أكثر من ٣٥ ألف شخص اشتركوا فى البناء. من ٤٥٠ إلى ٢٠٠٠ شخص (حسب المصادر المختلفة) قد ماتوا فى حوادث مختلفة أثناء العمل.
- على بعد ٥٠٠م من المفيض خلف جسم السد العالى توجد الإستراحة الرئيسية وفى الطابق العلوى منها توجد غرفة الرئيس جمال عبد الناصر وهى مغلقة وبها نفس قطع الأثاث التى كان يستخدمها الرئيس الراحل وعلى جدرانها وضعت بعض الصور التى توضح مراحل العمل المختلفة فى السد.
- تأثير الزلازل على السد العالى. طبقا لدراسات المركز الإقليمى للزلازل بالسد العالى والذى تم إنشائه بعد زلزال ١٩٨١م فإن السد لن يتأثر بأى زلزال مهما كانت قوته. ذلك على الرغم أن منطقة السد العالى ليست بعيدة عن مراكز الزلزال لوجود فالق نشط على بعد ٧٠ كم من جسم السد وهو فالق كلابشة والذى أحدث عددا من الزلازل وصلت قوتها إلى ٥.٥ رختر ولكن الدراسات أثبتت أن عددها كان خمسة زلازل فى حوالى ٥٠٠ ألف سنة أى بمعدل زلزال كل ١٠٠ ألف سنة. وتم إنشاء شبكة من ١٦ محطة لقياس الزلازل حول بحيرة ناصر تدار بالطاقة الشمسية وترسل بيانات يومية للمركز الرئيسى عن طريق الأقمار الصناعية للمراقبة المستمرة للقشرة الأرضية ومراقبة تسرب المياه الجوفية من بحيرة ناصر.
- كما تم إنشاء ما يسمى بمصنع الحقن ١٩٧٠م بجوار السد وهو لحقن الفواصل التى تظهر من وقتٍ لآخر ويتم الحقن بمواد أسمنتية بصفة مستمرة.
- بالنسبة لظاهرة الإطماء فطبقا لرئيس هيئة السد العالى هناك بعثات مصرية سودانية تقوم بدراسة حركة الإطماء فى البحيرة فى مصر والسودان وكذلك لدراسة نوعية المياه والتربة ومدى زحف الكثبان الرملية على البحيرة. وبعودة البعثة الأخيرة (يناير ٢٠١٠ م) فقد أكدت أن معدلات الإطماء لا تكاد تذكر مقارنة بالقدرة الإستيعابية للبحيرة ككل. وعن مدى اقتراب الطمى من السد العالى فقد أكدت البعثة أنه بعيد بنحو ٣٠٠ كم عن جسم السد وهذا يعنى عدم الخطورة. وعن إمكانية الإستفادة من الطمى المترسب فى البحيرة لتحويله للأراضى الصحراوية فقد قامت الحكومة المصرية ببعض الدراسات فى هذا الشأن ولكن لم يتم البدء فى أى تنفيذ فعلى لهذه الدراسات حتى الآن. وبعيدا عن تأثير الإطماء على السد العالى فهناك مشكلة أخرى تتمثل فى ارتفاع نسبة الإطماء فى الجزء السودانى من البحيرة مما أصبح يهدد تدفق المياه فى البحيرة المصرية.

◆ أهم التغييرات البيئية الناتجة عن السد العالى

◆ لقد كان لدخول الكميات الكبيرة من الطمى إلى الأراضى المصرية (١٢٥ مليون طن) كل عام أثره فى التوازن البيئى فكان يحافظ على منسوب الدلتا أمام طغيان البحر من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان جزء من ذلك الطمى يدخل للبحر المتوسط مكونا دلتا موازية للدلتا المصرية داخل مياه البحر المتوسط وحائط صد لحماية الدلتا من التآكل بالإضافة لتجديد خصوبة الأراضى المصرية.

◆ فقدان هذا الطمى أصبح يهدد الدلتا بالغرق والتآكل كما أنه زاد من ترسيب المياه داخل أراضى الدلتا والتى يتم الآن ضخها للبحر عن طريق طلمبات عملاقة تستهلك جزءا كبيرا من الطاقة المصرية.

◆ لقد ارتفع معدل المياه الجوفية شمال أسوان بسبب تسرب المياه من المخزون العملاق عبر الأحجار الرملية ذات المسام وأصبح يهدد الكثير من أساسات الأماكن الأثرية والتأثير بالسلب على الألوان والنقوش بسبب المعادن والأملاح التى تتسرب مع المياه مثلما حدث فى معبد إسنا. وقد قامت السلطات المصرية منذ أعوام قليلة بتنفيذ مشروع طموح لحماية أساسات وأعمدة وجدران معابد الكرنك من ذلك الخطر عن طريق شبكة صرف مغطاة من المواسير التى تحيط بأساسات المعبد.

◆ يترسب الكثير من المعادن مع الطمى فى قاع البحيرة وهناك تفكير فى محاولة استخراج تلك المعادن مثل الحديد والمنجنيز والبلوتينيم وغيرها.

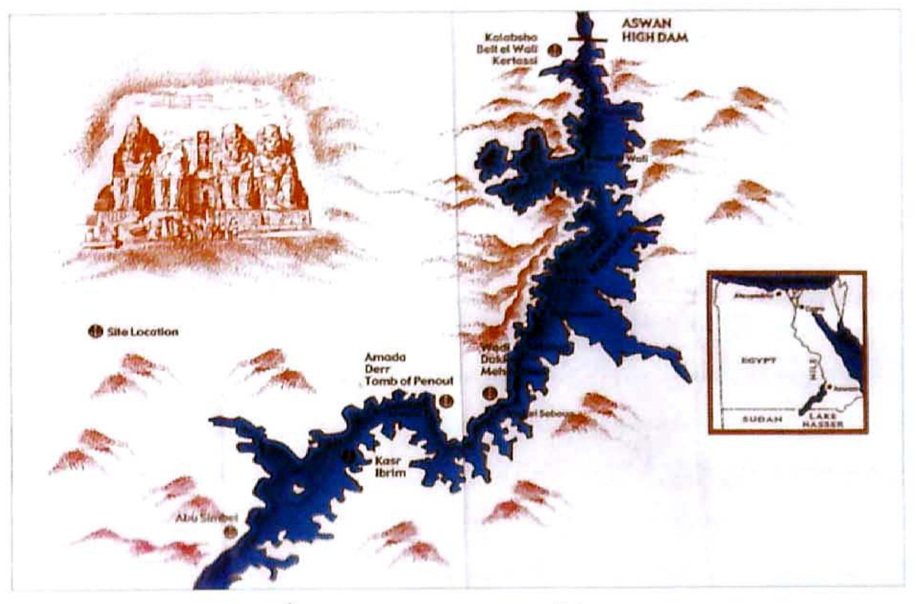
◆ ومع كل هذه التغييرات فقد أنقذ السد العالى مصر من سنوات الجفاف التى ضربت القارة الإفريقية من ١٩٧٥ – ١٩٨٥ م. كما كانت الطاقة المستخرجة من السد العالى تمثل أكثر من ٨٥ ٪ من طاقة مصر وذلك قبل بناء السدود والمحطات الهيدروكهربائية الأخرى. وقد أقامت مصر معهدا فى أسوان متخصصا فى دراسة الطاقة المائية وهو يبحث فى كل ما يتعلق بالسد العالى وكيفية معالجة تلك التغييرات والإستفادة من الماء والطمى والكهرباء.

▪ بحيرة ناصر

◆ هى خزان المياه الذى تكون فى جنوب مصر وشمال السودان بعد بناء السد العالى ١٩٦٠ – ١٩٧١م وسميت على اسم الرئيس المصرى جمال عبد الناصر. وللدقة فإن اسم بحيرة ناصر يطلق على الجزء الذى يقع فى مصر وهو الذى يزيد اتساعا عن

الجزء السودانى ويمثل ما يوازى حوالى ٨٣ ٪ من مساحة البحيرة. أما فى السودان فإن الإسم الأكثر شيوعا هو بحيرة النوبة أو البحيرة النوبية.

ولم تتفق المصادر على مساحة البحيرة بشكل قاطع ربما ذلك للتفاوت فى مستوى المياه حسب الفيضان وبالتالى يختلف طول التعرجات والخيران الكثيرة التى تتميز بها البحيرة عن غيرها من البحيرات الصناعية الأخرى. فطول البحيرة حسب المصادر المختلفة هو [٥٠٠ أو ٥٦٠ أو أو ٥٥٠ أو ٤٨٠ كم] أى ما يوازى [٣٥٠ او ٣٢١ أو ٣١٠ ميل]. طول الجزء المصرى حوالى ٣٢٤ كم أو ما يوازى ٢٠٢ ميل. المساحة تبلغ [٥٢٥٠ أو ٥٢٤٨ أو ٤٠١٠ كم مربع] ما يوازى [١٥٥٠ أو ٢٠٢٦ ميل مربع].



خريطة بحيرة ناصر والمواقع الأثرية

♦ متوسط عرض البحيرة [١٠ أو ١٦ كم] [٦ أو ١٠ ميل] وفى أعرض مناطقها تبلغ ٣٥ كم وهى منطقة مدار السرطان والتى تقع على بعد أكثر من ٥٠ كم جنوب أسوان بالقرب من بوابة كلابشة حيث الموقع القديم لمعبد كلابشة وعند المرور من هذه المنطقة يمكن رؤية الكثير من الجزر الصخرية الجرانيتية.

♦ متوسط عمق البحيرة حوالى ٢٥.٥ متر [٨٢.٥ قدم] وأعمق أجزائها يصل إلى حوالى

١٣٠ متر [٤٢٦ قدم]. ويحدد المجرى الملاحى الجديد فى البحيرة الآن بعدد من الشمندورات والأبراج. يبلغ العدد الإجمالى للشمندورات من أسوان حتى وادى حلف ٦٠ شمندورة منها ٥٦ داخل حدود مصر. أما عدد الأبراج الإجمالى فهو ٤٠ برج حتى وادى حلفا منهم ٣٨ داخل حدود مصر.

سعة التخزين أو كمية المياه حوالى ١٥٧ كم مكعب. وتفقد البحيرة حوالى ربع كمية المياه التى تدخلها عن طريق التبخر.

طول شواطئها ٧٨٤٤ كم [٤٨٧٥٠ ميل].

◆ وقد وفرت البحيرة أراضى للزراعة الشاطئية وجروفا بمساحة ١٥٠٥٠٠ فدان تقريبا وأكثر الأراضى الشاطئية توجد فى كل من [وادى كلابشة – المحرقة – السيالة – توشكى غرب أبوسمبل] وأكثر الجروف مساحة توجد فى [وادى كركر – وادى كلابشة – المحرقة – وادى عافية – جرف حسين – شمال العلاقى – عمدا – الحصايا] ويصل إجمالى هذه المواقع حوالى ١٢٠ موقع.

■ مشروع توشكى

◆ منذ التسعينيات من القرن الماضى بدأت مصر هذا المشروع العملاق وقبل أن نتحدث عنه من المفيد أن نعرف أن حصة مصر السنوية من المياه من نهر النيل كانت قبل السد العالى ٤٨ مليار متر مكعب سنويا وبعد اتفاقية عام ١٩٥٩م أصبحت ٥٥,٥ مليار متر مكعب سنويا كما يوجد فى الدلتا مخزون ١٢ مليار متر مكعب من مياه الصرف الزراعى يستخدم منها كل عام ٤ مليار متر مكعب فقط بالإضافة إلى وجود ٢٠٠ ألف مليار متر مكعب مخزون جوفى فى الصحراء الغربية فى الحجر الرملى بين مصر وليبيا والسودان وتشاد يسحب منها كل سنة ٤ مليار متر مكعب فقط. إذن ما يمكن توفيره من المياه كل عام بخلاف حصة مصر الثابتة من النيل والتى تبلغ ٥٥,٥ مليار هو مشروعات إعادة الإستخدام لحوالى ٧,٥ مليار من مياه الصرف الزراعى + مياه الخزانات بالوادى والدلتا التى يمكن سحب ٧ مليار منها سنويا + مشروعات تطوير نظم الرى بالأراضى القديمة وترشيد المحاصيل عالية الإستهلاك والتى توفر ٤ مليار سنويا + مخزون الصحراء الغربية ٤ مليار سنويا = ٢٢,٥ مليار متر مكعب سنويا وهى تكفى للتوسع فى الأراضى الزراعية بمساحة ٣,٤ مليون فدان.

♦ مشروع توشكى عبارة عن شبكة قنوات تحمل المياه من بحيرة ناصر لرى أجزاء من التربة الرملية فى صحراء مصر الغربية وهى جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية ومن المعروف أن أعلى مستوى للمياه فى بحيرة ناصر هو ١٨٢ متر فوق سطح البحر. وكانت البداية فى عام ١٩٧٨م عندما شقت مصر قناة السادات غرب بحيرة ناصر والتى اخترقت وادى توشكى لتصريف المياه الزائدة عن مستوى ١٧٨ متر. وكانت هذه المياه تصرف فى منخفض ضخم عرف بمنخفض توشكى حتى جاء عام ١٩٩٠م حين بدأت المياه الزائدة فى الاندفاع فى قناة السادات إلى الصحراء الغربية مكونة ما يشبه ثلاث بحيرات أطلق عليها ساعتها بحيرات توشكى والتى بلغت مساحتها ١٣٠٠ كم مربع. ثم جفت هذه البحيرات فيما بعد مخلفة مساحات كبيرة من التربة الرملية المختلطة بالغرين والتى يمكن زراعتها. وعلى ذلك فإن هذه البحيرات كانت نتاج طبيعى قدرى لتصريف المياه الزائدة عن الحد الأقصى لبحيرة ناصر. وفى عام ١٩٩٧م اتخذت الحكومة المصرية قرارا بالبدء فى مشروع وادٍ جديد لإقامة تجمعات زراعية وصناعية جديدة. وكان ينظر إليه كمشروع طموح سوف يجعل مصر فى حالة نجاحه قادرة على حل مشكلة الزيادة المطردة فى السكان.

♦ وقد حددت مصر أهدافها من مشروع توشكى فى الآتى:-

- إضافة مساحة جديدة من الأراضى الزراعية تبدأ من نصف مليون فدان وتصل لأكثر من ٢ مليون فدان تقع جنوب الوادى بين مفيض توشكى وواحة باريس ومشروع شرق العوينات.
- إقامة تجمعات عمرانية جديدة تستوعب حوالى ٥ مليون مواطن.
- زراعة بعض المحاصيل بغرض التصدير مثل [القمح – القطن – الشعير – النخيل – الموالح والفاكهة].
- إنشاء ٦ محطات كهربائية بطول المجرى المائى لتوليد الكهرباء.

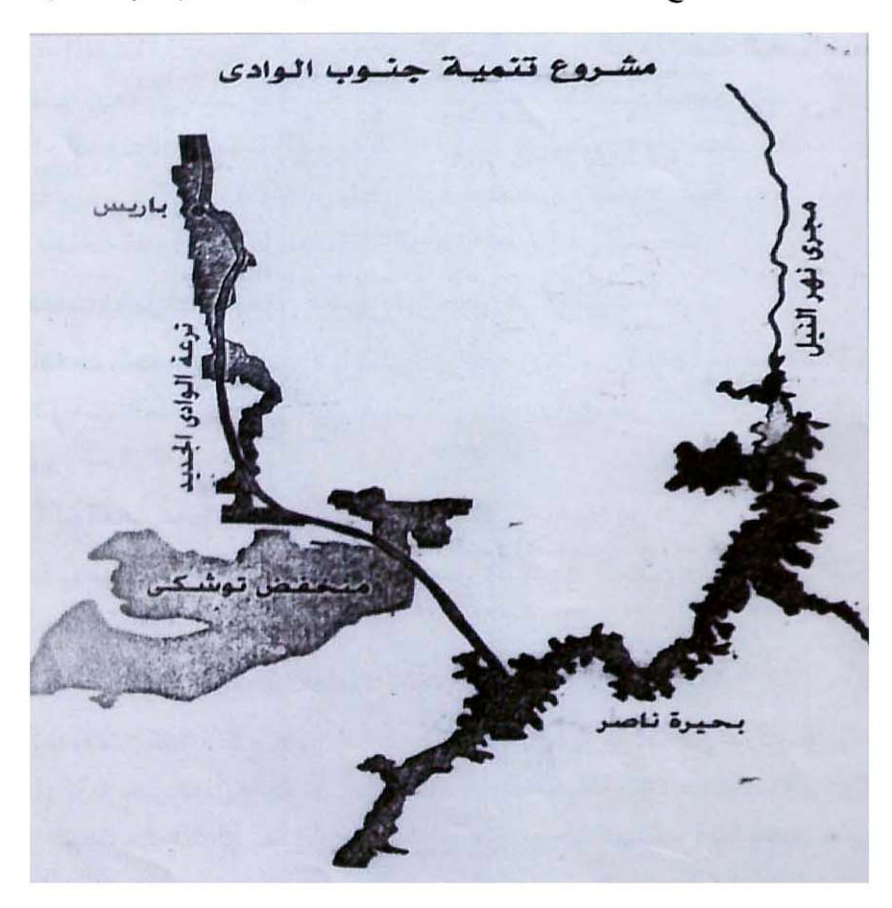
♦ تبدأ القناة من نقطة تقع على بعد ٨ كم شمال خور توشكى غرب بحيرة ناصر وتتجه غربا حتى تصل واحة باريس قاطعة بذلك مسافة ٢٥٠ كم وتروى ٢٦٠ ألف فدان فى المرحلة الأولى. على أن يبلغ طولها فى المرحلة النهائية ٨٥٠ كم حتى باقى الواحات لخدمة مليون فدان تصل فيما بعد إلى مليونى فدان كهدف نهائى.

♦ فى المجرى المائى يبلغ عرض القاع ٣٠ متر وعرض السطح ٥٤ متر مع عمل تبطينات

على الجانبين بطول ٨ متر وعمل جسور بعرض ٢٠ متر.

عمق المياه فى المجرى ٦ متر وعمق الحفر ٧ متر وسمك التبطين ٢٠ سم وسمك العازل واحد سم.

- كمية الحفر والردم فى مشروع السد العالى بلغ ٥٧.٥ مليون متر مكعب وفى قناة توشكى بلغ ٨٠ مليون متر مكعب.
- محطة الرفع العملاقة بها ٦ أنفاق و٣٠ محطة طلمبات لسحب المياه من بحيرة ناصر على منسوب ١٤٧.٥ متر ورفعها حتى منسوب ٢٠٠ متر وتعمل بطاقة كهربائية ٣٥٠ ميجاوت/ ساعة لدفع ٢٥ مليون متر مكعب من المياه يوميا [٢ مليار متر مكعب سنويا].



خريطة مشروع توشكى

▪ الملامح الجيولوجية للنوبة

من وجهة النظر الجغرافية والجيولوجية فإن النوبة تنقسم إلى منطقتين وادى النيل والصحراء.

▪ وادى النيل. يمتد النيل النوبى من حلفا حتى أسوان مغطيا مسافة ٣٥٠ كم تقريبا وسط وادى ضيق ذو منحدرات فجائية وعرة. وفيما بين حلفا وبين بلانة حفر النهر مجراه فى صخور حجر رملى ولو أن هذا المجرى قد اختفى تماما تحت مياه بحيرة ناصر فإن بعض هذه الصخور بدأت تظهر اليوم كجزر على سطح البحيرة.

فى كوروسكو تبلغ التلال الجبلية من ٣٠٠ – ٥٠٠ متر وهذه حديثة نسبيا ذات صخور وعرة وطبيعة جغرافية متنوعة ومميزة.

♦ وبين منطقة وادى العلاقى وأسوان فقد حفر النيل مجراه فى أرض جرانيتية والتى يوجد على سطحها طبقات من الحجر الرملى. وقبل تكوين بحيرة ناصر فالنيل قد حفر مجراه قرب كلابشة وسط صخور بللورية فى اتساع لم يتعد ٢٠٠ متر. وقرب أسوان تعترض مجرى النهر تلال عظيمة من الصخور الحمراء والتى تكون الشلال الأول. وقد اختفت هذه الصخور فى شمال أسوان لتستبدل بجزر من الطمى استقرت على بقايا الصخور الحمراء أو طبقات الصخور الرملية.

▪ الصحارى. بين أدندان وكلابشة تمتد الصخور الرملية على ضفاف البحيرة. وهى طبقات رأسية منحدرة قليلا للشمال. وهى ذات ألوان متنوعة فمن الأسود إلى البنى ذو الحمرة إلى الأصفر الخفيف أو الأسمر أو الأبيض وهو ما يعطى منطقة النوبة صبغة بنية مميزة. وتكون الصخور الرملية بعض التصدعات أو الشقوق التى تتجه من الشرق إلى الغرب خاصة جنوب مرتفعات كوروسكو أو من الشمال للجنوب فى أعلى وأسفل انحدار النهر فى كوروسكو وبعضها له امتداد واضح مثل ارتفاعات كلابشة.

♦ وهذا الامتزاج فى الخطوط والمستويات يعطى تأثيرا عظيما على الملمح الرئيسى للنوبة. يظهر هذا فى اتجاه قمم الجبال والتكوينات المورفولجية وكذلك خط سير النهر. هذه التكوينات تأخذ اتجاها شرقيا غربيا فى الجنوب أو شماليا جنوبيا فى الشمال لكوروسكو.

♦ وفى المنطقة التى تفصل كوروسكو وأسوان يظهر جرانيت أسوان تحت طبقة رقيقة من الصخور الرملية وتتميز المنطقة أيضا بوجود تلال الرمال. فى الجنوب عند

الإقتراب من أبى سمبل تظهر أنواع من التلال الصخرية الرملية آخذة شكل إسطوانى مخروطى على ضفاف البحيرة. وتحل المرتفعات الطويلة من الصخور الرملية فى شمال كورسكو بدلا من التلال المخروطية من نفس نوع الصخر الرملى ويستمر هذا الشكل بينما تحيط هذه القمم مساحة ٣٠٠ كم جنوب مرتفعات كلابشة.

وتنحدر طبقات الصخور الرملية بعيدا عن هذه المساحة وتظهر مثل ظهر القنفد بينما تعود الصخور الحمراء للظهور وسط السهول. وبخلاف ذلك فهناك أيضا مناطق الغارينا والرواسب الطينية والطمى المغطاة بطبقة من الرمال تحملها أو تأتى المياه خاصة فى السيالة والدكا.

♦ فى غرب البحيرة فى توشكى وحتى الحدود المصرية السودانية فى الجنوب تظهر الصخور الباقية من البازلت والدوليرايت. وبين كلابشة وأسوان نرى القمم التى تحيط بضفاف البحيرة والمكونة من صخور رملية وذات ارتفاع متنوع من الشرق للغرب للبحيرة. فى الغرب يمتد السهل الطينى من جبل كلابشة فى الجنوب حتى الأقصر فى الشمال وهى منطقة ذات ارتفاع ٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر و٤٠ كم فى متوسط الإتساع. فى أسوان عندما نتجه للشمال تتوالى القمم العالية وهى تحيط بالنيل ولكنها تفقد من ارتفاعها على الجانب الأيسر للنهر وهنا بدلا من القمم المتوازية للصخور الرملية ذات طبقات الطمى تظهر صخور ذات اتساعات مختلفة وهى المميزة للضفة الغربية للنهر.

■ دول منابع النيل (بطاقة تعارف)

▪ إثيوبيا:

- الإسم (جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الإتحادية). تقع فى شرق إفريقيا ويحدها من الغرب السودان ومن الجنوب كينيا ومن الجنوب الشرقى الصومال ومن الشرق جيبوتى ومن الشمال إريتريا. تبلغ مساحتها حوالى ١١٥٧٥٨٥ كم مربع. عاصمتها أديس أبابا. يبلغ عدد سكانها حوالى ٧٠ مليون نسمة ويدين حوالى ٤٠ ٪ منهم بالإسلام وأكثر من ٤٠ ٪ يدينون بالمسيحية الأرثوذكسية. اللغة الرسمية الأمهرية بالإضافة لوجود حوالى ٧٠ لغة محلية أهمهم تيجرينا – أورومينجا والعربية. معرفة القراءة والكتابة ٣٧ ٪ من السكان. العملة المحلية (بير) ويساوى ١٠٠ سنت. الأرض الزراعية ١٢ ٪. وتشتهر بزراعة البن الذى يمثل ٦٠ ٪ من الصادرات بجانب بذور الزيت – الحبوب

الشعير – قصب السكر – القطن. الثروة الحيوانية (الماشية ٣٠ مليون رأس – الدواجن ٥٥ مليون). الثروة المعدنية تتمثل فى البلاتينوم – الذهب – النحاس – البوتاس. الصناعات (الكيماويات – المنسوجات – الأسمنت – تكرير البترول). أهم الصادرات البن – المنتجات الجلدية – الذهب – المنتجات البرولية. أهم الواردات الآلات والمعدات – المدخلات الصناعية – الكيماويات الدوائية – الكيماويات. أهم الشركاء التجاريون السعودية وألمانيا واليابان وأمريكا وإيطاليا. الأجناس متعددة أكثر من ٧٠ مجموعة عرقية أهمها جلّلا ويمثلون ٤٠ ٪ من السكان ومجموعة أمهرا وتيجريس ويمثلون ٣٥ ٪ من السكان. التقسيمات الإدارية تقسم إلى ٩ أقاليم إدارية والعاصمة الإتحادية. من أقدم دول إفريقيا السمراء حيث يعود تاريخها المكتوب إلى ألفى عام مضت. الأسرة الملكية التى تحكمها كانت تزعم أنها من نسل الملك منليك الأول الذى يسود اعتقاد أنه ابن ملكة سبأ والنبى سليمان. أما الدولة بشكلها الحالى فهى مجموعة ممالك صغيرة كانت تدين بالولاء للإمبراطور الإثيوبى. فى العصر الحديث برزت إثيوبيا إلى الوجود على يد الملك منليك الثانى الذى قهر الغزو الإيطالى ١٨٦٩م وبعد وفاته تولت ابنته عرش الإمبراطورية وبعد وفاتها تولى ابن عم أبيها تافارى الإمبراطورية تحت اسم هيلا سيلاسى الأول ١٩٣٠ م. ١٩٣٥م قامت إيطاليا بغزوها مرة أخرى وضمتها إلى إريتريا حتى هزم الإنجليز الإيطاليين ١٩٤١م وعاد الإمبراطور للحكم حتى قامت ثورة طلابية فى عام ١٩٧٤م وتولت الحكم حكومة عسكرية وتم إعلان إثيوبيا كدولة اشتراكية وتم قمع المعارضة وتم الحد من نفوذ الكنيسة القبطية. ١٩٧٥م قتل الحاكم العسكرى وتولى العقيد منجستو هيل مريام الحكم حتى عام ١٩٨٥م حين وقعت أسوأ مجاعة فى تاريخ البلاد ومات قرابة مليون شخص. ١٩٩١م تمت الإطاحة بمنجستو وتولى ميليس زيناوى الحكم وفى نفس العام قامت جبهة تحرير الشعب الإريترى بالسيطرة على مقاطعة إريتريا وفى إبريل ١٩٩٣م جرى استفتاء فى إريتريا واستقلت عن إثيوبيا.

▪ **كينيا:**

- الإسم الرسمى جمهورية كينيا وتقع على الساحل الشرقى لإفريقيا وتبلغ مساحتها حوالى ٥٨٢ ألف كم مربع وتنقسم إلى ٧ ولايات ومجلس بلدية نيروبى وأهم مدنها مومباسا وناكورا. عاصمتها نيروبى. عدد سكانها حوالى ٣٢ مليون نسمة يدين ٤٠ ٪ منهم بالمسيحية البروتستانية و٣٠ ٪ من السكان كاثوليك رومانيون و٦ ٪

مسلمون و٢٣ ٪ لهم ديانات أخرى. اللغتين الرسميتين الإنجليزية والسواحيلية. أما نظام الحكم فينص الدستور على وجود مجلس تشريعى واحد عدد أعضائه ١٨٨ عضو بالإنتخاب و١٢ عضو بالتعيين ويتم انتخاب الرئيس عن طريق انتخابات عامة. العملة الرسمية هى الشلن الكينى ويساوى ١٠٠ سنت. الأرض الزراعية تمثل ٩ ٪ من المساحة وأهم المحاصيل الزراعية البن والذرة والشاى. الثروة الحيوانية (الدواجن ٣٠ مليون – الأبقار ١٥ مليون رأس – الضأن ٥ مليون – الخنازير ١١٠ ألف). الثروة المعدنية تتمثل فى الذهب – الحجر الجيرى – الملح – الياقوت – حجر الفلوسبار – العقيق). الموارد الأخرى تتمثل فى الجلود المدبوغة ومنتجات الألبان والزهور فهى رابع أكبر مصدر للزهور فى العالم. أهم الصناعات السياحة والصناعات الزراعية وتكرير البترول. أهم الصادرات البن والشاى والبترول المكرر أما أهم الواردات فهى الآلات – معدات النقل – البترول الخام – منتجات الحديد والصلب. أهم الشركاء التجاريين بلدان أوربا الغربية والشرق الأقصى وأمريكا والشرق الأوسط. فى القرن ٨م استوطن التجار الغرب الساحل الشرقى لإفريقيا. وفى القرن ١٦م أعلن البرتغاليون سيادتهم على هذا الساحل. فى القرن ١٨م أعاد سلطان عمان سيادته عليها. فى القرن ١٩م بدأ توافد المستكشفين الأوروبيين وتبعهم المبشرون المسيحيون. فى عام ١٨٨٧م استأجرت شركة إنجليزية جزءا من الساحل من سلطان زنزيبار وفى عام ١٨٩٥م أعلنت بريطانيا أحقيتها فى منطقة داخلية أطلقت عليها اسم (محمية شرق إفريقيا). فى عام ١٩٠٣م تم مد خط سكة حديد من مومباسا حتى أوغندا وبدأ المستوطنون البريطانيون فى زراعة المرتفعات. عام ١٩٢٠م أصبحت محمية شرق إفريقيا تعرف باسم مستعمرة كينيا. ١٩٤٤م تأسس الإتحاد الإفريقى الكينى للمطالبة بحقوق السكان الأفارقة وكان جومو كينياتا هو زعيمه وكانت قبيلة كيكويو تسيطر عليه وانبثقت منه جمعية ماو ماو السرية لطرد المستوطنين البيض من الأراضى الإفريقية وتم سجن كينياتا ١٩٥٣م حتى ١٩٥٦م حيث تم نفيه لشمال كينيا. ١٩٦٣م استقلت كينيا وتولى كينياتا رئاسة الوزارة وفى ١٩٦٤م أصبح رئيسا للبلاد.

• **أوغندا:**

– الإسم الرسمى جمهورية أوغندا وتقع فى شرق إفريقيا وهى دولة لا تطل على أى بحر. المساحة تبلغ ٢٣٦٨٨٠ كم مربع ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٧ مليون نسمة. اللغة الرسمية هى الإنجليزية واللغة القومية هى السواحيلية وعاصمتها كمبالا وأهم المدن

الرئيسية جينجا – مبالا – عنتيبى – مَسَكا. يدين ٣٠ ٪ من السكان بالكاثوليكية و٣٠ ٪ بروتستانت و٢٠ ٪ مسلمون و٢٥ ٪ ديانات أخرى. ٦٢ ٪ من السكان يعرفون القراءة والكتابة. تقسم إلى عشر مقاطعات مقسمة إلى ٢٨ منطقة. العملة الرسمية شلن أوغندى ويعادل ١٠٠ سنت. ٢٣ ٪ من المساحة أراضى زراعية. أهم المنتجات الزراعية البن – القطن – الشاى – الذرة. الثروة الحيوانية (٥.٥ مليون رأس ماشية – الضأن ٢ مليون والخنازير مليون رأس). الموارد المعدنية يتمثل فى النحاس – الكوبالت – الملح – الحجر الجيرى. أهم الواردات تتمثل فى منتجات البترول – الماكينات – المعادن – الأغذية. أما أهم الصادرات فهى البن والقطن والشاى. فى القرن ١٦م أسس المهاجرون القادمون من جنوب شرق السودان مملكة بونيورو وفى القرن ١٧م تأسست مملكة بوغندا وفى منتصف القرن ١٩م وصل تجار العاج والرقيق العرب إليها وكذلك المستكشفون الأوربيون والمبشرون المسيحيون. من ١٨٨٥ – ١٨٨٧م كان هناك عصر الشهداء الأوغنديين المسيحيين الذين اضطهدهم موانجا حاكم المملكة. فى عام ١٨٩٠م وصلت شركة إفريقيا البريطانية وعقدت مع الحكام المحليين بعض المعاهدات. فى ١٨٩٤م أنشأت بريطانيا محمية أوغندا ومنحت بوجندا الحكم الذاتى. فى ١٩٠٤ أدخل الفلاحون القطن. فى ١٩٦٢م حصلت على استقلالها الكامل من بريطانيا ولكنها دخلت رابطة الكومنولث البريطانى. فى ١٩٦٦م خرج الملك موتيسا من الحكم وقاد أوبوتى إنقلابا ضده وأصبح أول رئيس للجمهورية. ١٩٧١م تمت الإطاحة به فى إنقلاب للجيش قاده عبيدى آمين الذى أقام حكما دكتاتوريا وطرد ما يقرب من ٤٩ ألف أوغندى من البلاد. ١٩٧٦م قامت الحرب مع تنزانيا بعد أن ضم جزءا من أرض تنزانيا وأرغمه معارضوه على مغادرة البلاد فى ١٩٧٩م وتلى ذلك أن تولى الحكم عدد من الرؤساء الذين واجهوا اضطرابات حتى عام ١٩٩٣م حين أعيد تنصيب ملك بوجندا سلطانا رسميا وكان أول ملك هو رونالد موتيبى. ثم عاد الحكم الرئاسى مع موسفينى ١٩٩٦ م.

• تنزانيا :

- الإسم الرسمى جمهورية تنزانيا المتحدة وتقع فى شرق إفريقيا. تبلغ مساحتها نحو ٩٤٥ ألف كم مربع. عاصمتها دار السلام وأهم المدن زنزيبار وموانزا. عدد السكان ٣٣ مليون نسمة أغلبهم من المسلمين والمسيحيين. اللغتين الرسميتين هما الإنجليزية والسواحيلية. السكان هم من أكثر من ١٠٠ قبيلة من قبائل البانتو. ٦٨ ٪

من السكان يعرفون القراءة والكتابة. تتكون من تنجنيقا وهى الجزء البرى ومن جزيرة زنزيبار التى تتمتع بحكم ذاتى داخلى وجزيرتى بمبا ومافيا وذات نظام جمهورى يتم انتخاب الرئيس فى انتخابات عامة وهو الذى يتولى تعيين الوزراء. أعضاء المجلس التشريعى عددهم ٢٤٤ عضو منهم ١١٩ يتم انتخابهم من البر و٥٠ عضو من جزيرة زنزيبار و١٠ أعضاء يعينهم الرئيس و٥ أعضاء يرشحون من المؤسسات القومية المختلفة و٢٠ عضو ينتخبهم أمجلس نواب زنزيبار ومأمورو الأقاليم الخمسة والعشرين أعضاء بحكم وظائفهم و١٥ مقعد للنساء. تمثل الأراضى الزراعية ٥ ٪ من المساحة. العملة الرسمية الشلن التنزانى ويعادل ١٠٠ سنت. أهم المنتجات الزراعية الذرة - الكاسافا - القمح - القطن - البيرثوم من نباتات الزينة ويستخدم لعمل المبيدات الحشرية - البن الشاى - السيسل - القرنفل. الموارد الطبيعية تتمثل فى الطاقة - الفوسفات - فحم - قصدير - الذهب - الماس. الثروة الحيوانية تتمثل فى (الماشية ١٣ مليون رأس - الماعز ١٠ مليون رأس - الضأن ٤ مليون. أهم الصادرات البن - القطن - السيسل - البن - الشاى. أهم الواردات السلع الصناعية - الماكينات - معدات النقل. أهم الشركاء التجاريين ألمانيا - إيطاليا - الدانمرك - كينيا - هونج كونج. بدأ العرب فى استيطان المنطقة فى القرن ٨م حت القرن ١٦م حين وصل المستكشفون البرتغاليون الذين سيطروا عليها حتى استولى سلطان عمان على السلطة فى البلاد. قى عام ١٨٨٥م أصبحت تنجانيقا ورواندا وبوروندى مستعمرة ألمانية. بعد الحرب العالمية الأولى وضعت تحت الإنتداب البريطانى. أما زنزيبار فلم تذكر فى التاريخ إلا فى القرن ١٢م وكانت دائما على صلة بجنوب شبه الجزيرة العربية. فى عام ١٥٠٣م أصبحت تحت السلطة البرتغالية حتى طردوا على يد سلطان عمان ١٦٩٨م وفى عام ١٨٦١م أعلنت استقلالها عن عمان ثم أصبحت محمية بريطانية ١٨٩٠ م. حصلت تنجانيقا على استقلالها عام ١٩٦١م وزنزيبار عام ١٩٦٣م وفى عام ١٩٦٤م اندمجت الدولتان فى دولة واحدة. والذى قام بهذا الإندماج الرئيس جوليس نيريرى الذى قاد تنجانيقا للإستقلال.

- **رواندا:**

- الإسم الرسمى جمهورية رواندا وتقع فى المنطقة الإستوائية وتبلغ مساحتها نحو ٢٦ ألف كم مربع. العاصمة كيجالى وأهم المدن بوتارى وروهنجيرى. عدد السكان حوالى ٩ مليون نسمة منهم ٦٥ ٪ من السكان يدينون بالمسيحية الكاثوليكية و٢٦ ٪ بروتستانت و١٥ ٪ مسلمون و١٣ ٪ يدينون بديانات أخرى ويعرف القراءة والكتابة

حوالى ٦٠ ٪ من السكان. ينتمى أكثر من ٨٠ ٪ من السكان لقبائل الهوتو والباقى ينتمى لقبائل التوتسى وهناك أقلية من قبائل توا. تتقسم إداريا إلى ١٢ ولاية مقسمة إلى ١٥٥ كميون. اللغات الرسمية الفرنسية والكينياوندية والكيسواحيلى. العملة الرسمية الفرنك الرواندى ويعادل ١٠٠ سنت. ٣٥ ٪ من المساحة أراضى زراعية. أهم المحاصيل البن – الشاى – الموز – البيرثيوم. الثروة الحيوانية عبارة عن الدواجن ٢ مليون – الماعز ٩٨٠ ألف – الأبقار ٥٠٠ ألف – الضأن ٢٧٠ ألف. أهم الصادرات البن – الشاى – القصدير وأهم الواردات المنسوجات – المواد الغذائية – المعدات – الحديد والصلب. من القرن ١٠م استوطنت قبائل الهوتو معظم المناطق وكانوا زراعا ولكنهم وقعوا تحت سيطرة التوتسى ملاك الماشية وأصحاب القامة الطويلة والذين كونوا طبقة أرستقراطية. فى القرن ١٥م أسس أحد زعماء التوتسى مملكة بالقرب من كيجالى وأخضع لسيطرته قبائل الهوتو. أواخر القرن ١٩م تأسست دولة موحدة عسكرية تحت قيادة كيجيرى روابوجيرى وهو من التوتسى. فى عام ١٨٩٠ خضعت تلك الدولة وكان اسمها رواندى للألمان. عام ١٩١٦م خضعت للإحتلال البلجيكى وبعد الحرب وضعت تحت الإنتداب البلجيكى وظلت كجزء من مستعمرة الكونجو البلجيكية حتى حققت الكونجو استقلالها ١٩٦٠ م. ١٩٥٩م قامت اضطرابات عرقية اضطر خلالها الملك التوتسى للمغادرة وبعدها أعلنت الجمهورية فى البلاد واستقلت عن الكونجو عام ١٩٦٢م وتولى الرئاسة رئيس من الهوتو. ١٩٦٣م محاولة انقلاب فاشلة من الملك التوتسى المنفى أعقبها مذابح ضد التوتسى. ١٩٨٨م استقبلت البلاد الفارين من بوروندى من قبائل الهوتو. فى ١٩٩٤م قتل هابيا ريمانا رئيس رواندا ومعه نتارياميرا وكلاهما من الهوتو مما فجر الإضطرابات والعنف التى قتل خلالها أكثر من نصف مليون شخص أغلبهم من التوتسى واندلعت حرب أهلية وسعت جبهة رواندا التوتسية للإنفصال وفر حوالى ٢ مليون شخص من التوتسى والهوتو على حد السواء إلى الكونغو. وتحركت قوات فرنسية بتفويض من الأمم المتحدة لإقامة مناطق آمنة. وفى ١٩٩٧م كانت هناك موجة أخرى من العنف وفى نفس العام حكمت محكمة جرائم الحرب على رئيس الوزراء جان كمبدا بالسجن مدى الحياة

- **بوروندى:**

- الإسم الرسمى جمهورية بوروندى وتبلغ مساحتها نحو ٢٧ ألف كم مربع وعاصمتها بوجمبورا وأهم المدن كيتيجا وبورورى ونجوزى. يبلغ عدد السكان نحو

سبع ملايين نسمة يدين منهم ٥٧ ٪ بالمسيحية و٣٢ ٪ ديانات أخرى و١ ٪ مسلمون. اللغة الرسمية هى كيروندى والفرنسية. السكان أغلبهم من الهوتو ٨٥ ٪ وهم الزراع والتوتسى ١٥ ٪ وأغلبهم من الرعاة ومربى الماشية. ويعرف القراءة والكتابة حوالة ٣٥ ٪ من السكان. العملة الرسمية الفرنك البوروندى ويعادل ١٠٠ سنت. الأراضى الزراعية تمثل ٤٣ ٪ من المساحة وأهم المحاصيل البن – القطن – الشاى – الموز. الثروة المعدنية تتمثل فى النيكل – اليورانيوم – الكوبالت – النحاس – البلاتنيوم. أهم الصادرات البن والشاى والقطن والجلود بينما أهم الواردات الغذاء والمنتجات البترولية وأهم الشركاء فى التجارة أوروبا الغربية وآسيا. تاريخها يتطابق مع تاريخ رواندا حتى عام ١٩٦٢م حين انفصلت عن اتحاد رواندا – بوروندى وكونت مملكة مستقلة تحت اسم بوروندى وتولاها ملك توتسى هو موامبوتسا الرابع. فى عام ١٩٦٦م أعلنت الجمهورية وكان الحزب السياسى الوحيد يسيطر عليه التوتسى. فى عام ١٩٧٢م قام الهوتو بثورة فاشلة خلفت ١٠ آلاف قتيل من التوتسى و١٥ ألف قتيل من الهوتو. فى عام ١٩٧٦م قاد العقيد جازا من التوتسى انقلابا وشن حملة ضد الفساد وأعلن عن خطط للتنمية إلا أنه قد أطيح به بانقلاب آخر أيضا من التوتسى. فى ١٩٨٨م اندلعت الإضطرابات العرقية وقتل ٢٤ ألف من الهوتو وفر منهم أكثر من ٦٠٠ ألف إلى الكونغو. ١٩٩٤ انتخب تنارا من الهوتو رئيسا للبلاد ولكنه قتل فى حادثة طائرة وأشعل مقتله مذابح دموية هائلة فى كل من بوروندى ورواندا. فى ١٩٩٦م قام بايويا من التوتسى بانقلاب أدى لفرض عقوبات على بوروندى.

▪ **الكونغو الديمقراطية (زائير سابقا):**

- الإسم الرسمى جمهورية الكونغو الديمقراطية وأيضا الكونغو كينشاسا لتمييزها عن الكونغو برازافيل. تبلغ مساحتها ٢,٣ مليون كم مربع وعدد سكانها حوالى ٥٥ مليون نسمة. العاصمة كينشاسا وأهم المدن لومومباشى ومبوجى. يدين ٧٢ ٪ من السكان بالمسيحية و١٧٪ مسلمون و١٠ ٪ يدينون بديانات أخرى. يوجد بها أكثر من ٢٠٠ قبيلة من قبائل البانتو ويعرف ٧٧ ٪ من السكان القراءة والكتابة. اللغة الرسمية الفرنسية ومعها أكثر من ٤٠٠ لهجة محلية. العملة الرسمية الفرنك الكونغولى. والأرض الزراعية تمثل أكثر من ٣ ٪ من المساحة. أهم المنتجات الزراعية قصب السكر – الأرز – الذرة – الموز – البن – زيت النخيل – المطاط – الخضروات – الفواكه. الثروة الحيوانية (الماعز ٥ مليون رأس – الماشية ١,٥ مليون رأس – الضأن ٢ مليون رأس – الخنازير ١,٣

مليون رأس – الدواجن ٢٥ مليون). الموارد الطبيعية (النحاس – الكوبالت – الزنك – الماس الصناعى – المنجنيز – القصدير – الذهب – الفضة – البوكسيت أو خام الألومنيوم – الحديد – الفحم – البترول). أهم الصادرات المعادن السابقة والبن. أهم الواردات السلع الإستهلاكية – معدات النقل – الوقود. أهم الشركاء بلجيكا – جنوب إفريقيا – إيطاليا – اليابان – إنجلترا. السكان الأوائل كانوا من قبائل البيجميين والبانتو وعند وصول المستكشفين البرتغاليين إليها فى القرن ١٥م كانت مع أنجولا تحت حكم مملكة بانتو باكونجو الكبيرة. ١٨٧٦م أسس الملك البلجيكى ليوبولد الثانى مجموعة دولية لاستغلال منطقة الكونغو. فى عام ١٨٧٧م قام المستكشف البريطانى هنرى ستانلى باستكشاف الكونغو. فى مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥م تم الإعلان عن دولة الكونغو والملك البلجيكى مالكها. فى عام ١٩٦٠م استقلت الكونغو وأعلنت الجمهورية وترأس الزعيم الكونغولى باتريس لومومبا الوزارة وشكل حكومة ائتلافية. ولكن نشبت الحرب الأهلية عندما أعلنت مقاطعة كاتنجا الغنية بالمناجم استقلالها. فى ١٩٧٠م تولى موبوتورئاسة البلاد. ودخلت البلاد فى فوضى واضطرابات سياسية استمرت حتى دخلت القوات المعارضة تحت قيادة كابيلا مدينة كينشاسا وأعلن كابيلا نفسه رئيسا للبلاد ١٩٩٧ م.

▪ **إريتريا:**

- وعاصمتها أسمرة وتبلغ مساحتها ١٢١٢١٢ كم مربع وعدد سكانها حوالى ٥ مليون نسمة. أهم المدن كيرين وأديجرات. السكان من جماعات عرقية متعددة أهمها الأمهارا والتيجريس. اللغات الرسمية الأمهرية وتيجرينا والعربية ولغات أخرى. أما الديانة فالسكان مسلمون ومسيحيون أقباط. ٢٠ ٪ من السكان يعرف القراءة والكتابة. تتقسم إداريا إلى ٨ أقاليم وتبلغ المساحة الزراعية ١٢ ٪ من جملة المساحة. أهم المحاصيل القطن – البن – العدس – السرجوم – الطباق. الثروة الحيوانية تتمثل فى الضأن ١.٥ مليون رأس والماعز ٢ مليون رأس والأبقار ١.٥ مليون. أهم الصادرات البن أهم الواردات المواد الغذائية والمعدات. الثروة المعدنية الذهب – البوتاس – الزنك والنحاس. تقع فى شرق إفريقيا على الساحل الجنوبى الغربى للبحر الأحمر. كانت إريتريا جزءا من مملكة أكسوم الإثيوبية حتى انهيارها فى القرن ٨م ثم خضعت للإمبراطورية العثمانية فى القرن ١٦م ولحكم مصر بعد ذلك. فى عام ١٨٨٥م احتل الإيطاليون المناطق الساحلية وأعطت معاهدة أوكيالى ١٨٨٩م السيادة لإيطاليا على جزء من إريتريا. غزا الإنجليز إريتريا فى

عام ١٩٤١م وبعد ذلك أداروها تحت وصاية الأمم المتحدة. فى ١٩٥٢م اتحدت مع إثيوبيا وأصبحت ولاية إثيوبية فى ١٩٦٢م مما أشعل ثورة للإنفصال استمرت ٣٠ عاما وقتل خلالها حوالى ١٥٠ ألف شخص. فى عام ١٩٩٠م استولى الثوار على ميناء مَسّوَا الإستيراتيجى. فى ١٩٩١م تمت الإطاحة بمنجستو فى إثيوبيا واستولت جبهة تحرير الشعب الإريترى على إريتريا وشاركت فى الحكم مع الجبهة الثورية للشعب الإثيوبى والتى وافقت على إجراء استفتاء فى إريتريا ١٩٩٣م أدى لاستقلال إثيوبيا وفى نفس العام اعترفت إثيوبيا باستقلال إريتريا. ثم حدثت خلافات بعد ذلك بين الدولتين على الحدود وتم التوصل لاتفاق الجزائر وجار تنفيذه بإشراف الأمم المتحدة.

■ أزمة المياه والموقف المصر

- تفجرت فى الفترة الأخيرة أزمة حادة بين دول حوض النيل العشرة وتشابكت خيوط الأزمة بشكل معقد وخطير يهدد الأمن المائى المصرى. هذه الأزمة ليست وليدة اليوم وإنما نتاج لتراكمات عقود طويلة من السنين انشغلت فيها مصر عن دورها الإفريقى بأزمات وحروب المنطقة العربية والشرق الأوسط وكأنه أريد لها هذا الإنشغال لتمتد الأيادى المتربصة إلى دول حوض النيل فى محاولة للضغط على مصر عن طريق التأثير فى حقوقها فى المياه وهى حق الحياة لكل المصريين.
- لقد فطن حكام مصر دائما إلى ضرورة تأمين منابع النيل ومنهم محمد على باشا الذى أرسل حملته العسكرية الشهيرة إلى هناك. واتخذ الاستعمار البريطانى من مياه النيل أداة للضغط والمساومة وكانت خطط تخزين مياه النيل الأزرق والأبيض فى السودان توضع تحت تصرف اللورد كتشنر شخصيا لكونها – من وجهة نظره – ورقة سياسية تحل بها أى مسألة تثار مع أو ضد مصر.
- فى عام ١٩٢٩م توصلت بريطانيا ومصر إلى اتفاق أخذ شكل مذكرات تبادلية بين رئيس الوزراء المصرى والمندوب السامى البريطانى ممثلا للسودان وكينيا وأوغندا وتنزانيا. وقد نصت هذه الإتفاقية على عدم قيام أعمال رى أو توليد طاقة هيدروكهربائية على النيل أو فروعه أو على البحيرات التى ينبع منها سواء فى السودان أو فى البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية من شأنها إنقاص مقدار المياه الذى يصل إلى مصر وكذلك حق مصر فى مراقبة مجرى النهر من المنبع إلى المصب وأخذ موافقتها فى أى مشروع يقام عليه.

قوبلت الإتفاقية بانتقادات عديدة من دول حوض النيل خاصة السودان وتصاعدت حدة هذه الانتقادات بعد استقلال السودان ١٩٥٥م الذى اعتبرها تسوية سياسية مع طرف أجنبى وبغير إرادته وأنها تعطى مصر حق الفيتو كما تعطيها السيادة الهيدرولوجية المطلقة على كل حوض النيل.

- ثم تم توقيع اتفاقية ١٩٥٩م بين دول الحوض وهى التى تنص على حصول مصر على ٥٥.٥ مليار متر مكعب من ماء النيل وتحصل السودان على ١٤ مليار متر مكعب مع ملاحظة أن مصر تحصل على ٨٥٪ من حصتها عبر إثيوبيا و١٥٪ عبر أوغندا. كما تعطى مصر باعتبارها دولة المصب حقوقا فى مراقبة المشاريع المائية على طول مجرى النهر.
- تم توقيع بعض الاتفاقيات الثنائية قبل وبعد هذا التاريخ ومنها ما اتفق عليه كل من مصر والسودان بخصوص قناة جونجلى فى جنوب السودان وهى القناة التى يبلغ طولها حسب التصميمات ٣٦٠ كم وتهدف لتأمين تدفق ٤.٧ مليار متر مكعب من مياه النيل تقسم بالتساوى بين مصر والسودان. وحتى ٢٠٠٩م كان قد تم حفر ٢٦٠ كم أى ما يوازى ٧٠٪ منها ثم توقف العمل بسبب الحرب الأهلية فى السودان. الجانب المصرى ما زال مستمرا فى الأعمال الفنية المشتركة وفى مقدمتها تطهير المجارى المائية فى بحر الغزال وإن كان الإستفتاء المقرر له ٢٠١١م قد ينتج عنه انفصال جنوب السودان واعتباره الدولة رقم ١١ فى دول حوض النيل. وإن لم تتوصل مصر لتفاهم مباشر مع حكومة جنوب السودان فسيصبح مشروع القناة مهددا بعدم الاستكمال.
- لقد كان التواجد المصرى القوى فى إفريقيا هو الحافظ لحقوق مصر التاريخية فى مياه النيل والضامن لاستمرار العمل بالإتفاقيات الموقعة بين دول حوض النيل. وقد بنت مصر شرعية دورها فى المرحلة الأولى والتى تتمثل فى الفترة ١٩٥٢ – ١٩٧٠م على دعم حركات التحرر فى إفريقيا بكل السبل وأوكلت مصر إلى أحد رجالها فى ذلك الوقت {محمد فائق} القيام بهذا الدور. أما المرحلة الثانية التى تلت حرب أكتوبر فكانت امتدادا ناجحا للمرحلة الأولى وشهدت تعيين وزير دولة للشئون الخارجية {بطرس غالى} كانت مهمته الأولى الملف الإفريقى. ثم بدأ الدور المصرى فى التراجع لأسباب عديدة نتج عنها الموقف الحالى بكل تعقيداته.

■ منذ سنوات وحكومات دول حوض النيل تبدى تذمرها من الإتفاقيات السابقة وضيقها من حقوق مصر التاريخية والقانونية فى مياه النيل. ولم يكن هذا التذمر سوى قمة جبل الثليج الذى يخفى متغيرات وحقائق تبدو صادمة للجانب المصرى.

- فالاتفاقيات الدولية الملزمة بين دول حوض النيل بشأن أنصبة الموارد المائية بين تلك الدول وكذلك الالتزام بالتفاوض والتشاور وحتمية موافقة مصر بوصفها دولة المصب بشأن ما يقام من مشروعات رى فى هذه البلدان بما لا يؤثر فى حصص الدول الأخرى، ظل ذلك هو الإطار القانونى والسياسى والطريق الأمثل للتعامل بين دول حوض النيل لفترة طويلة وقد رفضت المؤسسات الدولية ومنها البنك الدولى طلبات إثيوبيا المتكررة لتمويل مشروعات سدود من شأنها التناقض مع تلك الإتفاقيات الموقعة سابقا.
- لعقود طويلة ظلت منابع النيل الإثيوبية اليد التى تحاول إيلام مصر ولطالما تسابق أعداؤها إلى تلك اليد. فعندما شرعت مصر فى إنشاء السد العالى بمعاونة روسيا سارعت الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة إنشاء ٤ سدود على منابع نهر النيل ١٩٦٤م وهى {كاردوبا – بوردو – منديا – مابيل} وأقل ارتفاع لهذه السدود هو ٨٤ متر {بوردو} وأعلاها ٢٥٢ متر {كاردوبا} ومجموع الطاقة التخزينية لهذه السدود ٧٥ مليار متر مكعب بما يوازى ١٥٠٪ من حجم مياه الأمطار السنوية لحوض النيل الأزرق وعطبرة ولإنتاج طاقة كهربائية بما يعادل ضعف انتاج السد العالى مرتين ونصف. وقد ظهرت هذه الدراسات للوجود مرة أخرى الآن.
- عندما تغيرت الظروف السياسية وأصبحت إثيوبيا حليفا للإتحاد السوفيتى واستعادت مصر علاقاتها مع الولايات المتحدة، قام الروس بالتلوييح لمصر بإمكان التعاون مع إثيوبيا لبناء سد على النيل الأزرق وكان رد الرئيس المصرى محمد أنور السادات أن مصر سوف تقوم بقصف هذا السد إذا ثبت أنه يهدد أمن مصر المائى.
- تعتقد إثيوبيا فى حقها المطلق فى استغلال مياه النيل وفقا لاحتاجاتها التنموية وأنه على دولتى المصب {مصر والسودان} مواءمة احتياجاتهما من المياه مع ما يتبقى من استخدام دول المنبع وتتغافل عن القانون الدولى الذى يعطى لدول المصب لأى نهر حقوقا مشروعة فى المياه وفى المراقبة.
- فى ١٩٨٠م قدمت إثيوبيا مذكرة لمنظمة الوحدة الإفريقية بوجهة نظرها ومطالبها وهددت باجراء تغييرات فى مجرى النهر واستخدام القوة العسكرية إذا اقتضى الأمر ذلك. وردت مصر أنها ستمضى إلى خوض الحرب من أجل تأمين أمنها المائى.
- تقدمت إثيوبيا رسميا بمطالبها إلى مؤتمر الأمم المتحدة للدول النامية ١٩٨١م حيث أعلنت رغبتها فى استصلاح ٢٢٧ ألف فدان فى حوض النيل الأزرق وأكدت أنه

نظرا لعدم وجود اتفاقيات بينها وبين الدول النيلية الأخرى فإنها تحتفظ بحقها الكامل فى تنفيذ مشروعاتها المستقلة.

- فى ١٩٨٤م بدأت إثيوبيا فى تنفيذ مشروع سد {فيشا} أحد روافد النيل الأزرق بتمويل من بنك التنمية الإفريقى وهو سد يؤثر على حصة مصر من المياه.
- فى ١٩٩٧م رفضت إثيوبيا التوقيع على اتفاقية الأمم المتحدة وهى الإتفاقية التى كانت ستحفظ لمصر حقوقها التاريخية فى مياه النيل وحرضت دول حوض النيل الأخرى على التنصل من كل الإتفاقيات التاريخية السابقة.
- ثم حصلت إثيوبيا أخيرا على تمويل صينى إيطالى مشترك لبناء سدود أخرى على أراضيها دون دراسات وبما يخالف الإتفاقيات الدولية وقامت بإنشاء أعلى سد فى القارة الإفريقية على منابع النيل وهو سد {تيكيزى} الذى يبلغ ارتفاعه ١٨٨ متر وقد استكمل بناؤه فبراير ٢٠٠٩م وقامت بتنفيذه الشركة القومية الصينية للموارد المائية والهندسة الكهرومائية وهو أكبر مشروع مشترك تقوم به الصين فى إفريقيا حتى الآن. وكان البنك الدولى قد رفض تمويل هذا السد لمخالفته للقانون الدولى ثم مولته الصين. ويعد نهر تيكيزى أحد روافد نهر النيل وهو يمر خلال منطقة تيجراى الشمالية إلى إريتريا ويمر من خلال أحد أعمق الأخاديد على مستوى العالم ويجرى فى أراضى إثيوبيا الوسطى المرتفعة بالقرب من جبل قاشن داخل لاستا حيث يجرى إلى الغرب والشمال ثم إلى الغرب مرة أخرى تجاه أقصى الحدود الغربية لإثيوبيا وإريتريا ويستمر النهر فى الجريان فى شمال شرق السودان حيث يلتحم مع نهر عطبرة والذى يمثل أحد روافد نهر النيل الرئيسية أى أن نهر تيكيزى هو المجرى الأعلى لنهر عطبرة. وقد تكلف السد ٣٦٥ مليون دولار وسيضيف ٣٠٠ ميجاوات إلى شبكة إثيوبيا وطاقة تخزينه ٩ مليار متر مكعب ستستخدم لرى ٦٠ ألف فدان من الأراضى. وقد بدأ السد بالفعل فى حجز أقوى المياه اندفاعا من نهر تيكيزى وروافده شمال إثيوبيا كما بدأ فى توليد الطاقة منذ بداية موسم الأمطار هذا العام ٢٠٠٩م. ويتضمن المشروع إنشاء نفقين لتحويل مجرى النهر ومسارات مائية للطاقة ومحطة للطاقة تحت الأرض تحتوى على ٤ توربينات وخط تحويل طوله ١٥٠كم لربط المشروع بالشبكة القومية الرئيسية.

بالإضافة للمشكلات البيئية المعروفة للسدود الكبيرة، فإن سد تيكيزى سوف يغير وجه أعمق أخاديد إفريقيا بالكامل حيث من المتوقع أن يساهم عمق جدران

الإخدود فى حدوث ترسيبات كبيرة فى موقع الخزان عند وصول الفيضان إلى المنطقة ويتوقع الخبراء حدوث كارثة إنشائية للسد بعد عدة سنوات.

- وتصر حكومة إثيوبيا على بناء عشر سدود تبلغ تكلفتها ١٣ مليار دولار خلال السنوات العشر القادمة مدعية أن الدولة تعانى نقصا مزمنا فى الطاقة الكهربائية يصل إلى ١٢٠ ميجاوات تستهلك ١٪ من إجمالى ناتجها المحلى بينما تقدر إمكاناتها الكهرومائية بما يزيد عن ٤٠ ألف ميجاوات لذلك فهى تخطط لاستكمال هذه السدود للإستفادة من هذه الإمكانات لتصدير الطاقة لدول شرق إفريقيا. وفى مايو ٢٠١٠م أعلنت عن افتتاح السد الثانى (بيليزى) وإن كان صغيرا مقارنةً بسابقه وهو سوف يستخدم لإستصلاح ١٤٠ ألف هكتار من الأراضى.

ونجاح إثيوبيا فى الحصول على هذا التمويل الصينى الإيطالى قد فتح الباب عل مصراعيه للمستثمرين دولا وشركات ليجعلوا من إثيوبيا شوكة دائمة تهدد أمن مصر المائى. لأن هذه السدود سوف تحرم مصر من ٣ مليار متر مكعب على الأقل سنويا. فقد أدى سد تيكيزى بالفعل إلى نقصان ٢٠ مليون متر مكعب من حصة مصر من مياه النيل فى أول فيضان بعد بنائه ٢٠٠٩م وذلك طبقا لما نشر من مصادر رسمية مصرية.

- وأخطر ما تتحدث عنه إثيوبيا هو دراستها بجدية تحويل مجرى نهر النيل فى منطقة الهضبة الإستوائية فى اتجاه معاكس لاتجاه سير المياه لمنع وصول المياه من الوصول إلى مصر. وإن كانت هذه الفكرة صعبة التنفيذ فى الوقت الحالى فقد تحاول الدخول فى مغامرة لتنفيذها فى وقت لاحق. وتتحدث إثيوبيا عن المياه كأى مورد طبيعى يحق لدول المنبع استغلاله وبيعه لدول المصب.

- من المهم أن نعرف أن اتحاد الكومنولث البريطانى الذى يضم دولا مثل كينيا وأوغندا وتنزانيا قد تقدم بطلبٍ للبرلمان الإنجليزى لإلغاء الإتفاقية الأولى التى وقعتها بريطانيا نيابة عن الدول التى كانت تستعمرها وقد وعد النواب البريطانيون بالسعى نحو هذا التغيير.

- إن ١٥٪ من حصة مصر من المياه تحصل عليها عبر أوغندا التى اتفقت مؤخرا مع إسرائيل على تمويل ثلاثة سدود على نهر النيل لاستخدامها فى توليد الكهرباء وفى التنمية الزراعية بما سيؤثر بالسلب فى نصيب مصر من المياه. هذا بخلاف سد أوين المقام فعلا هناك.

- قام وزير الخارجية الإسرائيلى فى عام ٢٠٠٩م بجولة لخمسة من دول حوض وادى النيل وقد كان على رأس وفد يضم ممثلين عن آكبر الشركات الإسرائيلية فى مختلف المجالات كالزراعة والصناعات العسكرية وذلك لتوقيع اتفاقات لمشاريع كبرى تتعلق باستغلال مياه النيل. ومنها اتفاقيات لبناء ٦ سدود مائية على النيل.
- قد نُشرت هذا العام ٢٠١٠م وثيقة تخص مزائيل السفير الأسبق فى مصر تطالب بتدويل النزاع على حصص المياه بين دول المنبع من جهة ودولتى المصب من جهة أخرى واتهمت الوثيقة مصر باحتكار مياه النيل وإهدار حقوق دول المنبع.
- كشفت إسرائيل علنا أنها تسعى لشراء مياه النيل من دول حوض النيل عبر نيل مصر وترعة السلام إلى إسرائيل مقابل رسوم مرور لمصر!
- ترعة السلام كانت إحدى مشروعات تنمية سيناء وكان مقدرا لها أن تعبر قناة السويس من أمام مدينة الإسماعيلية لتمد وسط سيناء بالمياه لخلق مجتمع زراعى وصناعى على جانبى الترعة ولكن ما حدث أن الترعة تم شقها فى شمال سيناء بالقرب من ساحل البحر المتوسط على الرغم من إجماع خبراء الزراعة والتربة بعدم جدواها فى الشمال لأن السهل فى الشمال ذو تربة رخوة غير صالحة للزراعة كما أن شقها فى الشمال سيعمل على تفريغ وسط سيناء. السبب الذى أعلن لتغيير مسار الترعة أن الجهات المانحة لتمويل المشروع أصرت على ذلك بحجة أن شقها فى وسط سيناء سيواجه جبالا وسيتطلب إقامة محطات رفع مما يترتب عليه ارتفاع الميزانية ولكن الآن ظهر السبب الحقيقى لذلك مع التحركات الإسرائيلية لإعداد العدة لاستقبال مياه النيل عبر النيل المصرى ثم عبر الترعة المذكورة.
- تهدف إسرائيل من وراء تحركاتها فى دول المنبع أولا إلى خنق مصر عن طريق سلسلة من الخطوات لا يعد النيل إلا إحدى حلقاتها وكانت حلقة المبيدات المسرطنة التى أدخلتها إلى مصر هى أشهرها وأكثرها خطورة. بالإضافة للهدف الأكبر وهو مياه النيل وطريقها فى ذلك هو ما تقوم به حاليا.. مشروعات وسدود فى دول المنبع.. وعود لتلك الدول بمساندتها على الصعيد الإقليمى والدولى إقتصاديا وسياسيا فى مواجهة دولتى المصب مصر والسودان.. المحاولات المستميتة لتأليب وفود تلك الدول لإفساد كل جولات المفاوضات لتوقيع الإتفاقية الإطارية.. كل ذلك حتى تجد مصر نفسها يوما فى موقف الإختيار الصعب.. أن تحصل على حصتها من المياه وتقوم بتوصيل المياه لإسرائيل أو لا تحصل على تلك الحصة كاملةً.

- المؤلم أن هناك بحثا قد تم نشره عام ١٩٦٥م يحذر من خطورة ما تقوم به إسرائيل فى الدول الإفريقية للالتفاف لحصار مصر من الجنوب! (صحيفة الجمهورية ٨ مايو ٢٠١٠)
- من الإنصاف أن نشير الآن إلى أن سياسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى دول الجنوب الإفريقى لم تكن ترفا أو سفها سياسيا أو بحثا عن زعامة خادعة كما قيل وإنما كانت حفاظا على أمن مصر المائى. فلو أن مصر قد مدت يد العون لدول المنبع فى أوائل ثمانينات القرن الماضى حين ضرب الجفاف الدول الإفريقية ومات من دول المنبع ٤ ملايين على الأقل – لما سنحت الفرصة للقوى المعادية لمصر أن تعبث هناك.
- أما السودان فقد أتمت فى عام ٢٠٠٩م سد مروى الذى يحتجز مع خزان جبل الأولياء ما يقرب من ١٧ مليار متر مكعب من المياه. ومن المتوقع أنه سيتسبب فى انخفاض منسوب المياه فى بحيرة ناصر على المدى القريب.

■ هناك مشكلة أخرى لا تقل خطورة عن السدود ولم تنل القدر الكافى من الانتباه وهى ما تقوم به بعض الدول المانحة للمعونات من شراء الأراضى أو تأجيرها بمساحات كبيرة من دول المنبع بغرض الزراعة بمساحات شاسعة تفوق قدرة تلك الدول وبما يضيفه من أعباء مائية. مثل عرض السعودية بشراء أو استئجار ٥ مليون فدان والإمارات مليون و٧٥٠ ألف فدان والكويت ٢٥٠ ألف فدان فذلك يعد تهريب وتسريب لمياه النيل فى صورة محاصيل زراعية تستهلك أكثر من حصص تلك الدول من مياه النهر.

■ اتفقت دول حوض النيل العشرة على الاجتماع للتشاور من أجل الوصول لاتفاقية إطارية حول نقاط الإختلاف ولكن ثمان دول {عدا مصر والسودان} رفضت إدراج مطالب مصر والتى تتمثل فى:-

- بند الأمن المائى الذى يحدد حصة مصر بنحو ٥٥,٥ مليار متر مكعب من المياه.
- بند الإخطار الذى يحظر على أى من دول حوض النيل القيام بمشروعات مائية دون إخطار دولتى المصب {مصر والسودان}
- بند الإجماع الذى ينص على أن تصدر القرارات فيما يتعلق بملف المياه بالإجماع أو الأغلبية بشرط موافقة مصر والسودان.

وكان أهم الاجتماعات فى الإسكندرية {يوليو ٢٠٠٩م}. ولم يتم التوصل لاتفاق نهائى ولكن تم الإتفاق على التشاور لمدة ستة أشهر قبل الإجتماع مرة أخرى للوصول

لصيغة نهائية. وقد هددت بعض دول المنبع {أوغندا – تنزانيا – إثيوبيا – رواندا – بوروندى} بالتوقيع على اتفاق بدون مصر والسودان.

- وفى إبريل ٢٠١٠م تمت جولة أخرى من المفاوضات فى شرم الشيخ ولم يتم التوصل لإتفاق ولكن الأخطر أن سبع دول قد أعلنت عزمها على توقيع الإتفاقية الإطارية الجديدة لاستغلال مياه النيل فى مايو من نفس العام وبدون موافقة مصر والسودان مما دعى رئيسى الدولتين لإرسال خطابات لرؤساء هذه الدول بعد فشل المفاوضات على مستوى الوزراء.
- وقد بدأت بوادر هذا الموقف المعقد فى فيضان عام ٢٠٠٩م والذى حصلت فيه مصر على ٥١ مليار متر مكعب فقط ولا يعرف إن كان هذا بسبب ندرة الأمطار المتساقطة على الهضبة الإثيوبية أم بسبب السدود المقامة حديثا.
- فى ١٤ مايو ٢٠١٠ وقعت أربع دول الإتفاقية الإطارية بدون موافقة مصر والسودان وهذه الدول (إثيوبيا – أوغندا – تنزانيا – رواندا) ثم انضمت كينيا إليهم ووقعت رسميا على الإتفاقية يوم ١٩ مايو والكونغو يوم ٢٠ مايو وتم اتخاذ مدينة عنتيبى الأوغندية كمقر لمبادرة دول حوض النيل. ووعدت بوروندى بالتوقيع بعد انتخاباتها الرئاسية ٢٨ يونيو ٢٠١٠ م.
- ومن خلال ما نشر عن هذه الإتفاقية فإن أهم ما أقرته هو إعطاء الحق لدول المنبع لإقامة ما يشاءون من مشروعات وسدود على النيل دون إعطاء حق الإعتراض لأىٍ من الدول وإنشاء مفوضية دائمة لدول حوض النيل عام ٢٠١٢م للإشراف على مياه النيل وتشكيل هيئة من أربع دول (إثيوبيا – أوغندا – تنزانيا – رواندا) يكون لها الحق فى مراقبة النهر والإعتراض على المشروعات المقامة على مجراه وإعادة النظر فى تقسيم مياه النيل. وقد تحدثت الآراء الأولية عن حجب ١٨ مليار متر مكعب من حصتى مصر والسودان والتى تقدر بنحو ٨٤ مليار متر مكعب ويتم تقسيم هذه الكمية من المياه بين دول المنبع (إثيوبيا ٥ مليار – أوغندة ٤ مليار – تنزانيا ٣ مليار – رواندا ٢ مليار – كينيا ٤ مليار).
- وأخطر ما سرب عن تلك الإتفاقية الإطارية أنها تحتوى على اتفاقية ثانوية تسمى (المشاطأة) وهى تعطى الدول التى لها مع دول حوض النيل شواطئ مشتركة الحق فى الحصول على مياه النيل وهذا معناه أن إسرائيل مثلا لها شواطئ مشتركة مع مصر وبموجب هذه الإتفاقية (إذا وقعت عليها مصر) فسيحق لإسرائيل الحصول

على مياه النيل.

- بعض الدراسات المنشورة أشارت إلى أن مياه النيل من المنبع للمصب تبلغ ١٦٦٠ مليار متر مكعب وأن حصتي مصر والسودان (٨٤ مليار متر مكعب) لا تزيد عن ٤ ٪ من مياه النهر كما أن دول المنبع يكفيها ١٠ ٪ فقط من المياه الموجودة لديها لأنها تعتمد بنسبة ٩٠ ٪ على مياه الأمطار وأكدت تلك الدراسات أن الأزمة بين دول حوض النيل سياسية فى المقام الأول لتراجع الدور المصرى فى الجنوب.

- تتناسى دول المنبع أن مخزون مصر من المياه ببحيرة ناصر قد وفرته مصر نتيجة المشروعات التى أقامتها ومولتها من مقدرات الشعب المصرى لإنقاذ المياه من التبدد فى البحر. ولو أن دول المنبع قد أنفقت جزءا يسيرا من مقدراتها لأقامت مشروعات للإستفادة من مياه الأمطار المهدرة.

- هناك عدد من المشروعات التى يمكن أن تضاعف موارد النهر المائية منها: -

مشروع نهر كاجيرا الذى تسقط عليه كميات هائلة من الأمطار لا يصل منها عبر النهر إلى بحيرة فكتوريا سوى ٨ ٪ وذلك بتطوير المخرات الرئيسية المغذية للنهر وبناء خزانات متعددة لتجميع المياه وتنظيم نقلها لمجرى النهر.

مشروع ردم مستنقعات بحيرة كيوجا الضحلة وتحويلها إلى أراضى خصبة لأوعندا وتعميق البحيرة لتقليل نسبة الفقد التى تبلغ ٢٠ مليار متر مكعب سنويا.

مشروع لحماية مياه بحيرة فكتوريا من التبدد بالبخر والذى يفقدها ٩٤ مليار متر مكعب سنويا وذلك عن طريق ردم بعض الأجزاء عند الأطراف وتعميق البحيرة.

كما هناك العشرات من المشروعات التى نشرت مؤخرا والتى يمكن عن طريقها مضاعفة مياه النهر الحالية والتى يمكن أن تحل مشاكل الجفاف والطاقة التى تعانى منها هذه الدول.

- كما ظهرت مشكلة أخرى مفادها أن معدلات الترسيب والإطماء داخل البحيرة زادت بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة وبالتحديد فى مدخل البحيرة فى المنطقة الواقعة على الحدود السودانية ويترتب على ذلك احتجاز كميات كبيرة من المياه المفترض أن تدخل البحيرة وتزيد خطورة هذه المشكلة فى الفيضانات المنخفضة. بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الترسيب فى السودان ووصولها إلى ٥٠ متر أى أن الطمى من المحتمل أن يشكل عقبة فى وصول المياه إلى البحيرة.

■ الموقف المصرى

- يمكن لمصر الإستعانة بالجانب الصينى فى تطهير بحيرة ناصر للتغلب على مشكلة الترسيب والإطماء حيث أن الجانب الصينى له خبرة كبيرة فى تطهير نهر الأصفر بالصين.
- بدأت مصر تحركات نشطة لإعادة التواجد المصرى الإقتصاى والهندسى والفنى فى دول المنبع وافتتح عدد من البنوك المصرية فروعا لها فى عدد من دول حوض النيل كمقدمة لتوجيه جزء من الإستثمار المصرى إلى هناك.
- يتم حاليا دراسات للتواصل مع إثيوبيا عن طريق علماء وخبراء لمناقشة متطلباتها ودوافعها من إقامة هذه السدود ثم دراسة الحلول البديلة من خلال لجان فنية تضم خبراء رى وهندسة وتنمية من البلدين ومن هيئات دولية معنية وذلك لدراسة البدائل الأفضل التى تحقق مصلحة إثيوبيا وتضمن عدم الضرر بمصالح مصر المائية.
- تحاول مصر التركيز على إظهار الموارد المائية من مياه جوفية وأمطار وأنهار صغيرة فى المنطقة تكفى لسد احتياجات كل دولة بدون إثارة مشكلات حول كمية المياه التى يحملها نهر النيل لدولتى المصب والتى يصل حجمها إلى ٨٤ مليار متر مكعب فى الوقت الذى يتم فيه إهمال وإهدار أكثر من ألفى مليار متر مكعب من الأمطار التى تسقط فوق هضبة البحيرات والهضبة الإثيوبية إضافة إلى المياه الجوفية. وعلى الجانب المصرى أن يبدى تفهمه لحاجة هذه الدول للمياه للنهوض بخطط التنمية بها.
- العمل على تقوية العلاقات مع الجنوب السودانى والذى سيصبح دولة مستقلة من دول حوض وادى النيل وذلك لضمان استكمال قناة جونجلى لحماية مياه بحر الجبل من التبدد فى المستنقعات.
- أعدت مصر ملفا قانونيا قويا يضمن حقوقها المائية كدولة المصب. والإدعاء أن الإتفاقيات الدولية الموقعة فى عصور الإحتلال يمكن تجاهلها هو ادعاء يجانبه الصواب وإلا فإنه سيلزم إعادة ترسيم الحدود بين جميع الدول التى كانت محتلة وهذا غير ممكن وقد أعطيت هذه الإتفاقيات شرعية دولية. فالحق المصرى القانونى طبقا لإتفاقيتى ١٩٢٩م و١٩٥٩م وطبقا للقانون الدولى كدولة مصب هو حق واضح وضوح الشمس لأن محكمة العدل الدولية قد أقرت عام ١٩٨٩م أن اتفاقيات المياه تماثل اتفاقيات الحدود ولا يجوز تعديلها إلا باتفاق جماعى من

الأطراف المعنية.

- بخصوص الدعاوى الإثيوبية بعدم وجود اتفاقيات موقعة بين القاهرة وأديس أبابا لتنظيم موارد النهر، فالموقف المصرى يستند إلى خطاب النوايا الذى أصدره رئيسا مصر وإثيوبيا عام ١٩٩٢م واعتمدته الأمم المتحدة باعتباره يدخل ضمن الإتفاقيات الدولية المعنية بالموارد المائية خاصة أنه قد تضمن تعهد الجانب الإثيوبى بعدم إقامة مشروعات من شأنها التأثير على تدفق حصة مصر من المياه بشكل دورى. لذلك فإن مصر والسودان ترغبان استنفاذ كل الفرص المتاحة للتوصل لإتفاق يضمن حقوقهما عبر القنوات الدبلوماسية الهادئة. وإن لم تفلحا فى ذلك فربما يكون البديل الثانى هو اللجوء للتحكيم الدولى وقد أعدت الدولتان ملفا قانونيا قويا لذلك.
- لن تستطيع إسرائيل شراء مياه النيل بدون موافقة مصر وما زال لدى مصر كثير من أوراق الضغط منها الغاز الطبيعى المصرى والرأى العام المصرى.
- داخليا يجب إعادة التفكير فى طرق استخدام المياه حيث أصبح مطلب ترشيد استهلاك المياه من ضرورات الأمن القومى المصرى الذى يجب التعامل معه بكل صرامة وجدية.
- على الرغم من وجود بعض أنواع العلاقات السياسية والتجارية مع دول المنبع فإنها لا ترقى لأهمية الشراكة فى شريان الحياة. فمصر لديها تمثيل دبلوماسى مع جميع دول المنبع وهناك تبادل تجارى ولكنه محدود فصادرات مصر إلى إريتريا مثلا ١٥ مليون دولار وهناك بعض الشركات المصرية العاملة فى أوغندا مثل شركة مساهمة البحيرة التى تقوم بتنفيذ مشروعات خاصة ببعثة الرى المصرية مثل إزالة الحشائش وإقامة ميناء الصيد بمنطقة (جابا) وشركة مصر للطيران وشركة المقاولون العرب. وبدأت مؤخرا حركة نشطة لاستيراد اللحوم والجمال الإثيوبية والتى من المتوقع أن تصل كمية الجمال إلى ٢٠ ألف جمل.
- كانت شركة النصر المصرية للتصدير والإستيراد تقوم بنشاط تجارى وصناعى كبير فى دول المنبع وكانت تقوم بدورٍ آخر مهم لتطوير العلاقات المصرية مع دول حوض النيل ولكن تم تصفيتها فى مطلع الثمانينات مما سبب فجوةً كبيرة فى تلك العلاقات ويبدو أن بعض الشركات الخاصة التى بدأت نشاطها فى بعض الدول هناك لم تستطع ملء ذلك الفراغ.

• بصفته خبيرا بالشأن الإفريقى أبدى د. بطرس غالى رأيه فى الأزمة الحالية ونصح الجانب المصرى ببعض النقاط التى يجب آن تتعاون فيها مع دول المنبع: -

تصدير التكنولوجيا المصرية الغير معقدة.

التعاون مع المؤسسات العسكرية وحضور شخصيات مصرية عسكرية لبعض الإحتفالات العسكرية الوطنية فى تلك الدول.

إقامة مشروعات مشتركة فى المجالات التجارية والصناعية كالربط البرى مثلا.

إقامة مشروعات الربط الكهربائى بين دول حوض النيل.

الإهتمام بتعلم اللغات الإفريقية وخاصة بين الدبلوماسيين والخبراء المنشغلين بهذ الملف.

تقديم الخدمات الطبية والرعاية الصحية والخبرات المصرية من خلال إرسال كبار الأطباء المصريين فى زيارات متعددة.

• إن كان الملف السياسى والقانونى لأزمة المياه تقوم به الإدارة المصرية فإنه قد حان الوقت للمجتمع المدنى أن يدرك أن قضية المياه تمس الوجود والحضارة المصرية قديمها وحديثها وأن يقوم بدوره. لا بد أن تُعلن الأزمة ويكون الحفاظ على حق مصر فى مياه النيل بمثابة الهدف القومى الذى يلتف حوله الجميع وهناك أدوار للجميع يمكن القيام بها. إن التواصل الفكرى والحضارى مع الدول الإفريقية أصبح فريضة حضارية. يمكن لمنظمات العمل المدنى الغير حكومية آن تلعب دورا مهما لتعريف دول حوض النيل بدور مصر الحضارى قديما وحديثا وللتقريب بين الشعب المصرى وشعوب تلك الدول. كما يمكن فتح مجالات جديدة للتعاون فى الفن والرياضة لما لهما من تأثير لا ينكر فى التقريب بين الشعوب. لماذا لا يكون هناك بطولات رياضية بين دول حوض النيل؟ لماذا لا تسعى مصر لإنشاء اتحاد رياضى إقليمى لدول حوض النيل يكون مقره القاهرة؟ لماذا لا تتوجه قوافل المثقفين والمبدعين والفنانين جنوبا؟ لماذا لا يكون هناك اتفاقات توأمة ثقافية بين مصر وبين هذه الدول؟ لماذا لا يتم دعوة النخب من هذه المجتمعات إلى مصر؟ لماذا لا تمنح مصر منحا دراسية جامعية مجانية كل عام لعدد من طلبة كل دولة من دول حوض النيل؟ رجال الأعمال المصريون الذين أثروا وكونوا أو ضاعفوا ثرواتهم فى مصر.. لماذا لا يتوجهون باستثمارات حقيقية وبمبالغ ضخمة لهذه الدول؟ ولا بد أن يكون استثمارا حقيقيا وفى مجالات استراتيجية وإقتصادية هامة لتضمن الوجود شبه الدائم ولعقودٍ طويلة بعيدا عن ردود الفعل الوقتية المظهرية والإعلامية التى لا تقوى على الوجود لأكثر من أيامٍ معدودة.

- لماذا لا نتذكر أنه حتى خمسين عاما مضت كان مطران الكنيسة الإثيوبية يعين بواسطة بطريرك الكنيسة المصرية؟
- أعتقد وعلى مستوى شخصى أن الدور الذى يمكن أن يقوم به بطريرك الكنيسة المصرية القبطية فى تقريب وجهة النظر المصرية والإثيوبية استنادا للعلاقات التاريخية والدينية القوية يمكن أن يكون أهم الأدوار فى الفترة الحالية. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق ترتيب زيارة استثنائية لبابا الكنيسة المصرية لإثيوبيا يمكن أن تقود إلى مصالحة وعودة تاريخية للدور المفقود وأعتقد أن هذا الدور الروحى يمكن أن يكون مفاجئا لمن ظنوا أنهم يمكن أن يستطيعوا قطع شريان الحياة عن مصر ويمكن أن يبعثر كل أوراقهم.

الفصل الرابع

الحياة البريّة فى بحيرة ناصر ومحمية وادى العلاقى

■ ما هى الحياة البرية وما هى المحمية الطبيعية؟

تشمل الحياة البريّة كل كائن حى يعيش طليقاً متفاعلا مع الطبيعة دون تدخل من الإنسان وتنقسم بشكل عام إلى قسمين، أحدهما يشمل الكائنات الحيوانية مثل الثدييات – الطيور – الزواحف – البرمائييات – الأسماك ويسمى "فونا"، أما الآخر فيشمل النباتات بكل أنواعها ويسمى "فلورا". والمحمية الطبيعية هى منطقة يتم حمايتها من كل أنواع الصيد أو الإستخدام الجائر بعدد من القوانين والتشريعات الدولية والمحلية. ويكون السبب فى إعلان أى منطقة كمحمية طبيعية هو تميزها بوجود حياة برية غنية نباتية أو حيوانية أو تميزها الجيولوجى بوجود ترسيبات أو طبقات حجرية نادرة أو كونها وطنا لبعض الكائنات المهددة بالإنقراض. فى خلال الفترة من ١٩٨٣م حتى ٢٠٠٣م صدرت قرارات من رئاسة الوزراء المصرية بإعلان ٢٧ منطقة على أرض مصر كمحميات طبيعية وتبلغ المساحة الإجمالية لهذه المناطق ما يزيد على ٩٪ من مساحة مصر والمتوقع أن يزيد عدد المحميات لتصل جملة مساحتها حوالى ١٨٪ بحلول عام ٢٠١٧ م. ومن هذه المناطق وادى العلاقى التى تعد محمية حياة برية. وقد أثبتت الدراسات فى أواخر القرن الماضى أن مصر بها ٤٤٠ نوعا من العنكبيات – ٧٣٢٤ نوعا من الحشرات – ١٣٢ نوعا من الثدييات – ٩١ نوعا من الزواحف – ٧ أنواع من البرمائييات – ٥١٥ نوعا من الطيور {منها ١٥٣ نوع من الطيور النادرة و١٧ نوعا مهددا بالإنقراض} – ٢٥٠ نوعا من الشعب المرجانية – ٧٥٥ نوعا من الأسماك {منها ٦٦٠ نوعا من الأسماك العظمية و٩٥ نوعا من الأسماك الغضروفية}، هذه هى الفونا المصرية. أما الفلورا المصرية فقد أشارت نفس الدراسات إلى وجود ٢٦٧٢ نوعا من النباتات البرية {٩٠٠ نوع فى البحر المتوسط - ٧٦٥ نوع فى الصحراء – ٥٣٤ نوع فى النيل – ٥٢٧ فى سيناء – ٣٣٥ نوع فى الواحات – ٣٢٣ نوع فى جبل علبة – ١٣ نوع فى البحر الأحمر}. لهذا فإن مصر من الدول الغنية بالحياة البرية بأنواعها المختلفة من بيئة صحراوية أو بيئة رطبة.

▪ التزامات مصر الدولية لحماية الحياة البرية

وقعت مصر العديد من الإتفاقيات الدولية التى تهدف إلى صون التنوع البيولوجى والحفاظ على مصادر الثروة والتراث الطبيعيين ومن هذه الإتفاقيات: -

- كانت مصر من عشر دول قد وقعت على الإتفاقية الخاصة بالحفاظ على الفونا والفلورا فى حالتها الطبيعية فى لندن ١٩٣٣م.
- الإتفاقية الإفريقية لصون الطبيعة والمصادر الطبيعية {الجزائر ١٩٦٨ م}.
- اتفاقية الإتجار فى أنواع الحيوانات البرية المهددة بالانقراض {سايتس، واشنطن ١٩٧٣م}.
- اتفاقية صون أنواع الحيوانات المهاجرة {بون ١٩٧٩ م}.
- اتفاقية الأراضى الرطبة ذات الأهمية العالمية وخاصة كموطن للطيور المائية ١٩٨٦م.
- اتفاقية حماية التنوع البيولوجى {البرازيل ١٩٩٢ م}.
- كما صدر العديد من التشريعات المصرية والقرارات الوزارية التى تنظم الصيد والاتجار فى الحيوانات الحية أو الميتة أو مشتقاتها وكذلك التى تحدد مواعيد الصيد فى بحيرة ناصر وفترة توقفه أثناء موسم تكاثر الأسماك وكذلك صدر قرار وزارى بإعلان وادى العلاقى محمية طبيعية.

■ الحياة البرية فى بحيرة ناصر

تعد بحيرة ناصر من المناطق المميزة والغنية بمختلف مظاهر الحياة البرية حيث تجمع بين البيئة الصحراوية شرقا وغربا فى شريط مواز للشاطئ يتراوح عرضه بين ١ إلى ٢ كم بما فيه من عناصر الفونا والفلورا وبين الأراضى والشواطئ الرطبة القريبة من المياه التى أصبحت قبلةً للآلاف من الطيور المهاجرة ثم مسطح المياه نفسه بما يحويه من كائنات بحرية. كما تتميز البحيرة بوجود إحدى محميات مصر وهى وادى العلاقى ويمكن إجمال أهم الكائنات التى تمثل الحياة البرية فى بحيرة ناصر كالآتى: -

- **أولا الثدييات – الخفافيش.**

الأرانب الجبلية.

القوارض {الفئران والجرابيع}.

أكلة اللحوم {الثعالب – ابن آوى – الكلاب – الذئاب – القطط البرية}.

ذوات الحوافر {الحمار البرى النوبى – الماعز – الغزال المصرى}.

- **ثانيا الطيور وتشمل:**

الطيور آكلة الحشرات {الهدهد – أبو فصادة}.

الطيور آكلة الحبوب {القطا المصرى – العصافير – الحبارى}.

الطيور البحرية {البجع – أبو منجل – الغطّاس}.

الطيور الجارحة آكلة الجيف {الصقور والنسور}.

- **ثالثا الزواحف وتشمل:**

الثعابين السامة مثل الطريشات والدفان والثعابين غير السامة.

السحالى بأنواعها والأبراص الجبلية والضب المصرى.

العقارب.

التماسيح وهو إحدى الزواحف البرمائية.

الورل الجبلى والنيلى.

- **رابعا الأسماك وتشمل ما يقرب من ٣٠ نوع.**
- **خامسا الفلورا وتشمل النباتات الجبلية وأهمها:**

نبات العُشر أو العُشار.

أشجار الأكاسيا أو الأكاشيا أو شجرة الشوك أو السنط أو القَرَض.

أشجار الأثل.

نبات السَكَران المصرى.

نبات الهالوك.

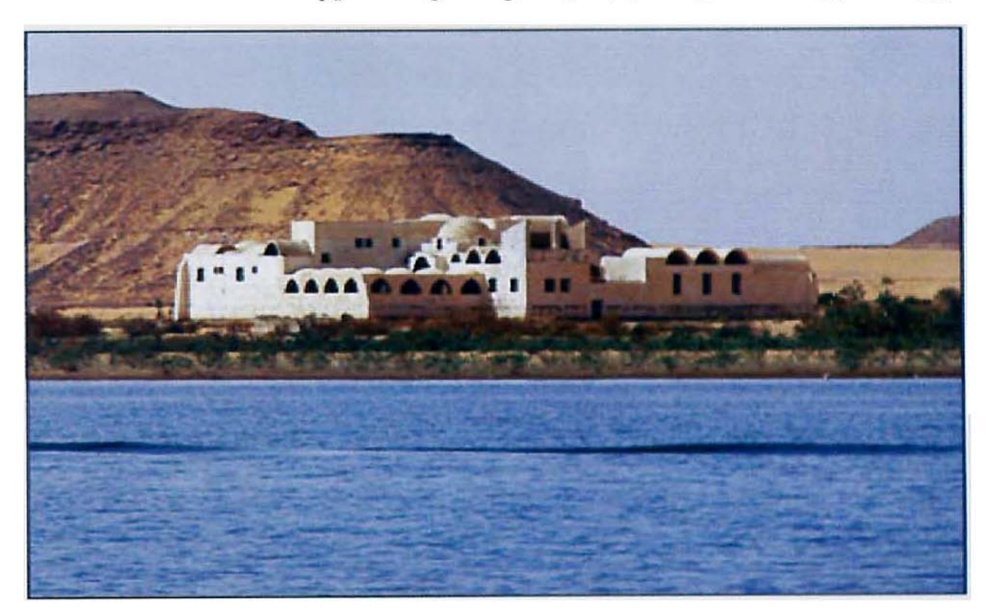
نبات الصبار.

نبات التين الشوكى.

وسيتم توضيح خصائص أهم هذه الأنواع مع بعض الصور التوضيحية ولكن بعد التعرف على محمية وادى العلاقى.

■ محمية وادى العلاقى

تم إعلان وادى العلاقى محميةً طبيعية ١٩٨٩م وتبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠ كم مربع وتقع على بعد ١٨٠ كم جنوب شرق أسوان بطول ٢٧٥ كم ومتوسط عرض كم واحد وتقع فى مواجهة جرف حسين التى تقع غرب البحيرة والتى يوجد بها أحد الموانئ الرئيسية الثلاثة التى يتم تفريغ الأسماك بها. وجرف حسين هى التى يوجد بها استراحة الرئيس الراحل أنور السادات الذى اغتيل قبل إتمام بنائها ويمكن رؤيتها بوضوح على ضفة البحيرة الغربية. وادى العلاقى عبارة عن نهرٍ جافٍ كبير كان ينبع من تلال البحر الأحمر وبعد بناء السد العالى غمرته مياه بحيرة ناصر ثم انحسرت المياه عن جزء كبير منه نتيجة انخفاض منسوب المياه فى السنوات الأخيرة.



استراحة الرئيس الراحل أنور السادات بجرف حسين

ويوجد بالوادى:-

- صخور بركانية ونارية ومتحولة ورسوبية مثل الرخام والجرانيت والحجر الرملى وبه تراكيب نادرة كما تتوافر به أحجار الزينة ومواد البناء والمعادن الاقتصادية الهامة.
- حوالى ١٥ نوعا من الثدييات مثل الجمال – الماعز – الحمار البرى – الغزلان – الضباع.

- ١٦ نوعا من الطيور المقيمة مثل الحبارى – الصقور – الحجَل – الرخمة – العقبان – البط – النعام.
- بعض الزواحف الخطيرة مثل الحية القرعاء التى تشبه العقرب.
- عدد كبير من اللا فقاريات التى يعيش معظمها تحت الشجيرات مثل النمل والخنافس وهى لها دور حيوى فى التوازن البيئى وخصوبة التربة.
- تم تسجيل ٩٢ نوعا من النباتات دائمة الخضرة أو الحولية مثل الحنظل – السواك – السيناميكى.
- كان هناك نشاط سكانى من العصر الفرعونى حين كانت المنطقة مصدرا هاما لاستخراج الذهب وبها أيضا معادن أخرى مثل النيكل واليورانيوم.



أحد أخوار وادى العلاقى

والوادى يعد منطقة هامة وخصبة للبحوث العلمية المتعلقة بالجيولوجيا والحيوان والنبات ويجب على السلطات المعنية تفعيل إجراءات منع الصيد الجائر للطيور والحيوانات كالغزلان التى بدأت تتناقص بشدة. والآن سنتعرف على بعضٍ من أسرار هذه الحياة البرية على ضفاف البحيرة بمزيدٍ من التفصيل.

■ أولا الزواحف

١ – التماسيح النيلى

يوجد فى العالم عدد كبير من أنواع التماسيح المختلفة وكلٌ منه له تاريخه ومواصفاته وعاداته وأماكن تواجده فهناك على سبيل المثال التمساح الأمريكى – التمساح الفلبينى – التمساح القزم الإفريقى – التمساح السيامى – التمساح الهندى – التمساح الكايمن القزم وأخيرا التمساح النيلى المتواجد فى بحيرة ناصر وهو أشرس الأنواع على الإطلاق.

لا يتفق مصدران فى تقدير أعداد التماسيح فى بحيرة ناصر. فقد قدرت الدراسات التى قامت بها هيئة تنمية بحيرة ناصر بالاشتراك مع المعهد القومى لعلوم البحار ١٩٩٧ – ١٩٩٨م العدد بحوالى آلف تمساح فى حين قفزت مصادر أخرى بالعدد إلى ٧٠ ألف. وبين التهوين الرسمى الزائد والتهويل الغير رسمى المبالغ فيه يمكن الحديث عن بضعة آلاف من التماسيح مختلفة الأعمار والأحجام.

تمساح النيل من الزواحف البرمائية آكلة اللحوم وتاريخه يعود إلى حوالى ٢٠٠ مليون سنة فى فترة تواجد الديناصورات التى انقرضت وبقى هو. وهو الأكبر بين أربعة فصائل من التماسيح الموجودة فى إفريقيا من مصر إلى جنوب إفريقيا حتى أنه يوجد فى مدغشقر حيث يتواجد فى الأنهار والمستنقعات والبحيرات والحفر المائية والغابات والمصبات وموطنه الأهم والأكبر هو نهر النيل. وقبل إنشاء خزان أسوان كان مجرى النهر فى النوبة المصرية وشمال السودان يزخر بأعداد كبيرة منه لكثرة وجود الجزر الرملية والصخرية مما هيأ له موطنا آمنا صالحا للتكاثر والاستقرار وكانت أهم أماكن تواجده منطقة رمال فرقندى غرب النيل شمال معبدى أبى سمبل والجزر المتناثرة فى بلانة والجندل الثانى للجنوب من وادى حلفا. وكانت قرى النوبة القريبة من النهر تواجه مشكلة التماسيح المهاجرة مع تيار النهر والتى كانت تلتهم الكثير من الماشية وأحيانا السكان مما كان يدفع السكان لبناء أسوار وبوابات ضخمة بمزاليج خشبية للدفاع عن أنفسهم وقد اشتهرت بعض العائلات النوبية الكنزية فى قرى عنيبة وتوشكى بصيد التماسيح. بعد بناء الخزان وتعليته الأولى والثانية تواجدت التماسيح فى البحيرة التى تكونت بين أسوان ووادى حلفا ولم يمنع الخزان تدفقها شمالا حيث كانت تصل لفرعى دمياط ورشيد. بعد بناء السد العالى استوطنت التماسيح بحيرة ناصر التى تمثل مكانا آمنا وملائما لها حيث يوجد بالبحيرة أكثر من ١٠٠ خور للشرق والغرب.

تشكل الأسماك أكثر من ٧٠ ٪ من غذاء التماسيح ولكنها أيضا تتغذى على ما تجده فى طريقها من الحيوانات البرية مثل الأبقار والحمير والجيفة والطيور باستثناء طائر الزقزاق الصغير جدا والذى تربطه به علاقة خاصة جدا. كما أن التمساح يبتلع كميات كبيرة من الزلط والحصى تساعده فى الهضم لأن عملية التمثيل الغذائى عنده بطيئة جدا ويبتلع التمساح فريسته بالكامل بما فيها العظام والقرون.

يبلغ أقصى طول له ٩ متر وإن كان تم تسجيل أطوال أكبر وهى حالات نادرة بلغت ١١ متر ويصبح الذكر ناضجا عندما يبلغ طوله ٣ متر ويبلغ عمره ١٠ سنوات أما الأنثى فتنضج عندما يصبح طولها ٢ متر وعمرها ١٠ سنوات. ويمكث التمساح فى المياه عندما ترتفع درجة الحرارة ففى الصيف يخرج إلى الشاطئ وقت غروب الشمس وفى الصباح أما فى الشتاء فيبقى فى المياه الدافئة ويكون معظم نشاطه ليليا. طائر الزقزاق هو الوحيد الذى يأمن التمساح حيث يقوم هذا الطائر بتنظيف أسنان التمساح بالتقاط بقايا الطعام بينهم ويظل التمساح فاتحا فكّه حتى يفرغ من مهمته. ويحتوى فك تمساح النيل عدد ٦٦ من الأسنان الحادة ويخلو من اللسان وحدقة عينه رأسية تزداد اتساعا فى الضوء الخافت وهو يزحف على طريقة السحالى وله أربع أرجل قصيرة تنتهى بمخالب حادة وجلده قشرى خشن واقى من المطر يمنع الجفاف وخسارة الأملاح من الجسد. أنفه طويل وواسع وينتهى بفتحات تغلق تحت الماء ولدى العيون جفن ثالث يحميهم تحت الماء. العيون والآذان وفتحات الأنف توجد على قمة الرأس ولونه أخضر غامق. تبلغ حياته فى البرية حوالى ٤٥ سنة وفى الأسر قد يصل إلى ٨٠ سنة. يتم التكاثر مع بدء فصل الربيع {أوائل شهر إبريل} وكثيرا ما يشهد معارك دامية بين الذكور تنتهى بموت أحدهم أو انسحابه مهزوما. وفى عملية الإتصال تكون الأنثى فى وضع مقلوب على ظهرها فى منطقة رملية غالبا فى المساء وقد تستمر لمدة طويلة قبل أن يساعد الذكر الأنثى فى العودة إلى الوضع العادى ثم يهبطان سويا للمياه. تقوم الأنثى باختيار مكان لوضع البيض فى الأماكن الرملية داخل الأخوار تكون عادة بمأمن من الرياح عن طريق الأشجار أو المرتفعات وبمأمن من الثعالب التى تشم رائحتها وتحاول سرقتها وهناك أيضا الورل النيلى الذى ينافس الثعالب فى البحث عنها. تقوم الأنثى بعمل حفرة فى الرمال تصل لنصف متر لتضع فيها البيض الذى يتراوح بين ٤٠ إلى ٦٠ بيضة ثم تقوم بمراقبة المكان وتكون فى تلك الفتر فى أشد فترات شراستها فهى تفتك بكل من يقترب من هذا المكان وتستمر هذه الفترة من ٨٠ ألى ٩٠ يوما. والأنثى تسمع حركات الأجنّة تحت الرمال فعندما يقترب موعد فقس البيض تخرجه من الرمال وتبدأ فى

كسره بفمها والتماسيح كائنات اجتماعية تسافر معا وتحفر الخنادق معا كما أن الذكر يساعد الأنثى فى كسر البيض. ثم تقوم الأنثى باستخدام ذيلها لعمل منحدر إلى الماء يتبعه الصغار وتبقى معهم عدة أيام يكون غذاؤهم مقتصرا على الذباب والهاموش ثم يتدرج ليشمل صغار الضفادع والأسماك وتستمر فترة مراقبة الصغار حوالى ثمانية أشهر. يبلغ ذيل التمساح حوالى ثلث الجسم والتماسيح التى يتراوح طولها بين متر وثلاثة أمتار هى أكثرها نشاطا أما تلك العملاقة فهى تعجز عن المناورة وصيد الأسماك الصغيرة فى مياه رائقة مثل بحيرة ناصر فتخرج إلى سطح المياه باحثة عن صيد أسهل قد يكون حيوانا كالجمال والحمير والأغنام أو حتى الآدميين. يبلغ أقصى وزن للتمساح العملاق حوالى طن ونصف أما الذى يبلغ طوله ٦ متر فوزنه حوالى ٦٠٠ كجم. دموع التماسيح.. تحكى بعض الأساطير أن التماسح تبكى بعد أن تأكل الإنسان وقد ثبت أن التماسيح تذرف الدموع بالفعل عندما تأكل ولكن العلماء اختلفوا حول تفسير الأسباب الفسيولوجية لذلك ويعتقد أغلبهم أنه نتيجة اختلاط الهواء بالأملاح التى تفرزها الغدد الملحية فى جسم التمساح لتخرج من العين فى صورة تشبه الدموع وبعض الآراء ترجع ذلك لأن الفك السفلى ثابت بينما يتحرك الفك العلوى فيضغط على الغدد الدمعية مما يؤدى لانسياب تلك الدموع الكاذبة.



التمساح النيلى ببحيرة ناصر

▪ أهم الأماكن التى تتوجد بها التماسيح فى بحيرة ناصر

إن الأودية والأخوار ذات الشواطئ الرملية على ضفتى البحيرة تمثل بيئةً مثالية لإقامة التماسيح وتكاثرها مثل:-

▪ أولا شرق البحيرة

خور كوندى ١٠ كم جنوب السد العالى.

خور دهميت ٣٠ كم جنوب السد.

وادى أبيض ٧٠ كم جنوب السد.

وادى كورسكو ١٨٠ كم جنوب السد.

وادى أروى ٢٨٥ كم جنوب السد.

خور مرشدى فى السودان ٣٨٥ كم جنوب السد.

▪ ثانيا غرب البحيرة

وادى كركر ١٠ كم جنوب السد.

وادى حديد ٣٥ كم جنوب السد.

خور أمبكول فى السودان ٤٤٠ كم جنوب السد.

ملاحظة: على الرغم من حماية التماسيح فى الجزء المصرى من بحيرة ناصر فإنه يتم اصطيادها فى شمال السودان.

٢ – الثعابين

تشير الدراسات إلى أن الثعابين قد تواجدت على سطح الأرض منذ أكثر من ٣٠٠ مليون سنة وأن بعض الثعابين كان له أرجل اندثرت مع مرور الوقت ويدل على ذلك وجود نتوءات عظمية تسمى بالمهاميز. ومتوسط عمر الثعبان من ١٥ – ٢٥ سنة تقريبا حسب الأنواع المختلفة.

يوجد فى مصر أكثر من ٤٠ نوع من الثعابين أكثر من ثلثيها غير سام والأقلية منها هى السامة ولكن تلك الموجودة فى الشريط الصحراوى الملاصق لضفاف بحيرة ناصر معظمها سام ومنها ما هو شديد السمية.

هناك حركات مختلفة لسير الثعابين منها الإلتواء الجانبى والحركات الإنقباضية

ولبعض الثعابين فتحات فوق منطقة الفم تسمى الندبة وهى عبارة عن رادار حرارى يسمح له بالرؤية ليلا فى الظلام الدامس. للثعابين جسم طويل وهيكل عظمى تتراوح فقراته من ٢٠٠ – ٤٠٠ فقرة وذلك يساعده فى التحرك والعصر والسباحة وجلده مغطى من الخارج بحراشف سميكة تتكون من طبقات تتجدد باستمرار لحماية الجلد.

يمكن تقسيم الثعابين بطرق مختلفة. فمن ناحية السم تنقسم إلى ثعابين سامة ومنها ذات سمية شديدة أو سمية ضعيفة وأخرى غير سامة ومنها ثعابين عاصرة أو غير عاصرة. كما يمكن تقسيمها حسب بيئتها إلى ثعابين صحراوية – ثعابين الأشجار – ثعابين البرك والمستنقعات. وأحيانا تقسم حسب وجود الأنياب فمنها عديمة الأنياب ومنها ذات أنياب أمامية متحركة أو ثابتة ومنها ذات أنياب خلفية. أسماء الثعابين التى يتداولها الناس تختلف عن الأسماء العلمية وقد يطلق أكثر من اسم على النوع الواحد حسب المكان أو قد تتشابه الأنواع فيطلق نفس الإسم على أكثر من نوع. الثعابين التى تعيش فى الصحراء لها امكانية عمل توازن للماء الموجود فى الجسم بحيث تستطيع الصبر عن الشرب لمدة طويلة دون أن تتأثر. وتقوم الثعابين بعمل البيات الشتوى حيث تجتمع فى أحد الشقوق لتقضى فترة الشتاء وهذه العملية مهمة جدا لها فهى المسئولة عن تنشيط هرمون التكاثر وبعدها تخرج وأول ما تقوم به هو تغيير جلدها ثم تبدأ مرحلة التكاثر التى يتقاتل فيها الذكور حتى يفر أحدهم ويبقى الآخر الذى يقوم بعملية التكاثر مع الأنثى التى تكبره حجما وقد تستغرق هذه العملية عدة ساعات قبل أن ينفصل أحدهما عن الآخر وتبدأ عملية مرحلة تكوين البيض لدى الأنثى. ثم تبدأ الأنثى بالبحث عن عشٍ لتضع فيه البيض ويجب أن تتوافر فيه الحرارة والرطوبة وقد يصل عدد البيض ٢٥ بيضة والثعبان كائن غير اجتماعى فبمجرد وضع البيض تتركه دون رعاية منها والقليل منه يحرس البيض حتى يفقس بعد حوالى ٦ أسابيع. يمكن القول أن الثعابين تتغذى على كل ما يدب على الأرض من حشرات وزواحف وطيور وثدييات وبيض وحتى الأسماك وأحيانا الإنسان وهى تتبع فى تغذيتها نظاما معينا فهى لا تتناول وجبات يومية حتى أن بعض الأنواع لا تتناول وجبات لفترات طويلة قد تصل لشهور أحيانا وعند الجوع تبحث عن الفريسة ثم تحرك لسانها بسرعة إشارة لوجود شئ ما وتقوم بحقن الفريسة حتى تموت إن كانت من النوع السام أو تقوم بعصرها حتى تموت إن لم تكن سامة ثم تقوم ببلعها ودفعها نحو المعدة وقد تستغرق عملية الهضم عدة ساعات أو عدة أيام.

• أهم أنواع الثعابين الموجودة على ضفاف بحيرة ناصر

فى الرمال وبين الصخور التى تجاور بحيرة ناصر من الشرق ومن الغرب فى شريط يبلغ عرضه من ١ – ٢ كم ويمتد بطول شواطئ البحيرة يوجد الآلاف من الأفاعى معظمها من الأنواع السامة وبعضها شديد السمية وأشهرها :-

• الأفعى المقرنة {ذات القرنين}

تسمى بالحية المقرنة لوجود زوجين من الزوائد أعلى الرأس تشبه القرنين وهى تزحف بشكل جانبى وهى أشهر الأنواع التى يطلق عليها {الطريشة} لأن هذا الإسم يستخدم لعدد من الأفاعى المتشابهة فى طريقة سيرها. وتتميز الحية المقرنة برأس مثلثى عريض وعنق صغير وجسم قصير غليظ والذيل قصير ودقيق والإناث أطول من الذكور والبعض منها بدون القرنين الأماميين. يصعب تمييز لونها لأنه يكون غالبا هو نفس لون الرمال أو البيئة التى تعيش فيها. يحتوى الفك العلوى على زوج من الأنياب الإبرية الأنبوبية التى تستطيع الحركة بسهولة عند العض فترتفع تلقائيا عندما تفتح فمها وعند إغلاق الفم تنثنى هذه الأنياب للخلف لتستقر بجوار سقف الحلق. وهى ليلية المعيشة وقد تشاهد فى ساعات الصباح الباكر أو قبل الغروب وتتحرك لمسافات طويلة ليلا باحثة عن الغذاء الذى يتكون من القوارض الصغيرة والسحالى والطيور الصغيرة. أهم ما يميزها أثرها الذى تتركه على الرمال والذى يمكن رؤيته بوضوح وعدوها الأول هو الورل الجبلى والقطط البرية. هذه الأفعى خطرة وذات سمية شديدة وسمها يهاجم الجهاز الدموى ويكسر خلايا الدم وتقدر كمية السم اللازمة لقتل إنسان وزنه ٧٠ كجم حوالى ٥٠ ملجم.



الأفعى المقرنة {ذات القرنين}

• **افعى الرمال**

من السهل الخلط بين هذه الأفعى وبين الأفعى المقرنة عديمة القرن. وهى تعتمد فى غذائها على السحالى والقوارض وأحيانا الطيور الصغيرة. تتميز بالرأس العريضة التقليدية والحركة الجانبية الملتوية ولكنها أطول قليلا من مثيلتها السابقة.



افعى الرمال

• **الدفّان**

لا يوجد منه أعداد كثيرة على ضفاف البحيرة إلا عند الإبتعاد قليلا عن المياه. هو أقصر من الأفاعى الأخرى وأشبه بالسحلية الطويلة وأهم ما يميزه أنه يدفن نفسه فى الرمال وهو سام جدا.



الدفان

• الحية الرقطاء

أفعى سامة وتتميز ببوز قصير ومستدير ورأسها مثلث مغطى بحراشيف صغيرة وعليه شكل يشبه السهم. الرأس مميز عن الجسم الأسطوانى والذيل القصير. قد يصل طول البالغ منها ٧٠ سم وطول الذيل ٧ سم. لونها ناحية الظهر يميل للحمرة وعليه بعض الخطوط المستعرضة البيضاء باصفرار. العين متوسطة وتكثر فى المناطق الرملية المغطاة بالأعشاب والحشائش وما يطلق عليه {العبل}. تتغذى على الفئران والطيور والسحالى والضفادع والعقارب والديدان وقد تسبح فى الماء وهى سامة ويهاجم سمها الجهاز الدموى بالجسم وتبلغ كمية السم القاتلة للإنسان ٣ – ٥ ملجم.

الحية الرقطاء

• الحنش {الصل الأسود}

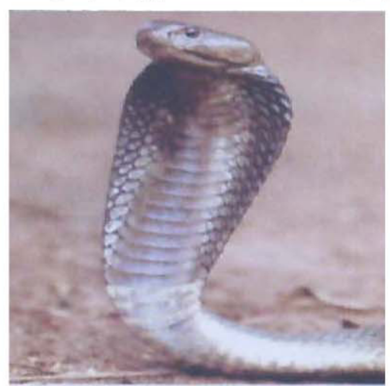
يتميز هذا الثعبان السام بلونه الأسود اللامع من ناحية الظهر أما البطن فلونه أغبر. الرأس أعرض من العنق نسبيا والجسم أسطوانى الشكل طويل وقد يبلغ طول البالغ منه أكثر من متر. العينان صغيرتان. يتواجد بين الصخور وفى بعض جحور الفئران والضب حيث تمثل ملجأ مناسبا له وصغارها هم الغذاء الرئيسى له وهو ليلى المعيشة وهو من الثعابين الشرسة التى قد تهاجم الإنسان إذا ما تعرض له بالأذى وسمه يؤثر على الجهاز العصبى وهو مما يسبب شللا للجسم قد يؤدى للوفاة.



الحنش الأسود

▪ **الكوبرا**

هى أفعى سامة كبيرة الحجم قد تصل لأكثر من مترين ولونه يشبه لون الرمال والرأس لونه أسود وفى ضخامة العنق والأعين كبيرة نسبيا وأهم ما يميز هذا الثعبان هو مقدرته على نفخ الرقبة ويرفع ثلثه الأمامى من الجسم لأعلى ويوجد فى بعض الوديان الخضراء على ضفاف البحيرة وقد شوهد فى منطقة عمدا. وهو حاد الطباع وسريع الحركة وقد يهاجم الإنسان إذا ما استثير وهو ذو معيشة نهارية.



الكوبرا

▪ **انوع اخرى**

الأنواع السابق ذكرها هى أشهر الأنواع الموجودة بالقرب من ضفاف البحيرة إلا أنه توجد أنواع أخرى بأعداد أقل مثل ثعبان أبى العيون والثعبان البخاخ أو النفاث الذى ينفث الهواء المختلط بالسم على فريسته وثعبان الصخور. كما توجد أنواع غير سامة تتميز بنحافة الجسم ويصل طول بعضها إلى متر واحد.



ثعبان الصخور



الأفعى البخاخة

٣ – السحالى والأبراص والزواحف الأخرى

السحالى من المخلوقات التى لا تستطيع التحكم فى درجة حرارة أجسامها كما يفعل الكثير من الحيوانات الأخرى لذلك عند ارتفاع درجات الحرارة فى هذه البيئة الصحراوية تلجأ للظل أو تغوص فى الرمال لكى تتفادى أشعة الشمس. وهى تستخدم الخداع فى الدفاع عن نفسها فتبتر ذيلها أحيانا إذا ما هوجمت ويستمر ذلك الجزء المبتور فى التلوى بعد بتره مما يشغل الحيوان المفترس المهاجم لها لمدة تمكنها من الهرب ومن الأنواع المتواجدة على ضفاف البحيرة:-

- **السحلية ذات الأقدام الطويلة**

أهم ما يميزها الأقدام الطويلة ذات الحراشيف وأثناء حرارة النهار تقف على أطراف أصابعها لتتجنب الالتصاق بالرمال الساخنة.



السحلية ذات الأقدام الطويلة

▪ **السحلية الإسطوانية**

وهى تعد الأكثر عددا وانتشارا حيث توجد بكثافة على ضفاف البحيرة وهى الغذاء الرئيسى للعديد من الزواحف الأخرى.



السحلية الأسطوانية

▪ **سقنقر الرمل الكبير**

هو سحلية كبيرة الحجم تنتشر فى الرمال وتعتمد فى غذائها على الحشرات الصغيرة وبخاصة النمل وهى نهارية النشاط حيث تنشط بشكل عام فى الصباح الباكر وبعد الظهيرة فى الأوقات شديدة الحرارة وهى من أسرع أنواع السحالى ولونها كلون الصخور وذيلها طويل بشكل ملفت وأقدامها كبيرة وهى تشبه ذات الأقدام ولكن ذيلها أطول.



سقنقر الرمل الكبير



▪ الأبراص

هناك برص الجدار المنتشر فى كل مصر والبرص الجبلى أو ما يسمى البرص ذو الأربع نقاط وهو مثال للأبراص التى تعيش فى معظم الصحارى المصرية ويحصل على الرطوبة الكافية من الحشرات التى يتغذى عليها وقد ينخلع ذيله عند محاولة مسكه ولكن لديه القدرة على النمو مجددا وإن لم يكن بكفاءة الذيل الأصلى.

▪ الضب المصرى

هو من الأنواع النهارية النشاط كبير الحجم يتواجد فى بعض الوديان ذات الرمال الخشنة وهو نباتى يعيش فى حفر ويفضل البقاء بالقرب من حفره حتى يتمكن من التراجع إليها عند اقتراب الصيادين أو أحد الزواحف المفترسة.



الضب المصرى

▪ ورل الصحراء

هو سحلية ضخمة نهارية النشاط من آكلات اللحوم الضارية وتتغذى على السحالى الأخرى والثعابين والقوارض وهو الوحيد الذى لديه ألسنة مشقوقة مثل ألسنة الثعابين وقادر على سحب لسانه فى غمد فى مؤخرة الرأس.



ورل الصحراء

▪ الضفادع

هى حيوان برمائى عديم الذيل له عينان جاحظتان ولمعظمها أرجل خلفية طويلة وقوية تساعدها فى القفز لمسافات طويلة وهى موجودة منذ ١٨٠ مليون سنة. النوع الموجود فى بحيرة ناصر يسمى الضفدع القصاص وهو نفس النوع الذى يتواجد بكثرة فى أراضى الدلتا والوادى وهى صغيرة نسبيا حوالى ٤ – ٥ سم ويصدر الذكور نداءً مميزا أشبه بالقعقعة خاصة فى فترة التكاثر.



الضفدعة

▪ العقارب

العقرب من رتبة اللا فقاريات تنتمى لطائفة العنكبويات له ثمانية أقدامية ويعيش فى المناطق الحارة والجافة فى الجحور وتحت الحجارة والصخور التماسا للرطوبة وتجنبا لحرارة الشمس. يتكون الجسم من الرأس والصدر كقطعة واحدة ولها أربعة أزواج من الأرجل تنتهى بمقرصة صغيرة جدا. يتكون الذيل من خمسة عقل وتوجد الغدة السامة فى نهاية العقلة الأخيرة التى تنتهى بالإبرة التى تلسع بها. تتكاثر العقارب بصورة جنسية يشارك فيها الذكور والإناث، فعندما يختار الذكر الأنثى يقابلها وجها لوجه ويتشابكان بالكماشتين الأماميتين وترفع الأنثى البطن ويتحركان فى حلقة دائرية ثم يسيران للأمام والخلف ويمكن أن تدوم هذه الحركة لمدة ١٠ دقائق. وعند الولادة يتسلق الصغار ظهر الأم ولا صحة لما يقال بأن الصغار يلتهمون أمهم عند الولادة. ويمكن للعقرب أن تعيش لمدة تصل إلى ٢٥ عاما. يمكن للعقارب أن تغير لونها حسب البيئة ولها أنواع عديدة منها ما يسمى العقرب الشيطانى ذو الذيل المخطط. والنوع الموجود بين الصخور على ضفاف بحيرة ناصر يغلب عليه اللون الأصفر للأطراف والأسود أو البنى الداكن للرأس



والصدر. تتغذى ليلا على الحشرات الصغيرة حيث تقبض على فريستها بكماشتيها القويتين ثم تلدغه وهى كذلك تلدغ للدفاع عن نفسها. يمكن للعقارب أن تسمع الأصوات المحيطة بواسطة شعيرات شديدة الحساسية.

■ ثانيا طيور بحيرة ناصر

▪ أبو القردان

يتميز بالمنقار القوى وخصلة الريش الطويلة الممتدة من قمة الرأس حتى أسفل العنق ويمكن رؤية الكثير منها على ضفاف البحيرة. فى الصيف يكون لون المنقار والقدم أحمر برتقاليا وفى الشتاء يكون لون المنقار برتقاليا مصفرا باهتا والقدم سوداء ولون ريشه أبيض ما عدا قمة الرأس وأسفل الزور فلونها يختلف بين الأصفر والبرتقالى الباهت وهو الذى يطلق عليه صديق الفلاح لتنقية الأرض من الديدان. يتغذى على الحشرات بشكل أساسى مثل الديدان كما أنه يتغذى على الأسماك والضفادع وتبيض الأنثى من ١ – ٥ بيضات فى المرة الواحدة وتوجد أعشاشه على الأشجار ويقيم هنا طوال السنة وفصل التزاوج من إبريل لمايو.



أبو القردان

- **ابو منجل**

طائر كبير الحجم يشبه طائر البلشون ولكنه يتميز بمنقار قوى مقوس إلى الأسفل كما أنه يطير ورقبته ممدودة للأمام وهو يطير أو يجثم على الأرض فى جماعات وتكون طيور المقدمة بعيدة قليلا عن بقية السرب لذلك تظهر متموجة أثناء الطير وهو أبيض اللون.



ابو منجل

- **أبو ملعقة**

طائر قريب الشبه من أبى منجل وسمى ذلك بسبب منقاره العريض الذى يشبه المعلقة وله رقبة وأرجل طويلة ويعيش على الحيوانات الصغيرة.



أبو ملعقة

▪ **البجع**

يمكن رؤية الكثير منها فى فصل الهجرة فى الشتاء وهو طائر مائى كبير يتميز بكيس جلدى أسفل منقاره الطويل يستعمل كشبكة لجرف السمك ويحصل البجع الصغير على غذائه من أكياس أبويه وتتميز البجعة بالجسم الكبير والأرجل القصيرة وحركتها على الأرض بطيئة ولكنها تطير بسرعة ولها أجنحة عريضة تساعدها فى التحليق الشراعى كالنسور.



طيور البجع

▪ **البشروش**

هو طائر مائى ملون وفيه الرجلان والرقبة طويلة ورفيعة والمنقار مقوس وأكبر حجما من الرأس ويرجع لون الريش الأحمر الوردى إلى بعض المواد الكيميائية فى الغذاء ويعيش فى جماعات كبيرة ويقوم بالتغذية ورأسه فى وضع مقلوب فى الماء ليقوم بتصفية الكائنات الدقيقة بواسطة طبقة من الشويكات على المنقار وهو من الطيور التى يمكن رؤيتها فى البحيرة أثناء موسم الهجرة.



- **البط**

يتميز البط عن الإوز بأنها أصغر حجما ورقبتها أقصر وخفقات أجنحتها أسع كثيرا أثناء الطيران ويقضى وقتا أطول فى الماء ولا يقوم ذكر البط بأى دور فى تربية الصغار والذكور لها عادةً ألوان براقة ولكن أثناء فترة رعاية الأنثى للصغار يتغير لون ريش بعض الذكور ليصبح شبيها بريش الأنثى ويتواجد فى خور وادى العلاقى.

- **البلشون {مالك الحزين}**



هو طائر مائى له رجلان طويلتان وكذلك عنقه طويل ويعتبر أبو القردان هو أكثر الطيور شبها بالبلشون. توجد أنواع كثيرة منه تنتشر على مستوى العالم والموجود منه فى بحيرة ناصر هو الأبيض والرمادى وهو يأكل الأسماك والضفادع وما يحصل عليه من حيوانات صغيرة أخرى وهو ينتظر بدون حركة عندما يرى فريسته إلى أن تصبح فى متناول منقاره

- **طائر الزقزاق أو السقساق {طائر التمساح}**

هو طائر صغير يعرف بأنه صديق التمساح حيث يقف على فكه لالتقاط بقايا الأكل بين أسنانه كما أنه عندما يقف على الأشجار فإنه يصرخ منبها التمساح إذا ما اقترب منه صياد أو خطر والسبب فى اطمئنانه وهو داخل فك التمساح أن له شوكتين على جناحيه تؤلمان التمساح بشدة إذا ما حاول غلق فمه فيفتحه مرة أخرى. والإصبع الخلفية لهذا الطائر منعدمة ومخلب الوسط مسنن وهى طيور حذرة تضع الأنثى بيضها فى العراء وبيضها بنى اللون باهتة وتغطى بيضها بالرمال. وصغار هذا الطير غريبة فبعد

فقسها بساعات تستطيع اصطياد الذباب والحشرات بمناقيرها الصغيرة أى أنها تعول نفسها بمجرد ولادتها.



طائر الزقزاق {صديق التمساح}

- **طائر القطا المصرى**

هى طيور تشبه الحمام ويطلق عليها اسم حمام البرارى وهى سريعة جدا وتقطع مسافات شاسعة لتصل لأماكن الغذاء والماء. لأقدامها أربعة أصابع متصلة بغشاء عند قواعدها. وأطول ريشات الذيل هو الزوج الأوسط الذى يبدو بارزا عن بقية الريش. وتضع الأنثى فيما بين شهرى إبريل ومايو من بيضتين لثلاث بيضات فى حفرة. ويوجد كثير منه فى وادى العلاقى.



طائر القطا المصرى

▪ النسور {العقاب}

النوع الموجود هنا هو نسر العالم القديم أو الإفريقى الذى يصل طول جناحه فى بعض الأحيان إلى ٣ متر. تطير النسور بشكل دائرى وتبلغ حدة بصرها ٨ مرات أكثر من حدة بصر الإنسان فيستطيع أن يبصر فريسةً فى حجم الفار على بعد ٣ كم وهى عادة تفضل الفريسة الميتة {الجيفة}. النسور تطير منفردة وعندما يرى أحدهم مجموعة من أقرانه تهبط إلى الأرض يعلم أن هناك فريسة فيسرع إليها. بإمكان مجموعة من النسور أن تحيل بقرة وحشية ميتة إلى عظام فى ساعتين فقط. وهى تأكل أى فريسة تحتوى على اللحوم. ولا تقتل فريستها إنما تنتظر أى حيوان كاسر آخر ليقوم بتلك المهمة ثم تقوم بطرده وتأخذ منه الفريسة وكأنها تكره القتل. يتواجد بكثرة فى أماكن متعددة مثل وادى السبوع ووادى العلاقى وجرف حسين ويكثر فى فصل الشتاء.



▪ طائر الحَجَل فى وادى العلاقى

يسمى دجاج البر وهو فى حجم الدجاج ويختلط فى ريشه اللون الأبيض والأسود. أسود المنقار والرجلين وله عُرف أخضر يميل للزرقة وعندما يكبر يصبح رأسه قويا كالخشب وهو أقوى طيرانا من الدجاج وإن كان لا يطير لمسافات طويلة بل فقط لينتقل من موضع لآخر. يعيش من ١٠ – ١٥ عاما. إذا اجتمع ذكران اقتتلا وتذهب الأنثى مع الغالب حتى وإن كان هذا الغالب غريبا عن المكان. أنثاه تحتضن بيض غيرها وتخرج الأفرخ الصغيرة من البيض كاسية كالدجاج.



طائر الحجل بوادى العلاقى

▪ طائر الحبّارى

طير برى يتراوح حجمه بين التوسط إلى الضخم والذكور منه أكبر من الإناث ويتواجد فى خور وادى العلاقى حيث الأشجار الشوكية الكثيفة وتفتقد طيور الحبارى إلى وجود حوصلة وغدد لتنظيف الريش. للذكور ريش استعراضى جميل والأجزاء العليا ذات ألوان مضللة للتخفى أما الأجزاء السفلى فإن ألوانها قد تكون بيضاء أو صفراء برتقالية أو سوداء. يزينه العرف والشوارب وريش الرقبة الذى ينفخه باستخدام كيس تحت الجلد وهو المرئ القابل للانتفاخ وهو جزء من القناة الهضمية بين الفم والمعدة. وهو يحدث بعض الأصوات أثناء موسم التكاثر. يهاجر نحو الشمال فى شهر يونيو من كل عام للتكاثر ثم يعود للجنوب فى أكتوبر. يتغذى على الجراد وبراعم النباتات الصغيرة والبذور والفاكهة والحيوانات الفقارية الصغيرة والحشرات. تعدد الأزواج بمعنى أن يكون للطائر أكثر من رفيق هو القانون السائد. الأنثى تحتضن البيض حتى الفقس ثم ترعى الصغار بمفردها.



طائر الحبّارى

▪ طائر الغطّاس



يتواجد هذا الطائر فى أماكن كثيرة من البحيرة خاصة وادى العلاقى. يبلغ حجمه من ٦٠ – ١٠٠ سم. طويل الأرجل ولكل منها ثلاث أصابع. الأجنحة ضيقة ومدببة الذيل. قصير وصلب. الريش كثيف وعازل للماء ذو لون أسود وأبيض أو رمادى فى الأعلى وأبيض فى الأسفل. خبير فى الغطس والسباحة ويطير بشكل قوى ويسبح بواسطة الأقدام. يأكل الأسماك

وبعض الحشرات وأعشاشه على الأرض وقريبة من الماء. تضع الأنثى بيضتان بنية اللون ذات بقع سوداء. الذكر والأنثى يحتضنان البيض ويربيان الأفرخ الصغيرة.

▪ **الصقور**

تنتسب لعائلة الباز والحدأة والنسور. يتراوح الطول بين ٢٥ – ٧٠ سم والوزن حوالى ٢ كجم والإناث أكبر من الذكور. تبنى الصقور أعشاشها فى الشعاب الصخرية أو على الأشجار أو على الأرض. يفقس البيض فى أواخر الصيف وتقوم الأنثى باصطياد الفريسة من الطيور المهاجرة لإطعام أفرخها الصغار وإذا كان أحد هؤلاء الأفرخ ضعيفا فإن أمه تتركه بدون طعام أو تقوم بإطعامه للأفرخ الأخرى القوية ويمكن رؤيته من بداية البحيرة جنوب السد العالى خاصة عند معبد كلابشة.



الصقر المصرى

▪ **الإوز المصرى**

من أشهر الطيور فى البحيرة وهو العضو الأكبر حجما من عائلة البط ويتميز بطول الرقبة وهو من أكبر الطيور التى تستطيع الطيران حيث يبلغ الحجم حتى ١٥ كجم ويكون الذكر أكبر من الأنثى. لون الرأس أسود مع نقط بيضاء واسعة تمتد عبر بلعومها. يطرح الإوز كل ريشه مرة واحدة فيصبح غير قادر على الطيران لفترة قصيرة ومناقيره مختلفة الألوان منها الأسود والأصفر ومنها الأسود والأحمر وهو يصدر أصواتا عالية ويتميز بريشه الملون وهو تقريبا نباتى الغذاء ولكن فى بعض الأحيان يأكل بعض الحيوانات المائية الصغيرة. العلاقة بين الذكر والأنثى قوية ويعيشان معا لسنوات طويلة وقد تستمر العلاقة مدى الحياة. تبدأ العلاقة بانتقاء شريك العمر بعمر سنتين لثلاث سنوات وتبدأ بالتزاوج بعمر أربع سنوات ويعيش لفترات طويلة نسبيا وقد تبلغ مدة حياته ٣٠ سنة.



• **آكل النحل**

طائر جميل الألوان وفى أوروبا وكندا يتغذى على النحل لذلك يسمى (بيي ايتر) ولكنه هنا يتغذى على الحشرات الصغيرة وموجود فى عمدا وأبى سمبل والسبوع ويغلب على ريشه اللون الأخضر الزاهى.

• **بعض الطيور الأخرى**

على ضفاف البحيرة يمكن مشاهدة طيور أخر كالغراب والحدأة وصياد السمك وعديد من العصافير وطائر صغير يسمى {كريستيد لارك} وطائر كبير باللون الأبيض والأسود {ستورك} وكل منهما يتواجد بكثرة فى وادى السبوع فى كما توجد عشرات من الطيور المهاجرة التى يمكن مشاهدتها فى فصل الشتاء.



طائر ستورك



كريستيد لارك

■ ثالثا الثدييات {الحيوانات}



الخفاش

• **الخفافيش**

هو حيوان ليلى من الثدييات الطائرة. يغطى الجسم الشعر الرمادى اللون ويتغذى على الحشرات ويمكن رؤيته فى بعض المعابد كمعبد كلابشة والدكة.



الأرنب الجبلى

• **الأرنب الجبلى**

شوهد شرق البحيرة فى بعض الوديان ولكن فى الجزء الشمالى. يغطى الجسم بشعر أبيض كثيف مصفر وله آذان طويلة.

• **القوارض**



الجربوع:- وهو ذو أحجام مختلفة ويتراوح طول الجسم من ٨ – ١٠ سم والذيل من ١٥ - ١٨ سم. رمادى الظهر وأبيض أسفل البطن. يتغذى على الأعشاب والنباتات الصحراوية وموجود بكثرة على جانبى البحيرة.

توجد أيضا الفئران والعِرْس التى تنشط ليلا بحثا عن الغذاء من الحشرات.

• **القط الجبلى**



له جسم قوى ورشيق ورأس كبير وأذنان صغيرتان وتوجد خصلة من الشعر على طرفيهما ولون الجسم أصفر فاتح ويتراوح طول الجسم بين ٦٠ – ٨٥ سم ويعيش أكثر على الجانب الغربى.

القط الجبلى

• **الذئب**

يبلغ طول الجسم حوالى ٩٠ سم وطول الذيل من ٢٥ – ٣٠ سم. قوى الجسم ذو لون بنى فاتح. يقضى النهار مختبئا قرب المناطق الخضراء خاصة إذا كان هناك رعاة غنم ثم ينشط ليلا ليهاجم الحيوانات الصغيرة كالأرانب – الأغنام – الطيور.

• **الثعلب المصرى**

من فصيلة الكلبيات آكلى اللحوم والنبات. يبلغ الجسم حوالى ٦٠ سم والذيل ٢٥ سم ولون الجسم والبطن أصفر فاتح ومقدم الصدر ووسط البطن قرمزى اللون ويوجد شريط بنى من الرأس للذيل. الأنثى أصغر حجما من الذكر ويتغذى على الدجاج. يعيش عادة من سنتين أو ثلاثة فى البرية وفى الأسر قد يبقى إلى ١٠ سنوات. له سمع حاد وحاسة شم قوية وله أربعة أصابع وإصبع داخلية لا وظيفة لها فى كل من القدمين. يرفع ذيله بشكل مستقيم أثناء الجرى ويخفضها عند السير. يعيش فى مجموعات عائلية أثناء تربية الصغار أما فى الأوقات الأخرى فهو يعيش بشكل منفرد. التكاثر فى بداية فصل الشتاء حيث يغلب عليها روح المداعبة والتعاون فى الصيد.



الثعلب المصرى

• **الضبع**

هو حيوان ليلى ذو فراء طويل رمادى اللون تتخلله خطوط سوداء ومعرفة كبيرة على الظهر. يقطن الصحراء الغربية ويوجد فى خور وادى العلاقى. يتغذى على الجيف والجثث وله أسنان قوية حادة ويحب النخاع والعضام إذ تساعده عضلات فكه القوية على ذلك. وهو من الثدييات التى تلد وترضع صغارها. يتميز الضبع بجسم ممتلئ ورأس كبير وعنق غليظ. وقائمتيه الأماميتين أعلا من ساقيه الخلفيتين لذلك يتخذ جسمه شكلا مائلا. الظهر محدب والأقدام ذات أربع أصابع. الأذن مستعرضة القاعدة ومدببة الطرف يكسوها شعر خفيف. العيون منحرفة الوضع وذات بريق وهو حيوان أكول ذو رائحة كريهة.



الضبع

• **ابن آوى**

هو حيوان سريع تبلغ سرعته حوالى ١٦ كلم / ساعة لفترة ممتدة وطويلة وذلك بسبب عظام قوائمها الطويلة وهو حيوان ليلى ينشط فى المساء والفجر ويأكل الجيفة. يعيش فى أزواج ولكل زوج منطقتهما الخاصة التى يدافعان عنها وأحيانا تجتمع فى أعداد إذا عثرت على جيفة كبيرة. له فراء فضى خشن يتراوح لونه من الذهبى الباهت إلى الأصفر إلى البنى فى الأطراف. عادة يبلغ طوله بين ٧٠ – ١٠٥ سم ويصل طول ذيله إلى حوالى ٢٥ سم وارتفاعه عند الكتفين بين ٣٨ – ٥٠ سم ووزنه يتراوح من ٧ – ١٥ كجم وتتشابه جمجمته مع جماجم الذئب وله غدد تفرز بعض الروائح التى ليميز بها منطقته. وهو آحادى التزاوج أى أنها تكتفى برفيق واحد. موعد الولادة فى يناير وفبراير ويوجد منه على الضفاف الشرقية للبحيرة.



▪ الغزال المصرى

حيوان جبلى رشيق لونه أصفر فاتح به شريط داكن غير واضح على جانبى البطن يفصل الجزء العلوى عن الجزء السفلى من الجسم. يتراوح طوله من ٩٠ - ١٠٠ سم وطول الذيل يصل إلى ١٥ سم وهو رفيع وأسود. وللأسف تتناقص أعداده بشدة بسبب الصيد الذى يقوم به البعض ويوجد منه بعض الأعداد فى خور وادى العلاقى.



الغزال المصرى

▪ الحمار البرى النوبى

هو إحدى أفراد عائلة الحمار البرى الإفريقى الذى يعيش فى شمال شرق إفريقيا بما فيها مصر والسودان. فى مصر يتواجد فى الصحراء الشرقية بوادى العلاقى. هو من عائلة الخيليات ويعتقد أنه سلف الحمار المستأنس. يبلغ طوله مترين وعلوه عند الكتفين من ١٢٠ - ١٤٥ سم. يبلغ طول الذيل من ٤٠ - ٥٠ سم ويزن بين ٢٣٠ - ٢٧٠ كجم. لونه رمادى باهت على الجزء العلوى من الجسم يتلاشى حتى يصبح أبيض فى الجزء الأسفل وعند القدمين. به خط داكن على الظهر يمتد عبر الكتفين وله شعر منتصب عند العنق وآذان طويلة تساعدها على تعديل حرارة جسدها وحوافره ضيقة ونحيلة. يمتلك جهازا هضميا قادرا على هضم وتحليل نباتات الصحراء ويستطيع البقاء بدون ماء لفترات طويلة تصل لثلاثة أيام وأعداده تتناقص بشدة ومعرض للإنقراض.



الحمار البرى

■ رابعا النباتات البرية

إن الحياة النباتية البرية على ضفاف البحيرة لا تتميز بذات التنوع والغنى الذى تتميز به الحياة الحيوانية أو السمكية. يغلب على الحياة النباتية ما يسمى بالنباتات الشوكية وأنواع الصبارات المختلفة وسيتناول الحديث أهم هذه النباتات وأكثرها وجودا.

• نبات العُشَر {العُشَار أو شجرة الجن}

هو شجرة معمرة مستديمة الخضرة وتنمو فى أنواع مختلفة من التربة ويمكن رؤيتها والتعرف عليها بسهولة فى أبى سمبل. لا تأكلها الحيوانات وخشبه هش ويمكن استخدامه طبيا. جميع أجزائه سامة خاصة العصارة اللبنية الموجودة فى جميع أجزائه والتى قد تسبب فقد البصر إذا ما أصابت العين أما ابتلاعها فتسبب تهيجا فى الجهاز الهضمى وألما فى المعدة وضعفا عاما وإذا كانت الكمية كبيرة فيؤدى إلى نبض سريع غير منتظم وهذيان وهبوط فى القلب قد يعقبه الموت. قديما وفى المجتمعات البدوية كانت هذه الشجرة تستخدم لتسميم الرماح. أفرع النباتات هشة ولحاؤها اسفنجي والأوراق كبيرة خضراء ليس لها عنق. الأزهار مخضرة من الداخل بنفسجية من الخارج والثمار مزدوجة اسفنجية كبيرة تشبه ثمرة المانجو ولونها أخضر باهت تكسوها شعيرات حريرية ناعمة جدا وهى ألياف طويلة تتصل بالبذور من جهة طرفها المدبب. من النباتات التى استخدمت فى مصر القديمة فى الطب والتى ورد ذكرها فى بعض البرديات الطبية منها بردية {هيرست} فى بعض الوصفات الطبية المتعلقة بالأوعية الدموية. ورد ذكرها فى كتب التراث العربى القديم كنبات طبى. أما خيوطه وأليافه فيمكن استعمالها لصناعة الملابس والسجاد وشباك الصيد لأنها من الألياف النباتية القوية وأصبح الآن من النباتات الإقتصادية المهمة لتحمله العطش وقلة المياه لفترات طويلة.





نبات العُشَر

▪ **نبات الحنظل**

هو عشب معمر زاحف تمتد سيقانه على الأرض بطول أكثر من مترين. أوراقه مثلثة الشكل ذات فصوص ريشية خشنة. الثمرة كبيرة كروية الشكل تشبه البطيخة الصغيرة جدا عندما يكون لونها ضارب للخضرة مع خطوط صفراء ويتغير لونها إلى الأصفر عند نضجها وتصبح مثل البرتقالة وتحتوى بذورا كثيرة بيضاوية الشكل لونها بنى ضارب للصفرة وبها لب إسفنجى شديد المرارة ويعرف بأسماء أخرى مثل العلقم - مرارة الصحارى - التفاح المر - أو اليقطين البرى. كان معروفا فى مصر القديمة واستخدمت ثماره فى علاج بعض أمراض المعدة ولعلاج بعض الحروق كما عرف وما يزال يستخدم فى بعض المجتمعات الصحراوية البدوية لعلاج الكثير من الأمراض. وهو منتشر بكثرة على ضفاف البحيرة ويمكن رؤيته فى أبى سمبل.



▪ **نبات السَّكران**

هو أيضا نبات عشبى معمر وقوى النمو ويشغل مساحة قدرها حوالى ٢ متر مربع ويكاد نموه أن يكون أفقيا حيث نهاية أفرعه قد تتجه لأعلى ومغطاة بالأوبار الكثيفة. أوراقه كبيرة الجسم بيضاوية الشكل وحافتها ملساء وتحمل من ٢ - ٥ أسنان ذات قمم مثلثية الشكل لونها أخضر فضى لكثرة الزغب والوبر. الأزهار لونها بنفسجى غامق. يتميز بكثرة الفروع والتى تصل إلى ٧٠ سم أو أكثر ارتفاعا. أوراقها بسيطة ومقسمة إلى فصوص غير متساوية الأحجام وقممها مدببة. يستخدم فى التخدير العلاجى حيث تسحق أزهاره وأوراقه وتكبس معا لعمل أقراص التخدير. يمكن رؤيته فى وادى السبوع وأبى سمبل.



▪ شجرة الأكاشيا {السنط}

هى شجرة شوكية يصل طولها إلى ٦ متر. الساق خشنة الملمس متفرعة فى أعلاها على هيئة مظلة وأوراقها خضراء مركبة ريشية ثنائية الطرف. الأزهار متجمعة على هيئة سنبلة ذهبية اللون والثمرة على شكل قرن وهى خضراء منضغطة الجانبين وتتحول للون الأصفر عند نضجها وبها أشواك كثيرة وفى الصعيد تسمى شجرة القرض ويوجد منها الكثير فى خور وادى العلاقى.



▪ نبات الأثل

هو الأكثر انتشارا على ضفاف البحيرة ويطلق عليه الصيادون {العَبَل} وهو شجرة مستديمة الخضرة كثيرة الأفرع ولها ساق رمادية اللون ولها أوراق جالسة صغيرة حرشفية والأزهار بنفسجية عنقودية فى نهاية الأفرع. تثمر فى الصيف والثمار لها بذور ناعمة صغيرة تتطاير مع الرياح. الجذور تنتشر لمسافة محدودة ويتحمل ارتفاع درجات الحرارة حت ٥٠ درجة مئوية ويتحمل الرياح والجفاف ومنه أنواع قصيرة الإرتفاع وأخرى يصل ارتفاعها ٥ متر.



▪ نبات الهالوك

هو نبات زهرى طفيلى وله أنوع كثيرة معظمها معمر ويتطفل خارجيا وإجباريا مثل كثير من الأعشاب الأخرى. هذا النبات وأكثر هذه الأعشاب المتطفلة ضارة وإن استخدم بعضها قديما استخدامات طبية. لأنه يحتاج تربة طينية غنية فهو ينمو فى الأطراف التى كانت تغمرها مياه البحيرة والطمى الغنى.



▪ خامسا: أسماك بحيرة ناصر

قدرت بعض الدراسات فى عام ١٩٧٩ – ١٩٨١م أن المخزون السمكى ببحيرة ناصر يصل ٧٠ ألف طن وأن متوسط الإنتاج السنوى الآمن من الأسماك حوالى ٣٥ ألف طن. وفى الفترة من ١٩٧٤ – ٢٠٠٦م كان الحد الأقصى للإنتاج ٣٤ ألف طن وذلك عام ١٩٨١م وبينما كان الحد الأدنى ٨٠٠٠ طن عام ٢٠٠٠ م. وكان الإنتاج ١٢ ألف طن عام ٢٠٠٤م و١٥ ألف طن عام ٢٠٠٥م و١٩ ألف طن عام ٢٠٠٦ م. هذه هى أرقام الإنتاج الرسمية ولكن كما يعرف الجميع فإن الإنتاج الفعلى لا بد وأن يكون أكثر من الأرقام الرسمية ويصعب تحديده على وجه الدقة لأن هناك كميات من الأسماك يتم تسريبها دون أن تدخل فى الحصر الرسمى ويتم التسريب عن طريق بعض الأخوار غرب البحيرة والتى تمثل منفذا قائما بحد ذاته ينشط أحيانا ويخفت أحيانا أخرى. يوجد بالبحيرة أكثر من ٣٠ نوع من أسماك المياه العذبة وسيكون الحديث الآن عن أهم هذه الأنواع وخصائصها.

▪ السُّموس {الساموس}

هى أقوى انواع الأسماك على الإطلاق. تشبه البلطى مع فارق الحجم واللون الفضى اللامع وقشورها قوية. تتغذى على الأسماك الصغيرة والكبيرة ولها صدفتين أعلى الخياشيم يمكناها من قطع الشباك أو جرح أى عدو يقترب منها ويصل حجمها إلى ١٥٠ أو ٢٠٠ كجم.



▪ البلطى

هو أشهر الأنواع وله ألوان وأنواع كثيرة فمنه صغير الحجم المسمى شَبار ومنه الكبير الذى يصل طوله إلى نصف متر ووزنه أكثر من ٥ كجم. له موسمان للتزاوج، الأول من أواخر مارس وحتى بداية مايو والثانى من نهاية سبتمبر حتى أوائل نوفمبر. أثناء موسم التزاوج يصنع الذكر جورا فى القاع تبيض فيه الأنثى ثم يلقحه الذكر تلقيحا خارجيا وتقوم الأنثى بعد ذلك بالاحتفاظ بالبيض فى فمها حتى يفقس ثم تقوم بعد ذلك بما يعرف بالبخ عندما تقوم ببخ صغارها حتى يقوموا بالسباحة وعند الشعور بالخطر

يتجهون نحو فمها مرة أخرى حتى يصبح حجم الصغار ٢ – ٣ ملم فتقوم ببخه وتركه لمصيره. وفى موسم التكاثر الأول يمنع الصيد فى بحيرة ناصر ويغادر الصيادون ويكون ذلك نهاية عام الصيد ثم يعودون بعد ذلك أوائل شهر مايو الذى يعد لهم بداية عام الصيد الجديد.



سمكة البلطى

▪ **القرموط**

يتميز بشاربين حول الفم مما يجعله قريب الشبه بالقط. يقبل على الصيد ليلا حيث تمكنه حاسة الشم القوية من تتبع فرائسه. يصل طوله أحيانا ٢ متر ووزنه إلى ٥٠ كجم. يتميز بالولادة وليس البخ مثل باقى أنواع الأسماك ويأكل أى حشرة أو حيوان أو جيفة. باهت اللون ومائل للرصاصى عند الظهر بينما البطن بيضاء. أثناء فترة التكاثر يفضل المياه الضحلة جدا والقريبة من الشاطئ ويقوم بعمل بعض الحركات الإستعراضية الراقصة. ويطلق الصيادون على موسم التكاثر {التطاريق}



▪ **البياض**

يصل طوله إلى متر واحد والوزن إلى ٣٠ كجم ومنه نوع يسمى الفتيلة وآخر يسمى الدكر وهو سمكة من الفصيلة الجلدية أى لا يوجد قشور على جسمها. لها أربع أزواج من الشوارب وزعنفة عريضة عند آخر المنطقة الظهرية قبل



الذيل المشقوق. تتميز الرأس بفتحة فم عريضة مبططة. منها ما هو لونه بنى قاتم أو ذهبى. تتغذى على الأسماك الصغيرة وديدان الأرض.

- **عرسة البحر أو البويزة أو الأنوم**

يصل طول هذه السمكة إلى ١ متر والوزن إلى ٣٥ كجم. شكلها غريب فلها ما يشبه الخرطوم القصير والفم مستدق وبنهايته فتحة ضيقة بها سنتان علويتان وسنتان سفليتان وبجسمها قشور صغيرة جدا وذيلها مشقوق. من خصائص البويزة ذات الحجم الكبير أن ذيلها يصدر شحنات أو صدمات كهربائية فور خروجه من الماء.



- **الرّعاش أو الرّعاد**

تسكن عادة الأماكن التى تكثر بها الحجارة ولها وسيلة قوية للدفاع عن نفسها تمكنها من الإفلات من الكائنات الأخرى التى تريد افتراسها فهى تعطى صدمات كهربائية قوية عند الإحساس بالخطر ومعظم نشاطها ليلى. يصل طولها ٤٠ سم والوزن ٢.٥ كجم.



- **البنيّة**

سمكة جميلة وقوية وسريعة لونها فضى وهى صغيرة يتحول إلى الذهبى عند التقدم فى العمر ولها شوكة قاسية فى الظهر الذى يصبح مرتفعا فى الأنواع الأكبر حجما ويسمى الأتب. لون ذيلها أحمر متدرج إلى الفضى المصفر وقشرها يكبر مع كبر حجمها لكنه ضعيف.



- **اللبسة**

شبيهة بالبنية ولكنها لا تملك تلك الشوكة فى الظهر الموجودة فى سابقتها. قشرها فضى اللون مائل للزرقة عند الظهر. ذيلها وزعانفها بيضاء اللون. مستطيلة الشكل. الفم أسفل الرأس مزود بنتوءات جلدية وذلك لأنها تتغذى على الطحالب النامية على الصخور. يبلغ طولها حوالى ٣٠ سم ووزنها حوالى ٢ كجم.



- **الفهاقة او حمار البحر**

أحيانا تسمى سمكة البالون. تتميز بوجود كيس هوائى داخل البطن تقوم بنفخه إذا ابتلعته الأسماك الكبيرة. لها زوجان من القواطع فى فمها غاية فى القوة. يبلغ طولها حوالى ٢٥ سم ووزنها حوالى ٢ كجم.

- **الراية**

أحد الأنواع التى يصنع منها الفسيخ وهى حوالى ٣٠ سم والوزن ١ كجم. يطلق عليها سردين المياه العذبة وهو من أجمل وأنظف انواع الأسماك. بها قشور ضعيفة على جسمها ولها أسنان حادة وقوية. ذيلها أحمر ويزداد احمرارا فى موسم التزاوج.



▪ السفروت أو كلب البحر

تستخدم أيضا لصنع الفسيخ وهو حوالى ٦٠ سم طول و٦ كجم وزن وأسنانها تشبه أسنان الكلاب فأنيابها طويلة وقوية وحادة.



▪ سمك المبروك

هى من الأسماك التى تم تربية زريعتها فى البحيرة لأنها تتغذى على الأعشاب والبوص وأوراق النجيليات التى تنمو على حواف البحيرة والتى تستهلك كميات كبيرة من المياه فتم استزراعها للتوازن مع هذه النباتات. تكبر بشكل سريع ولونها ذهبى مائل للخضرة أو البنى. قشورها قوية وكبيرة. اسطوانية الشكل وطويلة. الفك العلوى أكبر من السفلى قليلا. مقدمة رأسها ميطلطة بعض الشئ ويميز ذيلها وزعانفها اللون الأحمر.



▪ سمك أبو ريالة أو الزُّمّير

يبلغ طولها حوالى ١٥ سم ووزنها حوالى نصف كجم. من الأسماك الجلدية فصيلة القراميط. لها فم واسع جدا إذا ما قورن بحجمها الصغير.

▪ القراقير



منه الأبيض والأسود وطوله حوالى ٢٠ سم ووزنه حوالى ٢ كجم.

▪ من الأسماك التى لا تؤكل ما يسمى الترسة وهى مستديرة الشكل وطولها حوالى ٨٠ سم ووزنها حوالى ٣٥ كجم.

■ الصيادون فى بحيرة ناصر.. حياة أم مغامرة؟

♦ يبدأ الصيادون عامهم فى أوائل شهر مايو بعد انتهاء ما يسمى فترة غلق البحيرة حيث يمنع الصيد لما يقرب من شهر هى فترة تكاثر الأسماك. بحيرة ناصر مقسمة لمناطق صيد وكل منطقة مخصصة لمجموعة من الصيادين ولها حدود معينة. معظم الصيادين هنا من جزيرة مطيرة بمحافظة قنا أو من جهينة والبلينا بمحافظة سوهاج وهؤلاء يشكلون الأغلبية. وتوجد مجموعات من محافظات أخرى كالفيوم وبنى سويف ونادرا ما يرى صيادون نوبيون على الرغم من أن بعضهم يمتلك رخصة صيد إلا أن طبيعة العمل فى بحيرة ناصر لا تتناسب مع الشخصية النوبية وقد قام بعضهم بتأجير رخصهم لبعضٍ من الصعيد.

♦ العدد الفعلى للصيادين يقارب ٧٠٠٠ على الرغم أن الرخص المسجلة رسميا تبلغ ٣٢٠٠ رخصة. وهم ينقسمون لأصحاب رخص المياه أو أصحاب العمل ومن يعمل لديهم ممن يحمل فقط رخصة لمزاولة المهنة. صاحب العمل هو المسئول عن استخراج وتجديد ما يسمى برخصة المياة أو حق استغلال المياه فى الصيد واستخراج رخصة أخرى تسمى رخصة الماعونة. والماعونة هى كل مركب صيد به محرك بغض النظر عن الحجم وقد يمتلك صاحب رخصة المياه أكثر من ماعونة. المقيمون فى البحيرة غالبا هم الصيادون وليس أصحاب العمل.

♦ وهؤلاء المقيمون لهم حياتهم التى نظمتها خبراتهم الطويلة المتراكمة عبر سنوات طويلة من الحياة فى هذا المكان ذى الطبيعة الخاصة. فهم يفضلون الإقامة على الجزر أكثر من ضفاف البحيرة خاصة إذا كانت هذه الجزر قد غمرتها المياه قبل ذلك ولو لمرة واحدة لأن ذلك معناه غسل الجزيرة وتنظيفها من معظم الزواحف السامة. وإن لم تتوافر تلك الجزر فى المنطقة الخاصة بهم واضطروا للإقامة على الضفاف فهم يفضلون إقامة أكواخهم بالقرب من المياه. فى العادة كل مجموعة تقيم كوخين أو عشتين من البوص الأول يطلق عليه {خيمة المَرمّة} وهى للإقامة والنوم وتكون عادة مسقوفة بالبوص ومقفولة من ثلاث جوانب ومفتوحة من الجانب الرابع أما الأخرى فيطلق عليها {خيمة الملوحة} وهى بمثابة معمل لتمليح الفسيخ وهى غير مسقوفة ولكنها مغلقة من الجوانب الأربعة ولها باب من البوص أو الصاج وذلك لحماية أسماكهم المملحة من الحيوانات ووحوش الصحراء.

♦ تكون الإقامة فى معظم الأحوال لمدة عام كامل أو على الأقل عدة شهور متصلة قبل

إجازة محدودة لعدة أيام. النظام الغذائى قوامه الخبز المجفف والأسماك والأرز والأطعمة التى يمكن تجفيفها واستخدامها لفترات طويلة قبل أن تفسد. الأكثر حظا منهم هم القريبون من أسوان وأبى سمبل أو ميناء جرف حسين فى منتصف المسافة حيث يسهل لهم إحضار المؤن الغذائية الطازجة مع بعض القادمين وأيضا المقيمون فى بعض المناطق التى بدأ بها العمران مثل منطقة قصر إبريم حيث قرية توماس وعافية التى لا تبعد كثيرا عنهم. أما معظم الصيادين الذين ينتشرون فى أخوار البحيرة الكثيرة فهم بعيدون عن العمران واتصالهم الوحيد يتم عن طريق المواعين أو المراكب ذات المحركات ويمكنهم عن طريقها إحضار بعض الأغذية والأدوية ويكون ذلك مرة أو مرتين فى الأسبوع.

- للشباك المستخدمة مواصفات قياسية خاصة حتى لا يتم صيد الأسماك الصغيرة جدا وذلك حفاظا عل زريعة الأسماك المختلفة. طريقة الصيد ونوع الطعم المستخدم يحدد نوع السمك الذى سيتم صيده فمثلا عند صيد السموس يتم ربط سنانير صغيرة فى الشباك يتم بها ربط بعض الأسماك الصغيرة من ذيلها فتصبح تلك الأسماك مدلاة من الشباك وفى حركة اهتزاز مستمرة مما يغرى سمك السموس الذى يفضل الأسماك الصغيرة الحية. وأحيانا تكون الأسماك فى قاع البحيرة فى حالة سكون فيقوم الصيادون بعمل ضوضاء عن طريق قرع مقدمة القارب فى حركات إيقاعية منتظمة أو ضرب صفحة المياه الهادئة بالمجاديف مما يفزع الأسماك فتندفع لأعلى لتجد الشباك ملقاة فى انتظارها.

- يستخدم الصيادون مراكب صغيرة ذات مجدافين ويفردون شباكهم فى مساحات واسعة ويتركونها فترة طويلة وعندما تمتلئ يتم جمعها فى نطاق أضيق ولكنها تُترَك فى المياه حتى تحضر الماعونة الخاصة بصاحب العمل. وتكون تلك الماعونة مجهزة بألواح الثلج والميزان حيث يتم وزن السمك قبل أخذه للماعونة تمهيدا لنقلها إلى أحد المنافذ الثلاثة بأسوان أو أبى سمبل أو جرف حسين حسب موقع المنطقة جغرافيا ولأيهم أقرب. يتم تسجيل الكمية عن طريق صاحب الماعونة حتى يتم عمل الحساب الختامى للصيادين بنهاية العام فى أوائل شهر إبريل حيث يجمعون متعلقاتهم استعدادا للعودة لديارهم فى الإجازة السنوية. أحيانا يقوم بعض الصيادين ببيع جزءٍ مما يصطادون خارج الماعونة مقابل سعرٍ أعلى والدفع الفورى وهو ما يعرف بتسريب الأسماك وفى هذه العملية يتم أخذ السمك من الصياد إلى أحد الأخوار التى تكون

فى العادة نهاية لإحدى المدقات التى مهدتها أطر السيارات وهناك تتم عملية البيع والشراء والنقل عن طريق السيارة التى تكون مجهزة بألواح الثلج. فى الآونة الأخيرة تم خصخصة بعض المناطق ببحيرة ناصر لاستغلالها عن طريق بعض المستثمرين بما لا يؤثر على أصحاب الرخص أو الصيادين. وقد قلت فى السنوات الأخيرة بشكل كبير عمليات تسريب الأسماك بعد أن تقاربت أسعارها بشكل كبير.

- بين بردٍ قارسٍ فى الشتاء وشمسٍ حارقةٍ فى الصيف تمضى بهم الحياة وتزداد قسوتها بنشاط الزواحف فى الصيف من عقارب وثعابين سامة بأنواعها. وفى الصيف يحدث كثيرا أن يلدغ أحدهم عقربٌ شاردٌ هنا أو ثعبانٌ متسللٌ هناك وبالطبع هم لا يملكون الأمصال الشافية ولا توجد أى خدماتٍ طبيةٍ أو إنسانيةٍ تقدم لهم باستثناء القريبين منهم من مناطق العمران أما معظمهم فيعتمدون فى مقاومتهم للزواحف على وسائل بدائية فى مجملها من تشريطٍ للجلد لمص السم من الدم أو استخدام بعض أنواع الأعشاب. وبعضهم يدعى قدرته على ما يسمى {الحَوى} وهو ترتيل ما يطلقون عليه {القَسَم} لإبطالٍ سم العقرب أو الثعبان أو حتى للتحصين والوقاية من لدغاتهم. وقد ازدادوا حنكةً فى ذلك باحتكاكهم بالعَرَبَاوية الرعاة خاصة غرب البحيرة والذين سوف أتحدث عنهم بمزيد من التفصيل للتعريف بهم. وتلك الوسائل يقف العلم أمامها صامتا لا يملك جرأة الرفض ولا يستسيغ قبول المنهزم. ولكنها على أية حال هى الوسائل الوحيدة المتاحة لهم للدفاع عن أنفسهم ضد أخطارٍ يمكن أن تنهىَ حياة أحدهم فى دقائق معدودة. وذلك بالإضافة للحوادث التى تحدث من وقتٍ لآخر عندما يختطف تمساحٌ عجوز عجز أو تكاسل عن مطاردة الأسماك تحت المياه أحدَ الصيادين وهو يسبح أو يتجول بجوار الشاطئ أو تظن أمٌ شرسةٌ عن طريق الخطأ أن أحدهم سيأخذ بيضها المدفون فى الرمال فتفتك به.
- على الرغم من يقظة السلطات الرسمية متمثلة فى شرطة المسطحات المائية فى القيام بدورها فى محاولة الرقابة الصارمة على منافذ البحيرة والتفتيش الدورى على تراخيص الصيادين وعدم التردد فى مصادرة المركب حالة مخالفة القوانين المصرية المعمول بها، إلا أن هذا القانون وهذه الهيئات وغيرها من الهيئات الرسمية الأخرى المشتركة فى المسئولية عن بحيرة ناصر وعن الصيادين لا يقدمون الحماية أو الخدمات الكافية بما يحفظ لهؤلاء حياتهم أو ينقذها عند التعرض لإحدى الأخطار السابقة. ويبدو المشهد صارخا فى التناقض بين صرامة الرقابة وغلظة العقاب عند المخالفة وبين العجز عن إنقاذ أحد الملدوغين فى أحد الأخوار البعيدة.

■ العَرَبَاوية الرعاة وحياة الصحراء

♦ قد يفاجأ المرء يوما بعددٍ كبيرٍ من الأغنام والماعز والخرفان ترعى الحواف الخضراء غرب البحيرة. يكون عدد الأغنام أحيانا بضع عشرات وقد يتعدى المائتين ويكون معهم شخص واحد أو اثنان على أكبر تقدير، فمَن هؤلاء؟ ومن أين أتوا وكيف يعيشون؟

هم من يُطلَق عليهم العرباوية فى إشارة واضحة إلى أصولهم العربية. وتلك التسمية خادعة إلى حدٍ ما. لأن أصولهم مختلفة وينقسمون بصفة عامة إلى {العبابدة} و{البشارية}.

♦ فالعبابدة ينتشرون فى أماكن مختلفة من محافظات جنوب الصعيد ويتركزون فى محافظة أسوان فى مناطق مثل {أبى الريش – الخطّارة – نجع ونّس فى دراو – كوم امبو – نجع العرب ووادى خريط بمركز نصر النوبة – إدفو وغيرها} وهم ينسبون أنفسهم لأصولٍ عربية خالصة وقبيلةٍ واحدة وشخصٍ واحد وهو الصحابى الجليل الزبير بن العوام. وقد عاش بعضهم فى بلاد النوبة وكانو يحترفون الرعى ويميزون عن النوبيين بالسروال الواسع وبعضهم كان يرتدى العمامة الكبيرة مثل أهل النوبة وقد اشتهروا فى ذلك الوقت بوضع كثير من الأحجبة الوقائية والتى كان بعضهم يربطها لذراعه والبعض الآخر كان يعلقها حول صدره. ومنذ القرن الثامن عشر احترف بعضهم التجارة بين مصر والسودان عبر الصحراء ونافسوا فى ذلك عرب العليقات فى النوبة حتى تم تقسيم التجارة بينهم فى عصر محمد على وفى حروب الجيش المصرى أثناء حركة المهدى كانوا يعملون كجمّالة للجيش المصرى.

♦ أما البشارية فهناك آراء مختلفة حول أصولهم فهناك من يعتقد أنهم من أصول نوبية خالصة تعود لقبائل البجا والتى مايزال بعضها موجودا فى السودان أو أنهم ينحدرون من قبائل البليميين النوبية التى ورد ذكرها سابقا فى موجز التاريخ النوبى وهناك رأى ثالث أنهم أصلا عبابدة ثم تزاوجوا فى فترةٍ من تاريخهم من قبائل البجا وهذا هو السبب فى أنهم يتحدثون لهجةً خاصة بهم قد تكون إحدى اللهجات النوبية أى أنهم أبناء عمومة للعبابدة وهم أنفسهم يفضلون هذا الرأى ويقيمون بصفة أساسية بمدينة أسوان ويتميزون بملامحهم الإفريقية.

♦ هؤلاء الرعاة سواء من العبابدة أو البشارية احترفوا منذ زمنٍ بعيد رعى الغنم والإبل. كانت رحلتهم سابقا تصل لوادى حلفا شمال السودان حين كانت تجارة الإبل

مزدهرة. والآن يصلون لحدود السودان شرق وغرب البحيرة. تبدأ الرحلة من أسوان وتستمر حوالى سبعة أشهر ومن يقوم بالرحلة مسئول عن الأغنام التى قد ترجع ملكيتها لأكثر من عائلة. يكون معهم الحمير والجمال لحمل الأمتعة والمؤن البسيطة التى تتكون فى الغالب من الدقيق وبعض الأوانى البسيطة والأرز.

- يبدأ يومهم منذ الصباح الباكر حين يقتربوا بأغنامهم من الضفاف النجيلية الخضراء وقبل أن تغرب الشمس بوقت كاف لا بد أن يبتعدوا بأغنامهم من ١ – ٢ كم لأن هذا هو الشريط الذى تنشط به الزواحف السامة ثم يبيتون ليلتهم ومعهم كلاب الحراسة التى ترافقهم من بداية الرحلة لحراسة الأغنام من الثعالب والذئاب والحيوانات الأخرى. يملكون من حنكة السنين المتوارثة من الأجيال السابقة ما يجعلهم قادرين على اختيار الأماكن الآمنة لهم ولأغنامهم وأيضا ما يجعلهم متفردين فى ممارسة وسائل العلاج العشبى البدائى وقد أخذ منهم الصيادون الكثير من تلك الخبرات عبر العقود الماضية.
- فى السبعينيات من القرن الماضى وعند بدء تكون بحيرة ناصر كان هناك رعاة سودانيون وبعضهم كانوا خبراء فى ممارسة بعض طقوس السحر الإفريقية بل واستخدام تلك الطقوس فى حماية أنفسهم فى المساء. وكان بعضهم يصطحب معه النساء فى تلك الرحلة الطويلة. ومازال بعض الصيادين الذين يمارسون مهنتهم منذ ذلك الوقت يحتفظون ببعض الحكايات عن بعض هؤلاء وعن أساطيرهم. وقد قصت أكثر من مجموعة قصة {الجدّة آمنة السودانية} التى كانت متمرسة فى تلك الطقوس لدرجة أنها فى الليل كانت تقوم بتحويل نفسها ومن معها من الأشخاص والأغنام إلى قطع من الصخور لتأمن اللصوص والوحوش.
- أما الآن فالرعاة مصريون وأكثر ما يبرعون به هو ما يمكن تسميته طب الصحراء لأنه لا يقتصر على الأعشاب بل يشمل أحيانا البتر والكى بالنار إذا ما لدغت أحدهم إحدى الطريشات وفى أغلب الأحوال يقوم بالرحلة اثنان من الرعاة فإذا قدر لأحدهما ذلك فعلي الآخر أن يقوم بكيه بالنار قبل أن يسرى السم فى جسده. ويحدث فى أحيانٍ أخرى أن يقوم بالرحلة واحدٌ فقط وفى هذه الحالة وجب عليه أن ينقذ نفسه نفسه ولكن إذا كان هذا الراعى قد اكتسب الخبرة الكافية فإنه يمكن أن يصبح قادرا على تجنب أماكن تواجد هذه الزواحف.
- يسيرون فى اليوم الواحد حوالى ٧ كم. يقومون بعمل الخبز مما يحملون من دقيق وعن

طريق تسوية العجين فى الرمال المسخنة بالنار ويسمى هذا الرغيف {القابورى أو القرص}. ونظام غذائهم الرئيسى يتكون من الحليب والخبز والسمك. فى فصل الصيف يفضلون الجانب الغربى للبحيرة وعند ارتفاع منسوب المياه وانحسار مساحة المراعى فإن بعضهم يفضل العودة لموطنه والبعض الآخر ينتقل للصحراء الشرقية وتقوم مجموعة من الصيادين بنقلهم وأغنامهم إلى الشرق مقابل رأسٍ أو أكثر من الغنم. ويتوقف المقابل على العدد الإجمالى للأغنام وبالطبع لا يخلو الأمر من مساومة.

♦ مصطفى العبّادى هو حالة خاصة جدا بين هؤلاء الرعاة فهو إحدى الوجوه المألوفة للصيادين فى العشر أعوام الأخيرة. يختلف عن الآخرين لأنه عشق الصحراء واختار البقاء الدائم فيها وقضى أكثر من عشر سنوات متنقلا بين الأماكن المختلفة فى الغرب لم يتخللها سوى أيام قليلة ذهب فيها لمسقط رأسه فى دراو بعد إلحاحٍ من العائلة لكنه لا يلبث أن يشعر بالغربة فى المدينة وعمرانها ويشتد حنينه للصحراء فيعد زاده القليل وجمله الشاب ويأخذ أغنامه ويبدأ رحلته من الغرب ويسلك الطريق القديم الذى كان يستخدم للتجارة ولا يضطر لعبور خزان أسوان أو السد العالى.

♦ ويحدث بالطبع أن يفقد أحدهم واحدا أو أكثر من أغنامه يفترسها أحد الحيوانات أو التماسيح ولكنهم يحسبون مكاسبهم فى نهاية الرحلة الطويلة وعند بيع الأغنام إذا كانت ملكا لهم أو أخذ نسبتهم المتفق عليها إذا كانت الأغنام ملكا لآخرين. ويفتخر مصطفى العبادى أنه لا يرعى الأغنام لأحد وإنما لأبيه وإخوته وأنه اختار ذلك لأنه أحبَّ البقاء فى الصحراء والتى رغم أخطارها وقسوتها تشعره برحابة الحياة ونقائها وتكشف له كثيرا من أسرارها وفلسفتها. فهى له ليست مهنة وإنما قرار.

الجزء الثانى

آثار بحيرة ناصر

الفصل الأول

موقع كلابشة الجديد

- معبد كلابشة
- معبد بيت الوالى
- معبد قرطاسى
- معبد جرف حسين
- نقوش ما قبل الأسرات

موقع كلابشة الجديد

تقع جزيرة كلابشة حوالى ١ كم للجنوب من السد العالى وقد نقل إليها كل من:

- معبد كلابشة
- معبد بيت الوالى
- معبد قرطاسى
- معبد جرف حسين
- نقوش ما قبل الأسرات

▪ معبد كلابشة

▪ الموقع والتاريخ

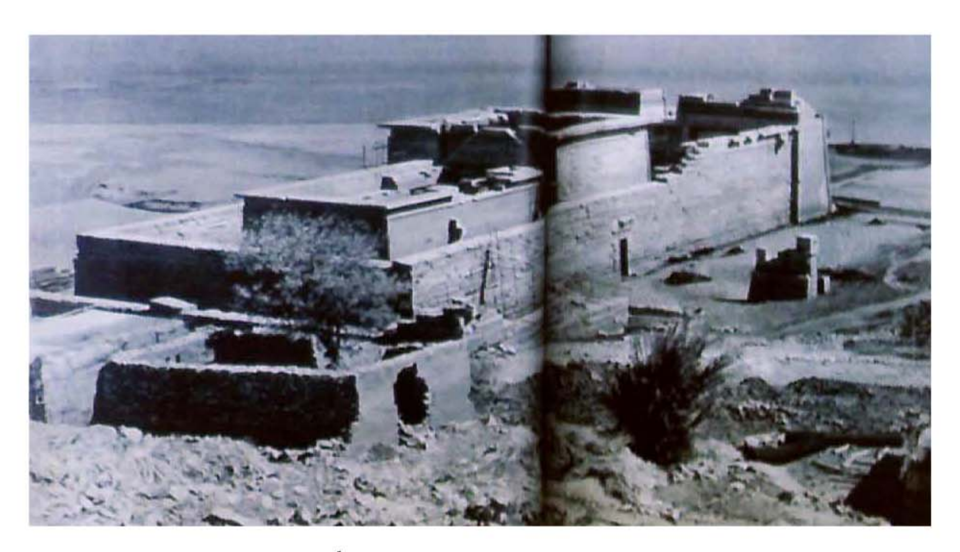
♦ كان الموقع الأصلى لهذا المعبد حوالى ٥٠ كم للجنوب من الموقع الحالى و٥٧ كم جنوب مدينة أسوان. والمدينة الأصلية كلابشة كانت تقع على ضفتى النيل والاسم القديم لها [تلميس] ومنه اشتق الاسم الرومانى [تاليس]. وقد كانت الصخور الجرانيتية الداكنة تزداد فى هذا الموقع قربا من النهر على الضفتين مكونة ما يشبه البوابة لذلك أطلق عليها [باب كلابشة]. وقد شيد المعبد للجنوب من بوابة كلابشة وكانت هذه القرية قائمة بالفعل فى الأسرة ١٨ فى عهد [أمنحتب الثانى ١٤٥٣ – ١٤١٩ ق.م]. وقد عثر على تمثال ضخم من الجرانيت الأسود يحمل اسم [تحتمس الثالث ١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق.م] ربما يوجد الآن فى مخازن المتحف المصرى.

♦ ويعود تاريخ المعبد لعهد أمنحتب الثانى وقد كان ملحقا بأحد الحصون التى بنيت بين الشلالين الأول والثانى. أما المعبد القائم حاليا فهو ذو تاريخ متأخر حيث أعيد بناؤه فى العصر البطلمى على أساساته القديمة ثم أعيد البناء مرة أخرى فى عصر الإمبراطور الرومانى [أغسطس ٣٠ ق.م] مع إضافات عديدة تعود لعصر [كاليجولا] و[تراجان].

♦ فى موقعه الأصلى كان يقع عند سفح أحد التلال ويرى من مسافة بعيدة ويتم الوصول إليه عن طريق النهر. عند بناء خزان أسوان أو السد القديم قام [باراسانتى]

بأعمال ترميم فى المعبد لتقويته عدة مرات فى أعوام [١٩٠٧ – ١٩٠٨ – ١٩٠٩ م]. ولكن عند بناء الخزان ثم تعليته أكثر من مرة فإن المعبد بالكامل قد غمرته المياه. وكان طوال تسع شهور فى السنة تحت المياه بالكامل وفى شهور يوليو – أغسطس – سبتمبر كانت المياه تغطى فقط الجزء الأسفل منه. وهو إن كان مكتمل البناء إلا أنه غير مكتمل النقوش. وهو من أجمل وأكمل معابد النوبة حتى أنه كان يطلق عليه كرنك النوبة.

♦ ومما ذكره الرحالة فى القرن ١٩م أن أهل قرية كلابشة كانوا ما يزالون يحملون بعض الأسلحة القديمة مثل الخناجر والسهام والدروع ويهاجمون بها الزائرين حتى بدايات القرن العشرين حين بدأت تختفى هذه العادات شيئا فشيئا.



معبد كلابشة فى مكانه الأصلى

♦ وكان ثمة اهتمام المانى بالآثار المصرية قد بدأ منذ أن قام لريتشارد ليبسيوس ١٨٤٣ – ١٨٤٨م] بأول بعثة أثرية استكشافية ثم استمر هذا الاهتمام فى يناير ١٩٦١ عندما تقدمت حكومة المانيا الإتحادية بعرض للحكومة المصرية لإنقاذ معبد كلابشة.

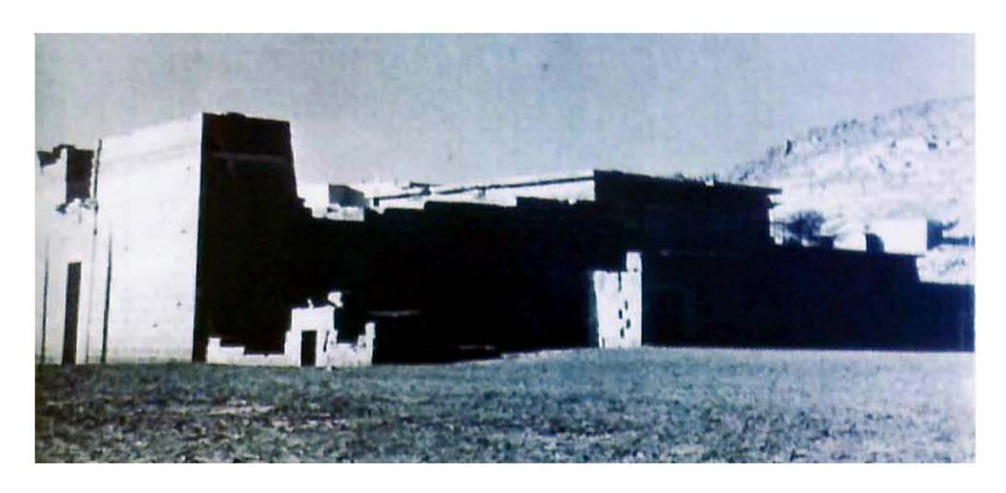
تم اختيار المكان الحالى ثم بدأ العمل فى نوفمبر ١٩٦١م بتفكيك المعبد إلى حوالى ١٦٠٠٠ قطعة. تم استخدام خمس مراكب ضخمة حمولة كل واحدة من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ طن وخمس رافعات عملاقة تستطيع كل واحدة رفع ما يزيد عن ٣٠ طن. وقد كان

وزن قطع الأحجار من واحد إلى ٣٠ طن. بالإضافة للفريق الفنى المصرى والألمانى فقد شارك فى العمل ما يزيد عن ٢٥٠ عامل مصرى. فى الأول من أكتوبر ١٩٦٢م تم نقل كل القطع وبنهاية ١٩٦٣م اكتمل العمل. وكانت بعض أحجار السقف فى حالة سيئة ولم يكن ممكنا نقلها بدون تقطيعها.

- أثناء تفكيك المعبد وجدت فى الأساسات مقصورة صغيرة بها نقوش لكل من [بطليموس ٩ - أغسطس - سيزار] وكانت مخصصة لخنوم وقد أعيد بناؤها فى جزيرة [إلفنتين] بأسوان. كما وجدت بوابة ترجع للعصر الرومانى وقد أهديت لألمانيا ووجدت أيضا بعض قطع الأحجار بها بعض النقوش الخاصة بالملك المروى [أرجامون].
- وقد كرس المعبد لعبادة إله الشمس النوبى والذى كان اسمه المصرى [ميرول أو ميلول] بينما فى العصر اليونانى أطلق عليه [ماندوليس] وكان اسمه يقترن دائما باسم المدينة [ماندوليس إله تاليس] ويعتقد أنه لم يكن معروفا فى الأسرة ١٨ أو كان أقل أهمية لأن النقوش التى تظهر [امنحتب الثانى] لا تظهره مع ماندوليس لذلك يمكن القول أن معبد الأسرة ١٨ كان مخصصا لآلهة أخرى.
- وهو له أشكال متعددة أشهرها فى شكل رجل يرتدى تاجا به [قرون الكبش - الكوبرا - الريش المتوج بأقراص الشمس] مثل تاج الأتف. وأحيانا فى شكل صقر برأس إنسان. ويظهر فى مناظر عدة بالمعبد مرتبط ب[واجت] إلهة مصر السفلى ومركزها [بوتو] فى الدلتا. وكان يضاف لهما صورة مصغرة لماندوليس مكونين ثالوثا مقدسا. وأحيانا يرتبط بثالوث أوزوريس وإيزيس وحورس وذلك بأن يتم وضعه فى المنظر المقابل أو الموازى لهم.

و هناك بعض الآلهة التى تظهر معه مثل [أوزوريس - وننفر - حورس - حتحور - آمون رع - موت... إلخ].

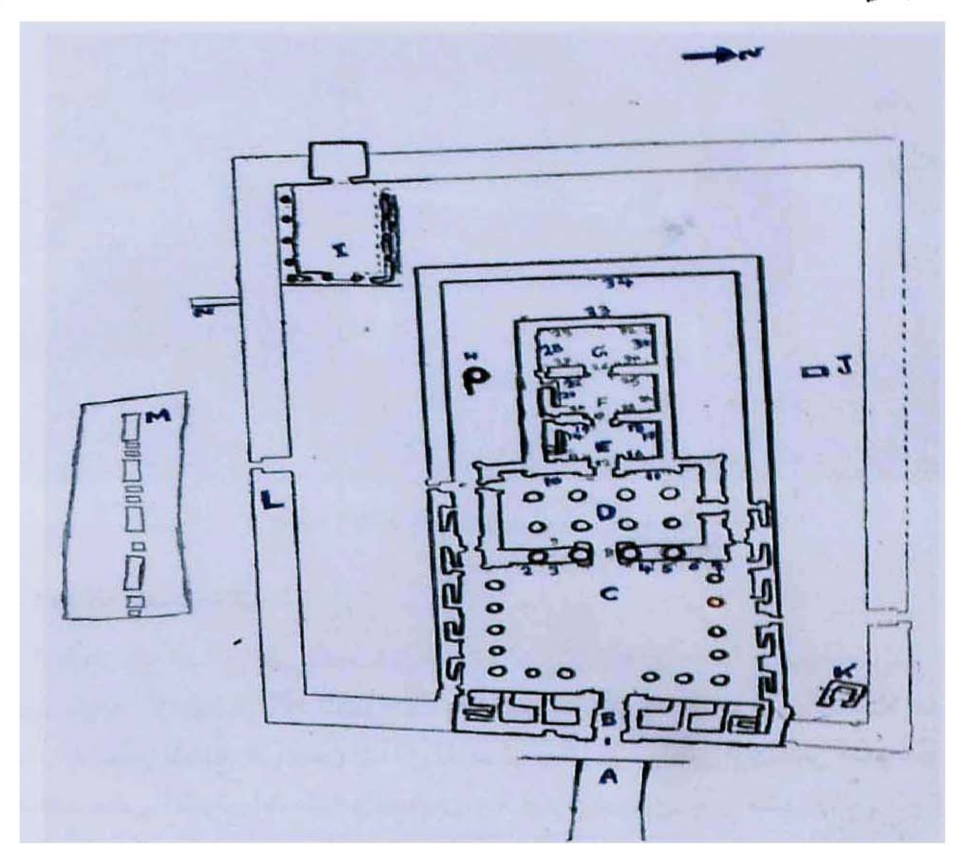
- ولم تكتمل معظم نقوش المعبد باستثناء الأجزاء الداخلية. وهناك بعض نقوش يدوية لبعض الصقور فى أماكن مختلفة للمعبد. والملاحظة الهامة أن معظم الأشكال لها ملمح نوبى وليس مثل باقى المعابد اليونانية الرومانية. ويعتقد بوجود بعض الألوان قبل بناء خزان أسوان فقد تحدثت الإنجليزية [أميليا إدواردز ١٨٧٣م] عن الألوان الكثيرة والغريبة المستخدمة لملابس وأشكال اللآلهة والتى لم ترى مثلها ولكنها قد اختفت جميعا بعد الخزان.



معبد كلابشة يحيطه الطمى قبل الإنقاذ

▪ **وصف المعبد [شكل ١]**

♦ كان يتم الدخول إلى المعبد عن طريق النهر لذلك فهو يبدأ برصيف مرتفع يليه طريق طوله ٣٠ متر [A] يقود للصرح [B] وهو غير منقوش باستثناء البوابة حيث يعلوها قرص الشمس المجنح. فى يمين المدخل [١] نقش يمثل الإمبراطور أوجستس أمام حورس وهناك بعض النقوش القبطية والصلبان. وبالصرح غرفتين على كل جانب بأحدها سلالم تقود للسطح. وهو نموذج للمعبد المصرى التقليدى فى العمارة حيث يتلو الصرح الفناء المفتوح ثم صالة الأعمدة التى يفصلها عن قدس الأقداس ردهتين على يمين كل منهما بعض الغرف الجانبية كما يوجد الدهليز الذى يحيط بالجزء الرئيسى للمعبد.



شكل (١) رسم تخطيطى لمعبد كلابشة

♦ الفناء المفتوح [C]: كان يحيط به صف من الأعمدة من ثلاث جهات [١٤ عمود] فقط الشمالى والجنوبى منهم بعض الأعمدة ما زالت واقفة حتى ارتفاعها الأصلى بينما الأخرى وجدت منها بعض الأجزاء. وتيجان الأعمدة هنا من النوع التقليدى فى هذه الفترة وهى النباتية المتنوعة ومنها ما يمثل النخيل. ويوجد أربع غرف تخزين فى كل من الجانب الشمالى والجنوبى للفناء.

الناحية الغربية للفناء هى واجهة صالة الأعمدة التى تتكون من أربع أعمدة بينهم المدخل ويربطهم جدار نصفى. نقوش الواجهة غير مكتملة فعلى يسار المدخل [٤] منظر لحورس وتحوت يطهران الملك ويلاحظ عدم وجود اسم فى الخرطوش الملكى ولكن جزء من كلمة [بر – عا] وهى ما كانت تعنى الفرعون بدون تحديد اسمه.

يمين المدخل توجد مجموعة هامة من النقوش التى أضيفت للمعبد فيما بعد. الأول على الجدار بين العمودين الأول والثانى [٤] وهو مرسوم صادر من [أوريليوس بيساريون ٢٤٩م] حاكم [أومبوس وإلفنتين] العسكرى يأمر فيه الأهالى بإخراج الخنازير من تاليس المقدسة. النقش الثانى [٥] على العمود الثانى باللغة المروية نسبة لمدينة [مروى] والحقبة المروية وهو خاص بالملك المروى [كارامادى] فى القرن ٤م. فى أعلى الواجهة وفى قرص الشمس المجنح [٦] يوجد نص لاتينى يرجع للعام ١٢ لحكم [نيرفا].أما أهم النصوص [٧] فى نهاية الواجهة وهو نص يونانى ركيك لغويا ولكنه مهم تاريخيا فهو يحكى عن الملك النوبى المسيحى [سيلكو] فى القرن ٦م وهو كان ملكا نوباديا. وكان العداء مع البليميين ما زال موجودا فكان يتفاخر بانتصاره عليهم وترجمة النص كالآتى: [أنا سيلكو ملك النوبيين وجميع الإثيوبيين القوى. جئت مرتين حتى وصلت تاليس وتافيس وحاربت ضد البليميين. ووهبنى الله النصر وقضيت عليهم للمرة الثانية. ثلاثة لواحد وفى المرة الأولى حصنت نفسى هناك مع جنودى وقضيت عليهم وتضرعوا لى وخضعوا لحكمى وعقدت صلحا معهم وآقسموا لى بآلهتهم ووثقت بهم لأنهم قوم مؤمنون. ثم عدتَ أدراجى إلى ممتلكاتى فى الإقليم الجنوبى. لأننى ملك لست أقتفى آثار الملوك الآخرين وأسير وراءهم. ولكنى أسير فى مقدمتهم.]

أسفل هذا النص يوجد نقش لشخص فى ملابس رومانية على ظهر حصان يطعن عدوا منبطحا ويتوج فى نفس الوقت. وقد يكون هذا هو سان جورج فى صورته التقليدية وهو يطعن حيوان التنين ومعه أحد الملائكة أو قد يكون فارسا رومانيا.



الفناء الأول لمعبد كلابشة

♦ صالة الأعمدة [D] بها ١٢ عمود بما فيها أعمدة الواجهة والتيجان هنا محلاة بالنقوش الزهرية. وتظهر النقوش البارزة غير المكتملة الملك الغير محدد الإسم فى مواجهة العديد من الآلهة.

فى [٩] (يسار المدخل) نجد الصلبان الدالة على استخدام المعبد ككنيسة منذ القرن السادس الميلادى [٥٢٧م] عند صدور المرسوم البيزنطى الخاص بإغلاق معابد النوبة.

من أهم النقوش ما نراه فى [١٠] على يسار مدخل الصالة التالية حيث توج أربعة صفوف من المناظر الأسفل منها موكب الملك والذى يقوده إله النيل [حابى] وإله المعبد [ماندوليس]. فى الصف الثانى العلوى يوجد أقدم نقوش المعبد حيث يوجد إلى اليمين [أمنحتب الثانى] يقدم النبيذ إلى [مين]. بينما المنظر إلى اليسار الملك البطلمى يقدم رمز الحقل إلى [إيزيس]. أسفل هذا الصف يوجد منظر إلى اليمين يمثل [ماندوليس] فى شكل صقر برأس بشرى ثم نجد نفس الشكل له فى الجدار الآخر [١١] وهو محاط بأزهار اللوتس والملك يقدم القرابين له ولإيزيس وهى ربما تشير إلى أسطورة إيزيس وأوزوريس عندم قامت إيزيس بإخفاء ابنها[حورس] فى مستنقعات الدلتا لحمايته من [ست].

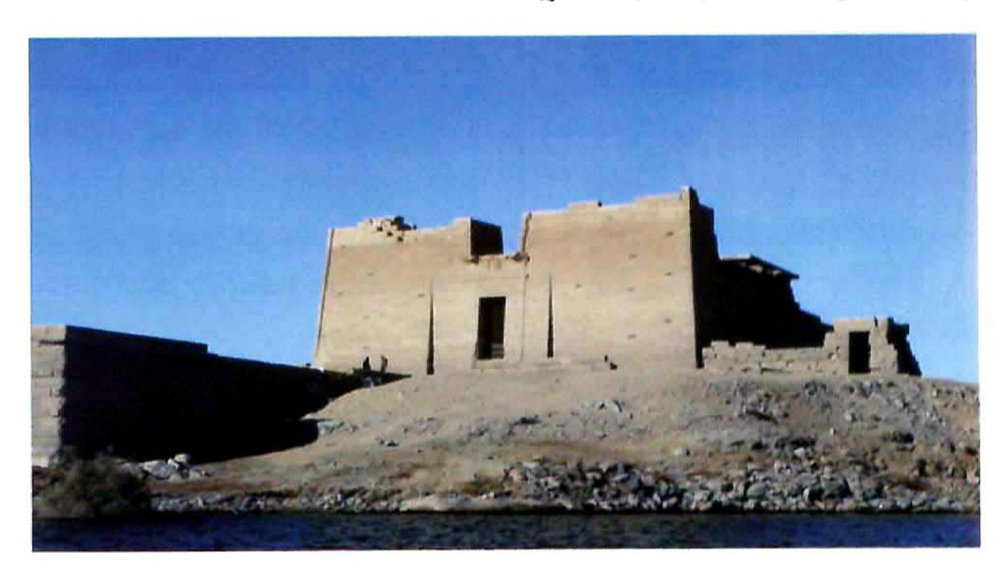
- الصالة التالية [E] فى الأصل كان يوجد فى كل من هذه الصالة والتى تليها وقدس الأقداس عمودين لحمل السقف ولكن لا يوجد أى منها الآن كما أن الأسقف الحالية حديثة. لليمين توجدالسلالم التى تقود للسطح وهناك توجد غرفتين صغيرتين. وأيضا النقوش فى هذه الصالة غير مكتملة ففى [١٤] منظر التطهير لأحد الملوك ولكن نجد أنه تم نحت جسده بدون الرأس. فى الجزء الأسفل منظر موكب آلهة المقاطعات أمام [أوزوريس – إيزيس – حورس] فى [١٣ – ١٤ – ١٥] بينما نفس الآلهة أمام [ماندوليس – ماندوليس الصغير – واجت] فى [١٦ – ١٧ – ١٨].
- الصالة التالية [F] النقوش هنا مكتملة وبها بعض المناظر المميزة مثل [٢١] نشاهد الإله [توتو] أحد آلهة العصر المتأخر الذى عبد فى واحة الداخلة فى الصحراء الغربية وهو على شكل بشرى برأس أسد كما نشاهد[إمحتب] المهندس والطبيب والعبقرى المصرى الذى عبد فى العصر اليونانى الرومانى.

فى [٢٣] نشاهد [أرسينوفيس – تفنوت] من معبودات معبد الدكا. وفى [٢٤] الصف العلوى أحد الأباطرة الرومان يقدم إلهة الحق والعدل [ماعت] إلى شكلين من أشكال [أمون] أحدهما إله [نباتا] والآخر إله [بريميس – قصر إبريم].

- قدس الأقداس [G] هنا تنقسم المناظر إلى جزئين يسيران فى اتجاه معاكس حتى يتلاقيان فى منتصف الجدار الأخير والمناظر تمثل الإمبراطور الرومانى أمام الآلهة المختلفة بينما الجزء الأسفل يشبه الصالتين السابقتين ففى [٢٧ – ٢٨ – ٢٩] القرابين مقدمة إلى [أوزوريس – ماندوليس] وفى [٣٠ – ٣١ – ٣٢] إلى [إيزيس – ماندوليس].
- فى الدهليز الخارجى خلف المعبد [٣٣] منظر ضخم مزدوج للملك مع الآلهة وتحته مناظر منحوتة لبعض الأشكال فى عصور متأخرة مثل الصقرو هناك منظر هام [٣٤] نرى فيه الملك يواجه [ماندوليس] وبينهما القرابين ويمكن ملاحظة هذا القطع فى الحجر أعلاهما حيث كان يثبت إطار خشبى حول المنظر مكونا ما يشبه مقصورة وكانت الأعين محفورة بعمق ليثبت بها الأحجار الشبه كريمة أو النحاس أو العاج حتى تبدو كالأعين الطبيعية كما نلاحظ أن التاج المزدوج على رأس الملك قد نقش بشكل أمامى وليس جانبى كما هى العادة. هذه الخصوصية وهذا الاهتمام بهذا المنظر لأنه ربما كان مستخدما لعلاج بعض الأمراض حيث كان معبد [كلابشة] من المعابد التى قصدها الناس للعلاج فى العصر اليونانى الرومانى مثل [كوم امبو – إدفو].
- مقياس النيل [H] والذى كان يستخدم لمعرفة مستوى ارتفاع النهر أثناء الفيضان

لتحديد ما يلزم عمله من حفر قنوات وبناء سدود صغيرة وغيرها من الأعمال الزراعية الأخرى، وأيضًا لتحديد قيمة الضرائب التى تتحدد حسب المحصول والذى يتوقف بدوره على الفيضان.

- المقصورة [I] تقع هذه المقصورة خلف المعبد للجنوب الغربى وتتكون من غرفة صغيرة منحوتة فى الصخر يحيطها فناء به بعض الأعمدة ذات التيجان النباتية والتى كانت أجزاء منها من الجرانيت. لا يوجد بها أى نقوش بخلاف باب الغرفة وجد به منظر يمثل أحد الملوك يقدم القرابين للإله النوبى [ديدوين]. ولأنها فى الأصل كانت داخل سور المعبد الذى كان يحيط به وهو من الطوب اللبن فقد كان يعتقد أنها استخدمت كبيت للولادة [ماميزى].
- المقصورة [K] ترجع لعصر [بطليموس ٩] أى لعصر أقدم من المعبد الحالى وهى غير منقوشة من الخارج ولكن فى الداخل بها بها مناظر للملك مع ثالوث إلفنتين [خنوم – ساتيس – أنوكيس] وأيضًا [ماندوليس – واجت – أوزوريس].
- اللوحة [L] لوحة من الجرانيت ترجع لصر [بسماتيك الثانى ٥٩٣ ق.م] من الأسرة ٢٦ وتتحدث عن حملته الناجحة لبلاد النوبة.



معبد كلابشة فى موقعه الحالى

- **ملاحظات**

- السور الذى كان يحيط بالمعبد من الطوب اللبن [L] ليس له وجود على الإطلاق وكان جزء كبير منه قائما حتى بناء خزان أسوان.
- توجد على أحجار المعبد فى أجزاء عديدة سواء فى الداخل أو الخارج بعض العلامات التى يشبه بعضها الصلبان وبعضها يشبه الشجرة وربما كانت هذه هى الشفرة التى يستخدمها العمال فى المحاجر فيما بينهم بما يعنى أن هذه القطعة جاهزة لرفعها أو تعنى اى شىء يخص التعامل فى المحاجر حيث وجد مثلها فى بعض المحاجر مثل [جبل السلسلة].
- فى بعض الأماكن من أرضية المعبد مثل الفناء المفتوح [C] توجد بعض الرسومات المربعة المنحوتة كالتى توجد فى [كوم امبو] ويعتقد أنها بعض الألعاب التى كان زوار المعبد يمضون أوقات الانتظار الطويلة يلعبونها وذلك عند استخدام المعبد كمشفى فى العصور المتأخرة.

- **نقوش ما قبل الأسرات**

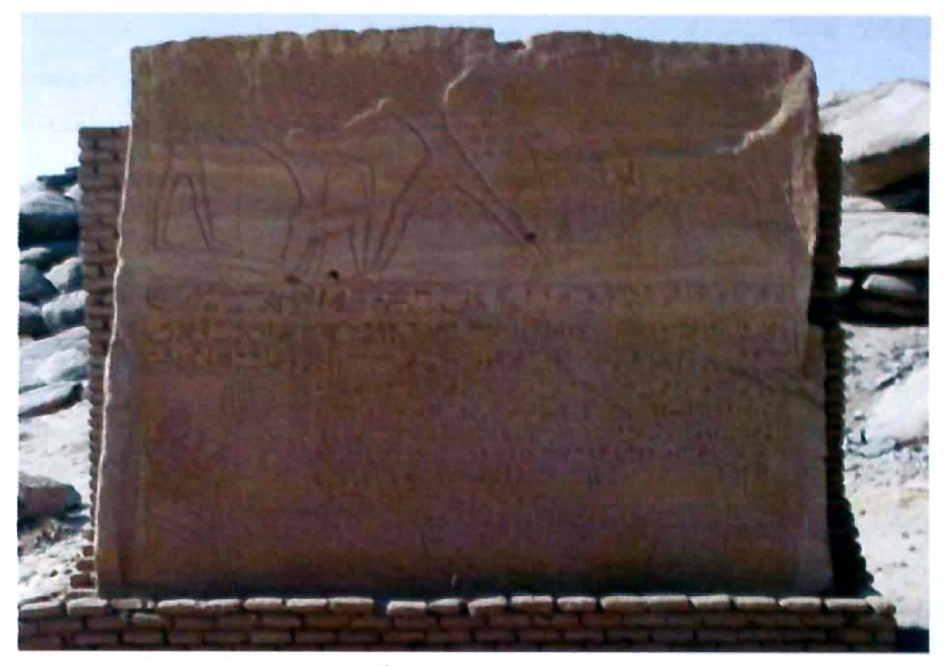
♦ خارج المعبد للجنوب [M] توجد قطع أحجار رملى بها نقوش ترجع لعصور ما قبل الأسرات [٥٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م] والتى كانت منحوتة فى بعض الكهوف والصخور المطلة على النيل فى بعض مناطق النوبة مثل [عمدا – وادى السبوع – توشكى – نورى – خور أبى موسى] وهى تمثل حيوانات مثل [الزراف – أفيال – غزلان] ومراكب واشكال بشرية.



بعض نقوش ما قبل الأسرات

- **لوحة سيتى الأول اسرة ١٩ [١٢٩١ - ١٢٧٠ ق.م]**

♦ للغرب بين مقصورة (دودوين) ومعبد جرف حسين توجد لوحة حجرية ضخمة كانت حتى وقت قريب عبارة عن أربع قطع حتى قامت مجموعة من الأثريين والمرممين المصريين بترميمها مع معبد جرف حسين. وهى ترجع لعصر لسيتى الأول) وقد وجدت بالقرب من قصر إبريم وهى تتحدث عن نشاطاته الحربية.



لوحة سيتى الأول

- **معبد قرطاسى**

- **الموقع والتاريخ**

♦ كان هذا المعبد يقع على الضفة الغربية للنيل بقرية قرطاسى حوالى ٤٠ كم جنوب الموقع الحالى. ولأنه كان على هضبة صخرية مطلة على النهر فكان يمكن رؤيته على بعد أميال بعيدة. وقد كان بوابة لمنطقة محاجر الحجر الرملى فى النوبة والتى أخذت منها الأحجار التى بنيت منها معابد النوبة مثل معبد فيلة. وقد عثر بجانبه فى الموقع الأصلى على كثير من اللوحات الحجرية وعلى مقصورة مقطوعة من الحجر مخصصة لعبادة إيزيس ووراء المحجر كانت تقع قرية (قرطاسى) الرومانية.

و قد تهدمت معظم أجزائه فى القرن العشرين وقامت هيئة الآثار بنقل أحجاره إلى جزيرة آسوان ١٩٦٠ م. ثم قامت عام ١٩٦٣م بإعادة بنائه بعد نقل كتل أحجاره من الجزيرة إلى جوار معبد كلابشة.

♦ ولأن لحتحور] كانت المعبودة الرئيسية لعمال المحاجر المجاورة فقد خصص لها هذا المعبد.



معبد قرطاسى فى مكانه الأصلى

• وصف المعبد

♦ يتكون المعبد من صالة واحدة تحيطها أربعة أعمدة ذات تيجان زهرية رائعة والمدخل الرئيسى ناحية الشمال يحيط به اثنان من الأعمدة الحتحورية التى تمثل رأس [حتحور]. ويوجد مدخل جانبى ناحية الغرب. وكان المعبد أصلا مسقوفا بقطع من الأحجار الرملية ولكنها غير باقية الآن. وهو نفس الفكرة المعمارية لكشك [تراجان] فى معبد فيلة. ويرجع تاريخ هذا المعبد الصغير للعصر البطلمى ويؤكد ذلك التواريخ المكتشفة فى المحاجر التى تعود للعصر نفسه وأشكال تيجان الأعمدة.

النقش الوحيد الموجود على أحد الأعمدة يمين المدخل الرئيسى يمثل الملك أمام (إيزيس – حورس الطفل أو حاربوكراتيس اليونانى).



معبد قرطاسى فى مكانه الحالى

♦ ويعتقد أن هذا المعبد مع المعابد اليونانية الرومانية الأخرى مثل (دبود - دندور) كانت تمثل مراكز توقف لموكب (إيزيس) من معبد (فيلة) شمالا إلى نهاية النوبة السفلى جنوبا.

• رمسيس الثانى وعلاقته الخاصة بالنوبة

♦ رمسيس الثانى هو أحد أعظم وأهم ملوك مصر فى الدولة الحديثة الأسرة ١٩. قبل وصوله للعرش حمل القابا كثيرة أثناء حياة والده سيتى الأول (١٩٢٤ – ١٢٧٩ ق.م) وأول هذه الألقاب كان (القائد العام للقوات المسلحة) وكان عمره العاشرة وقد حمل هذا اللقب باعتباره أكبر أبناء الملك وقد كان منصبا بلا صلاحيات فعلية ولكنه ظل يفاخر به طوال عمره.

و أول مشاركة فعلية له فى الحملات الحربية كان فى اشتراكه مع أبيه فى حملتين ضد سوريا. فى الأولى كان عمره يناهز الرابعة عشرة وقد كانت حملة موفقة

وقصيرة وإن لم يسمح للأمير بالمشاركة الفعلية فى القتال أو التقدم نحو الخطوط الأمامية. المشاركة الثانية له كان فى السادسة عشرة من عمره وقد اشترك فعليا فى القتال ولكن الحملة انتهت بتوقيع اتفاقية تفاهم بين سيتى الأول وبين الملك الحيثى الشاب [مواتاليس] وطبقا لهذا الاتفاق اعترفت الإمبراطورية السورية بحقوق مصر وسيادتها على مرافىء جنوب فينيقيا فى مقابل أن تكف مصر عن مهاجمة [قادش وأمورو]. لكن الأمير رمسيس لم يستسغ ما فعله أبوه ولم يرض عن تخلى مصر عن حقوقها فى قادش وأمورو وأسر ذلك فى نفسه.

- عندما أصبح عمره حوالى السادسة عشرة كانت التقاليد تقضى بأن يتم تدريبه على مهام الحكم والملك حيث يشترك فى الحروب الخارجية ويقوم بمهام تفتيشية ثم يضطلع بالأعمال الإدارية والإنشائية. وفى يوم كان سيتى موجودا وفى حضرته كبار رجال الدولة فنادى بابنه [نائبا للملك ووليا للعهد] وأضفى عليه كل مظاهر الملكية ووضع التاج على رأسه وكان هذا بمثابة تعيين رمسيس ملكا اسميا وخصص له طاقم كامل من الحريم وسمى رمسيس نفسه [أوسر ماعت رع] أى [القوى فى الحق هو رع] وأيضا [رمسيس مرى أمون] أى [رمسيس محبوب أمون].
- وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره تم تكليفه بقمع تمرد فى النوبة وكان هذا أول اتصال مباشر بينه وبين النوبة. وقد حقق انتصارا سريعا أتاح له التعبير عن إمكاناته الحربية وكان هذا أول نشاط عسكرى مستقل عن أبيه وقد نحت معبد بيت الوالى لتخليد هذه الحدث.

و فى هذه الفترة كان له دور كبير فى الإنشاءات الملكية فقد أشرف على بعض أعمال البناء فى معبد أبيدوس وأشرف على صب تمثال من الذهب لأبيه لمقصورة المعبد وأشرف على أجزاء من معبد الكرنك.

- فى هذه الفترة أيضًا تزوج من كل من [نفرتارى وإست نفرت] ونفرتارى كانت تتميز بقوة الشخصية وكان يقول عنها أنها لا تضارع فى جمالها من جميلات القصر أما إست نفرت فعلى ما يبدو أنها آثرت أن تتوارى فى الظل. وقد حملت الفتاتان وأنجبتا له الكثير من البنات والبنين. ففى العشرسنوات التى كان فيها نائبا للملك كان له من كل واحدة على الأقل خمسة من البنين وبنتان ومن غيرهما عشرة بنين وعدد غير معروف من البنات.

أنجبت نفرتارى له أكبر أنجاله [أمون حرونمف أى أمون على يمينه] ثم أنجبت له

كل من [برى حونمف – بنت عنات أى ابنة الإلهة عنات – مريت أمون – مريت أتوم]. وأنجبت له إست نفرتارى كل من [رمسيس – خع إم واست – مرنبتاح].

- مات سيتى عندما كان فى الخمسين من عمره ١٢٨٩ ق.م وأصبح رمسيس ملكا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وقد قضى السنين الأولى من عمره منهيا بعض الأعمال الأنشائية بعد دفن الملك الراحل واختار رجال دولته الجدد فى مختلف المناصب كما بدأ فى بناء مدينة جديدة نواتها كانت قصر أفاريس الصيفى وملحقاته مع الثكنات العسكرية وسماها [بى – رمسيس عانخو أى مدينة رمسيس الأكبر الظافر] ومع هذا النشاط المعمارى تحول اهتمام الفرعون الشاب للذهب ووردت التقارير له بوجود ترسيبات غنية فى النوبة إلا أنها فى مناطق جدباء قاتلة لأطقم التعدين فقرر حل هذه المشكلة وسجل ذلك فى أحد النقوش [تقرير نائب الملك فى النوبة لجلالتكم أن هذه البلاد تعانى من نقص المياه منذ أيام الإله الأول ويموت الناس من العطش وحاول كل الملوك السابقين حفر بئر هناك ولم يفلحوا فقال الملك لكبير الكتاب الملكيين: أرسل رسالة لنائب الملك بالنوبة نصها ابعث بمجموعة كشفية إلى منتصف المسافة من أكوباتى واسمح لهم بشهر كامل ثم ارسل تعليماتك بأن يستمروا. فقام نائب الملك بالتنفيذ وعندما رأى النوبيون ذلك قالوا ما كل هذا الذى يفعل نائب الملك؟ هل هناك حقا ماء؟ ثم جاءت رسالة من نائب الملك بالنوبة أواه يا سيدى الملك سارت الأمور بالضبط كما خرجت الكلمات من فمك وظهر الماء على عمق ١٢ كوبيت [١٨ قدم] عمق الماء فيها ٤ كوبيت [٦ أقدام] وتفجر الماء كأنما بفعل الإله لأنه راض عن إخلاصك ومن الآن سيطلق على البئر بئر رمسيس الثانى].

فكان السبب الثانى لاهتمامه بالنوبة هو سبب اقتصادى لوجود الذهب وهو أحد الأسباب الرئيسية.

- فى العام الرابع لحكمه قام بحملة مفاجئة على بعض الأراضى الساحلية بفينيقيا الجنوبية مثل [صور – جبيل] وحقق نصرا سريعا على أمورو.

فى العام الخامس لحكمه كانت معركة قادش نقطة مهمة فى علاقته بالنوبة. لقد اتفق قادة الممالك السورية على التحالف ضد رمسيس لاستعادة أمورو وحماية قادش وحشدوا أكبر جيش فى تاريخ الإمبراطورية الحيثية من ستة عشر مقاطعة ومملكة حليفة لسوريا وبلغت عدة هذه القوات أكثر من ٢٥٠ عربة حربية و٣٥٠٠٠ رجل.

وقد بلغت رمسيس أخبار التحالف فأسرع يعد العدة لمهاجمة المتآمرين ضده وأعد

جيشا كبيرا قسمه إلى أربع فرق [أمون – رع – بتاح – ست] وكان هو على رأس مقدمة جيشه. وبدأ حملته مارا ببعض النقاط مثل غزة وعبر كنعان بسرعة ثم صعد فى طريق الجليل وتجاوز بحيرة الحولة صعودا للمرات التى تخترق وادى البقاع وتعجل الملك الشاب فى الوصول لقادش فسار فى حاشيته وأركان حربه وحرسه الخاص ميمما نحو الشمال تتبعه أولى فرق جيشه فرقة أمون أما الفرق الثلاثة الأخرى فكانت منتشرة على بعد عدة أميال من المقدمة وشرعت فى التجمع تدريجيا. فى هذه الأثناء تم أسر رجلين من قبيلة [شاسو] وتعهد الرجلان لرمسيس بتأييد رؤساء قبيلتهم والقبائل الأخرى له وولائهم لمصر والإنسلاخ من الجيش الحيثى وأعطوه معلومات خاطئة عن أعداد وعدة أعدائه وتحصينات قلعة قادش ومكان تمركز الإمبراطور الحيثى وجيشه وقد عرف فيما بعد أنهما جاسوسين قد أرسلهما الملك الحيثى لخدعة الفرعون الشاب وقد نفذا المهمة بنجاح. وطبقا لهذه المعلومات قرر رمسيس عدم انتظار تجمع كل فرق الجيش بل التقدم بمن معه فى اتجاه قادش وهناك اكتشف الخديعة ووبخ جهاز مخابراته وقرر دخول المعركة وكاد يهزم فيها لولا وصول بعض القوات الأمورية الموالية لمصر التى قاتلت بجواره حتى وصلت باقى فرق الجيش المصرى واشتد القتال بين الطرفين وخسر كل منهما الكثير من الجنود بين قتيل وجريح وهنا قرر رمسيس الإكتفاء بهذا النصر المتمثل فى الأسرى الذين أخذهم معه إلى مصر على الرغم أنه لم يحقق ما كان يطمح له من كسر قوة الحيثيين أو الإستيلاء على قادش وعاد إلى مصر.

- بعد عودته إتجه مباشرة إلى النوبة وقرر أن يقوم بعمل معمارى عظيم يخلد ما اعتبره نصرا شخصيا يمثل قدراته الحربية وما أبلاه فى هذه المعركة وكان هذا العمل هو معبدى أبى سمبل. فكانت النوبة لرمسيس الثانى بعد أحداث قادش هى الميدان الذى يستعيد فيه ثقته بنفسه قبل أن يستعد للجولة القادمة والتى لم تأت لأنه لم يمر وقت طويل قبل أن يوقع معاهدة السلام مع أعدائه السوريين والتى أتاحت له فترة طويلة من الهدوء على الجبهة السورية والتفرغ لإنشائاته المعمارية واستكمال نشاطه فى البحث عن الذهب فى النوبة.

- فى أثناء انشغال رمسيس بحروبه فى سوريا وبعدها بداية عصر السلام كانت النوبة لما يزيد عن عشرين عاما ساكنة وهادئة ولكن هذا الهدوء لم يستمر طويلا فقد أدت سوء تصرفات نواب الملك فى النوبة لحدوث ثورة فى الجنوب. وقد تمثلت هذه التصرفات فى إفراطهم الدائم فى استغلال مناجم الذهب وتسخير الأهالى فى أعمال

التنقيب والإستخراج وفرض الضرائب التى تثقل كاهل النوبيين فقامت الثورة للتخلص من الإدارة المصرية. فقرر رمسيس أن يفعل نفس ما فعله أبوه الملك سيتى معه عندما أرسله وهو ولى العهد لإخماد إحدى ثورات النوبة. فأرسل رمسيس حملة أشرك فيها أربعة من أبنائه منهم [مرنبتاح] ولى عهده وقد كان فى العشرينات من عمره ونجحت الحملة فى أهدافها وكان حصيلتها أسر سبعة آلاف نوبى والقضاء على الثورة بصورة تجعلها غير قادرة على القيام بأى محاولة للتمرد بعد ذلك.

♦ من أقوى ملامح العلاقة بين رمسيس والنوبة هو ملمح دينى. فقد كان الملك طبقا للعقيدة المصرية القديمة هو الصورة البشرية للإله على الأرض وعند وفاته يتخلى عن هذه الصفة البشرية ويصبح إلها كاملا ويصعد للسماء حيث الخلود مع آبائه الآلهة الآخرون. فالملك هو حورس ابن أوزوريس. وقد بدأت منذ الدولة الوسطى عبادة الملك بعد موته مثل عبادة سنوسرت الثالث. وفى الأسرة ١٨ قام امنحتب الثالث فى النوبة بالربط بين الملك وبين الإله الموجود فى المعبد. وقام بتأسيس هيأتين لتكريس عبادة الفرعون وأبرز مثال لذلك هى خضوع معابد [سولب] الرئيسية بالنوبة لعبادة امنحتب الثالث [نب ماعت رع] إله النوبة وتم تأليه الفرعون فى صورة تماثيله العملاقة التى أقامها أمام المعابد المختلفة وجعل لكل تمثال منها اسما مميزا لكى يعبدها الناس. توقف ذلك فى عهد اخناتون الذى أطاح بأمون وباقى الآلهة. وبعد موته عاد كل شىء لما كان عليه وقام سيتى الأول ورمسيس الثانى بإكمال ما توقف عنده أمنحتب الثالث وإن ذهب رمسيس أبعد مما ذهب إليه أبوه ففى معابد أبى سمبل عبد رمسيس كأحد مظاهر الإله رع. وظهرت أشكال أخرى للعبادة الملكية فقد خصص رمسيس معبد [أكشا] بالنوبة لأحد تماثيله الملكية وأهداه إلى [رمسيس الثانى الإله الأكبر إله النوبة]. وقد انتشرت عبادة الفرعون فى مدينة [بى رمسيس] بالدلتا حيث أقام عددا من التماثيل الضخمة لنفسه لتكون قبلة لأتباع العبادة الملكية. وقد أقيم مثل هذه التماثيل أمام معابد أبى سمبل وبعضها بنفس المسميات مثل [منتو فى القطرين – الإله – المتجلى بين الآلهة – محبوب أتوم – شمس الملوك – ملك الملوك].

♦ وبعد الإنتهاء من معبدى أبى سمبل نحت [معبد رمسيس الثانى فى مقاطعة رع] وهو معبد الدر ثم بنى [سيتاو] نائب الملك بالنوبة معبدين آخرين هما فى السبوع وجرف حسين. وفى هذه المعابد كانت آلهة الإمبراطورية الثلاثة [آمون – رع – بتاح] تعبد فى الظاهر ولكن تكرر فيها ما حدث فى معبدى أبى سمبل إذ وضع فى محاريبها

المركب الرمزى للإله رمسيس الثانى كشكل من آشكال الإله رع فهو تجسيد لإله الشمس على الأرض ولهذا ففى هذه المعابد يجعل تماثيله العملاقة قبلة للجماهير ويربط الآلهة بالملكية ربطا عقائديا محكما بحيث يقوى كل منهما الآخر.

◆ مما سبق يمكن إيجاز أسباب اهتمام رمسيس الثانى بالنوبة فى النقاط التالية: -

- سبب شخصى يتمثل أنها كانت الميدان الأول لإثبات ذاته عسكريا فى حملته الأولى منفردا وليس مع أبيه.
- سبب اقتصادى يتمثل فى أنها كانت مصدرا مهما للذهب والذى احتاجه رمسيس فى حروبه وانشاءاته.
- سبب نفسى يتمثل فى أن النوبة كانت مكانا مثاليا لغسل أحزانه بعد إخفاقه فى تحقيق كل أهدافه فى موقعة قادش فكانت له بمثابة المحبوبة التى تشبع عنده الإحساس أنه الفارس والمحارب الذى لا يقهر ويظهر هذا فى مناظر موقعة قادش.
- سبب دينى يتمثل فى تكريس آشكال العبادة الملكية والتى لم يؤكد عليها فى أماكن أخرى كما فعل فى معابده فى النوبة وإن كان قد سبقه إليها امنحتب الثالث إلا أنه لم يلح عليها كما فعل رمسيس.
- سبب عائلى يتعلق بولى عهده مرنبتاح فقد اختار رمسيس النوبة لتكون الميدان الذى يمارس فيه ولى عهده أولى خبراته العسكرية الهامة وكان ذلك تكرارا لما فعله سيتى الأول مع رمسيس نفسه.

▪ معبد بيت الوالى

▪ الموقع والتاريخ

◆ كان هذا المعبد يقع إلى الشمال الغربى من معبد كلابشة على سفح تل من التلال. وعند نقله تم وضعه فى نفس المكان من معبد كلابشة كما كان فى موقعه الأصلى.

وقد ساهمت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ مليون جنيه لإنقاذ ثلاثة آثار نوبية هى [معبد بيت الوالى – معبد وادى السبوع – مقبرة بنوت] وقد عهدت هيئة الآثار المصرية لإحدى الشركات العربية لتنفيذ هذا العمل وتم معظمه فى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٥م.

اسم بيت الوالى هو اسم عربى ربما عبر عن وجود مساكن أحد القديسين

المسيحيين فى فترة متأخرة.

♦ وهو معبد منحوت فى الصخر ويعد باكورة أعمال لرمسيس الثانى ١٢٧٩ - ١٢١٢ق.م] فى النوبة. ففى السنة الثالثة عشرة من حكم لسيتى الأول ١٢٩٤ - ١٢٧٩ق.م] من الأسر ١٩ كان الأمير رمسيس ولى العهد قد ناهز الثانية والعشرين من عمره وأصبح مؤهلا لمباشرة بعض الأعمال العسكرية الصغيرة بنفسه. وقد قامت فى نفس الوقت ثورة فى الجنوب فى النوبة السفلى فكلف لسيتى] ابنه الأمير لرمسيس] بقمع التمرد. فتوجه إلى هناك على رأس حملة صغيرة وكان يرافقه اثنان من أبنائه أحدهما هو [أمون حرونمف] وكان يبلغ خمس سنوات وهو أكبر أبنائه ويعتقد أنه قد تغير اسمه فيما بعد إلى [أمون حر خبشف] وقد مات صغيرا. والآخر هو [خع إم واست] وكان يبلغ حوالى أربع سنوات والذى أصبح فيما بعد أحد أشهر أبنائه حيث برع فى السحر واهتم بدراسة تارخ أجداده وأعتبره العلماء أقدم علماء المصريات.

وقد كانت هذه مجرد حملة تأديبية صغيرة. هجوم بالعربات العسكرية تلاه فرارالنوبيين إلى قراهم مذعورين. وأخمدت الثورة فى غضون ساعات قليلة ولكن رمسيس اعتبر أن المعركة تستحق التنويه لذلك أمر بحفرهذا المعبد الصخرى الصغير.



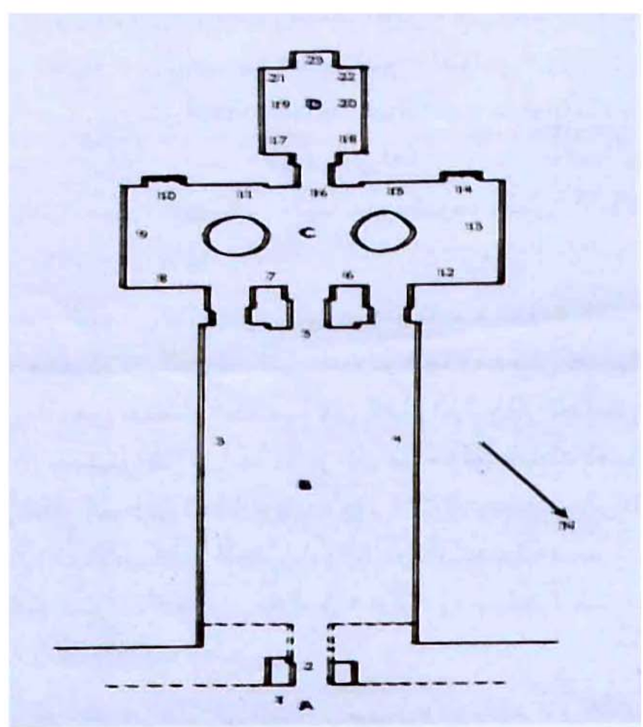
معبد بيت الوالى فى موقعه الأصلى

• **وصف المعبد (شكل ٢)**

♦ يتكون المعبد من بوابة حجرية (A) نقش على كل جانب منها رمسيس الثانى (١) بعدها يوجد الفناء المفتوح (B) والجزء الأسفل هو الوحيد الأصلى الباقى. وقد أضيفت له أجزاء من الطوب اللبن الحديث للاحتفاظ بشكله الأصلى ويعتقد أنه كان حتى القرن ١٩م مسقوفا بسقف مقبى بدعائم خشبية وتوجد به مجموعتان من النقوش على الجدران.

♦ وقد كانت هذه المناظر حتى القرن١٩م تحتفظ بمعظم الألوان الأصلية حتى قام (ج. بونومى) بإزالتها عندما أراد أخذ نسخة مجسمة من النقوش فوضع عليها طبقة من الجص وعندما سحب هذه الطبقة أخذت معها الألوان. وتوجد فى المتحف البريطانى حاليا نسخة ملونة من هذه المناظر وكيف كانت تبدو بألوانها.

♦ ويلاحظ أن هذه النقوش بعضها غائر وبعضها بارز. ويعتقد أن الخطة الأولى كانت عمل كل النقوش بارزة وبعد أن تم إنجاز بعضها صدرت الأوامر بتكملة الفناء بالحفر الغائر وذلك ربما لسرعة الإنتهاء من العمل لوفاة سيتى فى هذه الفترة كما يذكر (سليم حسن).



شكل ٢ رسم تخطيطى لمعبد بيت الوالى

◆ المجموعة الأولى على الجدار الجنوبى [٣] وهى التى تصف الحملة التأديبية التى قادها رمسيس ضد النوبة حينما كان عمره ٢٢ سنة أثناء حكم والده واصطحب معه اثنين من أبنائه. والجزء الشرقى من الجدار مدمر ويمكن ملاحظة بقايا المناظر التى كانت تمثل المعسكر النوبى وفيه يرى منظرا لأطفال ونساء يجرون بلا هدى وتبدو أشجار نخيل الدوم وامرأة تطهو على النار.

بعده نشاهد المنظر الحربى لرمسيس فى العجلة الحربية ويفر من أمامه النوبيون بعضهم يجرى ويلتفت وراءه وبعضهم ملقى على الأرض وتبدو حالة الرعب التى انتابتهم من رمسيس الذى يطلق السهام عليهم.

يتبع رمسيس ابناه كل فى عربة حربية ومعه سائق للعربة. الجزء الثانى من الجدار فى النهاية الغربية نجد الملك جالسا فى مقصورة ليتسلم الجزية من النوبة التى يقدمها له كل من حاكم [كوش] ويدعى [أمنمؤبى] وهو ابن الوزير المشهور [باسر] وقد محيت صورته قرب الإنتهاء من المعبد ربما لوفاته وقد خلفه [أيونى] والآخر هو ابن رمسيس الأمير [أمون حرونمف]. وقد وضعت الجزية فى صفين وكانت تشمل [جلود النمور – أساور ذهبية – حقائب بها ذهب خام – أقواس – دروع – كراسى – أبنوس – عاج الفيل – بيض وريش النعام – جلود حيوانات – مراوح] كما شملت حيوانات حية مثل [مواشى – غزلان – أسد – فهود – زرافة – قرود – نعامة]. ومن التفصيلات الرائعة تلك المرأة التى تحمل طفليها فى حقيبة على ظهرها وقرون الأبقار التى أخذت شكل أذرع بشرية ووجه نوبى بينها.

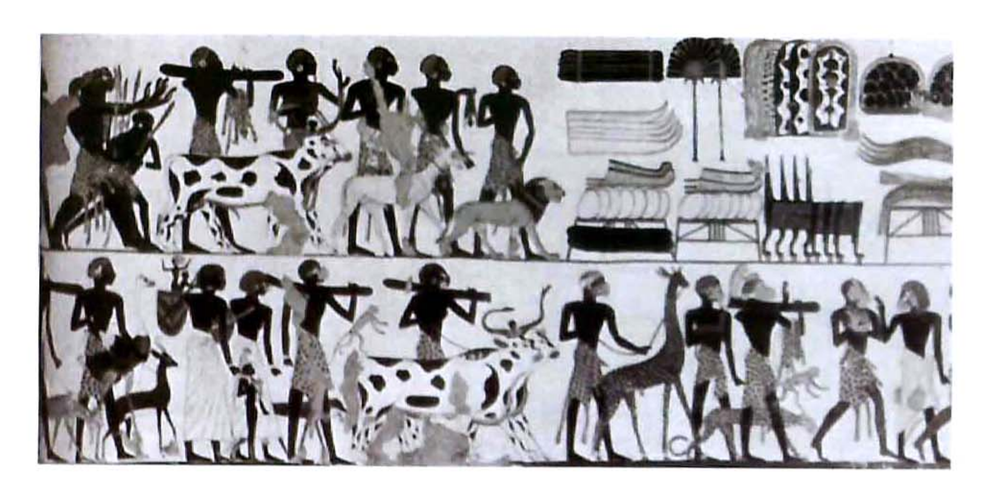
◆ الجدار الشمالى [٤] يحتوى على مناظر تصف حروبه ضد السوريين والليبيين ويعتقد أنها مأخوذة من المعارك التى اشترك فيها رمسيس كمرافق لأبيه فى حملاته ضد سوريا. وهى حملتان أحدهما فى العام الرابع أو الخامس من حكم [سيتى] عندما كان رمسيس فى الرابعة عشر من عمره ولم يشارك فعليا فى القتال. الحملة الثانية فى العام السادس لحكم والده وقد اشترك رمسيس فى المعركة التى انتهت باتفاق سيتى مع الإمبراطور الحيثى [مواتاليس] أن تكف مصر عن مهاجمة [قادش وأمورو] مقابل اعتراف الحيثيين بحقوق مصر فى سيادتها على مرافئ [فينيقيا] ولم يرضى هذا الاتفاق الأمير رمسيس.

◆ تبدأ المناظر من مدخل المعبد برمسيس وهو يقف على اثنين من السوريين بينما يمسك ثلاثة آخرين من رأسهم وعلى وشك ضربهم وأمامه ابنه الأكبر يقدم له أسير ليبى

وثلاثة سوريين.

- المنظر الثانى لرمسيس وابنه يهاجمان قلعة سورية وبعض السوريين يتساقطون منها والآخرون يتوسلون للملك.
- المنظر الثالث رمسيس بالتاج الأحمر فى عجلته الحربية وقد ربط لجام الحصان إلى وسطه واضعا إحدى قدميه على مقدمة العربة وما يزال ممسكا ببعض أعدائه وعلى وشك ضربهم.
- المنظر التالى له وهو يضرب أحد الليبيين بينما كلبه يهاجم قدم الرجل.
- المنظر الأخير لرمسيس جالسا فى مقصورة وابنه الأكبر يقدم له الأسرى بينما يحضر أمامه بعض الموظفيين المهمين وكان وراء المقصورة حامل مرتفع عليه بعض أنواع الطعام وقد نقش فيما بعد خرطوشان وأقراص الشمس فوق الحامل.

فى نهاية الفناء يوجد ثلاثة أبواب. الجانبيان منهما تم غلقهما فى عصور فرعونية لاحقة ثم أعيد فتحهما عند استخدام المعبد ككنيسة فى العصر المسيحى. ويمكن رؤية الصلبان على جانبى الباب الرئيسى. كما يمكن رؤية أشكال [أمون] على الباب الجنوبى و[حورس] على الباب الشمالى.



منظر مقلد للنقوش الخارجية (المتحف البريطانى)

♦ الجزء التالى منحوت فى الصخر ويتكون من الردهة[C] وبها عمودان مضلعان وهما المثال الوحيد من هذا الشكل فى معابد النوبة. والجدران مزخرفة بنقوش بارزة ملونة ذات جودة عالية بها المنظر التقليدى لرمسيس وهو يضرب نوبيا [٨] وليبيا [١٢]. على جانبى مدخل قدس الأقداس توجد مقصورة بها بعض التماثيل ففى [١٠] رمسيس بين [إيزيس وحورس النوبى] وفى [١٤] رمسيس بين [خنوم وأنوكيس]. باقى المناظر تصور رمسيس مع بعض الآلهة. فى [١٣] رمسيس أمام [خنوم وزوجته ساتيس] بينما ابنتهما [أنوكيس] تقف خلف رمسيس. فى [٩] نشاهده أمام [حورس وإيزيس سلكت] وفوق رأسها العقرب.

سقف الردهة فى المنتصف بين العمودين نرى الإلهة [نخبت أنثى العقاب] والإلهة [واجت الكوبرا] مع خراطيش الملك.

♦ قدس الأقداس [D] بحالة جيدة باستثناء الجدار الخلفى المدمر والذى كان به ثلاثة تماثيل دمرت عند استخدام المعبد ككنيسة. وكانت التماثيل لرمسيس بين إلهين ربما [أمون وحورس]. وعلى الجانبين يوجد منظر لرمسيس يقدم القرابين لآمون.

هناك منظر مميز على يمين المدخل [١٨] لأنوكيس وهى ترضع رمسيس وإلى اليسار [١٩] نرى إيزيس تقوم بنفس الشئ.

▪ معبد جرف حسين

▪الموقع والتاريخ

♦ كان هذا المعبد يقع على الضفة الغربية للنيل حوالى ٦٠ ميل [٨٧كم] جنوب أسوان على منحدر جبل خلف قرية جرف حسين وكان مرتفعا عن مستوى القرية وجزء من القرية يقع بين المعبد والنهر ولكن الجزء الأكبر منها يقع على الضفة الشرقية للنيل. وكانت المرتفعات الجبلية فى الغرب مقدسة عند الأهالى وذات أهمية دينية خاصة لذلك فقد وجدت جنوب المعبد العديد من النقوش التى يرجع بعضها لعصور ما قبل التاريخ ونقل بعضها لموقع كلابشة والتى يظهر فيها [أفيال – غزلان – نعام – مراكب] وبعض هذه النقوش يرجع للدولة القديمة والوسطى والحديثة. وللجنوب من هذه النقوش وجد مبنى قديم استخدم كدير مسيحى.

♦ كانت المدينة تسمى فى العصور القديمة [توتزيس] ومنها اشتق اسمها القبطى [ثوش] وأخيرا

الإسم الحديث [كيرش] وقد وجدت هناك بردية قبطية ١٨١٢م وبها الاسم القبطى.

وبعد بناء خزان أسوان كانت المياه تغمر القرية حتى حافة الجبل.

- وقد نحت المعبد فى الصخر فى عهد [رمسيس الثانى] وقد سماه [بر بتاح] أى منزل الإله بتاح فكان مخصصا لعبادة بتاح إله [منف] وزوجته [سخمت] وابنهما [نفرتوم]. ولكن وجدت مجموعة كبيرة من الآلهة الأخرى مثل [آمون رع – حورس إله باكى – حورس إله بوهين – حورس إله ميعام – خنوم – مين – موت – حتحور – ماعت].

- وكان الموظف المسؤل عن الأعمال فى المعبد هو [سيتاو] حاكم النوبة ومن ألقابه أنه نائب الملك فى كوش والمشرف على مناجم الذهب فى النوبة وقد عثر له على تمثالين بالقرب من المعبد وهما الآن فى متحف برلين.

وفى العصر الرومانى لم يتم بناء أى معابد فى هذه المنطقة ففقدت أهميتها. وأخيرا فى العصر المسيحى فقد تم استخدام المعبد ككنيسة وبنى بجواره دير كانت بقاياه ما تزال قائمة حتى القرن ١٨م.

- وبعد تعلية الخزان مرة بعد مرة فقد غمرت المياه المعبد بالكامل وقد قررت هيئة الآثار المصرية أن تنقذ أهم الأجزاء الباقية والمميزة للمعبد وهى الأجزاء المعروضة حاليا فى موقع كلابشة الجديدة.



أحد تماثيل رمسيس



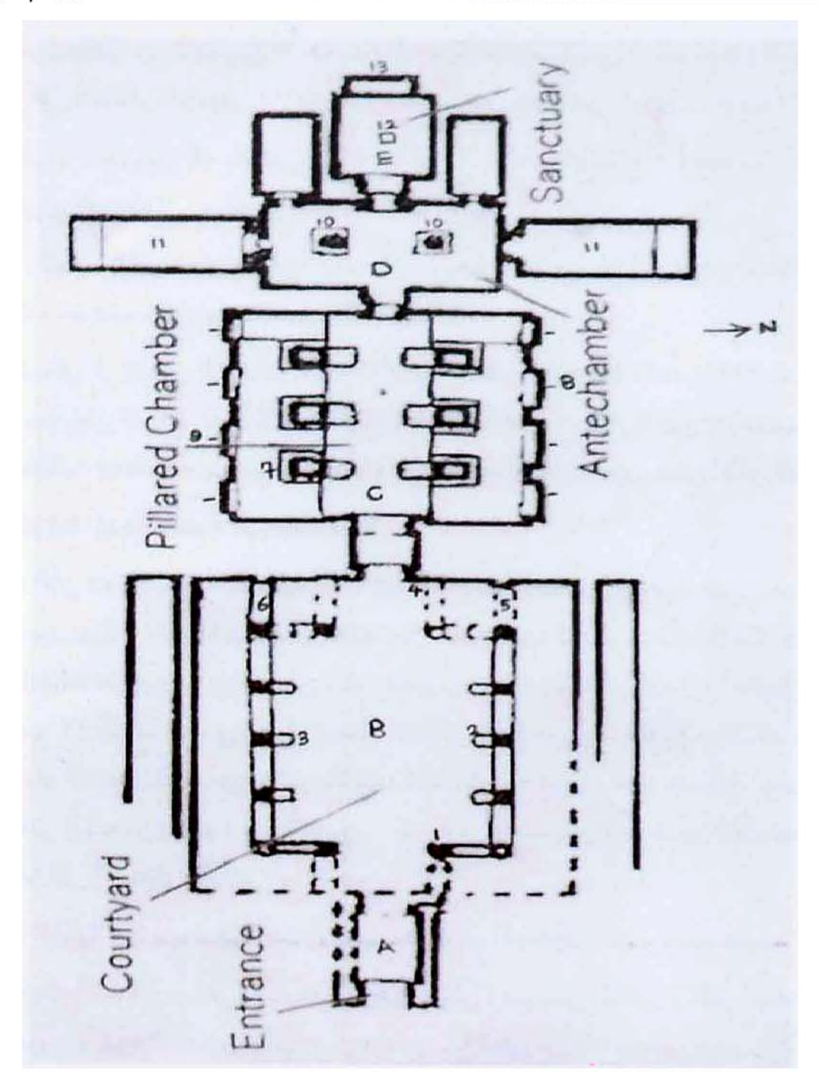
معبد جرف حسين فى موقعه الأصلى

▪ وصف المعبد كما كان [شكل ٣]

♦ كان هناك صرح للمعبد قريب من المياه بعده طريق كباش صغير حتى سفح الجبل ثم مجموعة من السلالم تصعد لمستوى المعبد وتنتهى ببوابة [A]. بعد البوابة كان هناك فناء مفتوح [B] تحيطه صفة من الأعمدة من ثلاث جهات وأخيرا الجزء الرئيسى للمعبد. وفى القرن ١٩م كان المعبد فى حالة سيئة ومعظمه مدمر.

لم يوجد أثر للصرح أو طريق الكباش أو السلالم التى تقود لبوابة المعبد وعندما بدأ الرحالة الأوائل فى زيارة المعبد كان الفناء المفتوح هو الجزء الأول من المعبد.

أعمدة الناحية الشرقية [١] كانت ذات تيجان زهرية بينما فى الشمال [٢] والجنوب [٣] كانت أعمدة مربعة وكل عمود مربع يستند إليه تمثال لرمسيس الثانى ومعظمها قد تساقط. وكانت الجدران منحوتة فى الصخر وفى الجدار الغربى [٤] مناظر لرمسيس وهو يقهر أعداؤه بينما فى كل من الجدار الشمالى [٥] والجنوبى [٦] نحتت مشكاة فى كل منها ثلاثة تماثيل لرمسيس يحيط به إلهين.



شكل (٣) رسم تخطيطى لمعبد جرف حسين

♦ يؤدى الباب فى نهاية الفناء إلى الصالة الثانية [C] والتى يحمل سقفها ٦ أعمدة مربعة تستند إليها تماثيل أوزورية ضخمة لرمسيس [٧] كان بها بقايا ألوان.

فى الجدارين الشمالى والجنوبى خلف التماثيل توجد أربعة مقاصير فى كل جانب. فى كل مقصورة ثلاث تماثيل لرمسيس محاطا بإلهين. ففى الجدار الشمالى [٨]

رمسيس بين كل من [إيزيس – حورس إله ميعام] و[ساتيس – نفرتوم] و[أنوكيس – خنوم] أما فى الجدار الجنوبى [٩] فنجد رمسيس بين كل من [أمون – موت] و[حورس

إله بوهين – حورس إله باكى] و[بتاح تا إنن – حتحور] و[بتاح – سخمت]. أما المناظر على الجدران فهى تمثل رمسيس أمام مختلف الإلهة.

♦ الصالة التالية [D] يحمل سقفها عمودان مربعان[١٠] ويملأ الجدران المناظر الدينية وفى ثلاثة جوانب منها توجد غرف التخزين[١١].

بعده ندخل إلى قدس الأقداس [E] والذى يوجد فى منتصفه قاعدة [١٢] ربما لمركب [بتاح] المقدسة وفى النهاية الغربية توجد أربع تماثيل [حتحور – بتاح تا إنن – رمسيس – بتاح] [١٣] وقد كانت معظم جدران المعبد ملونة ولم يبق من الألوان سوى بعض الآثار القليلة.

▪ ما تم إنقاذه ونشاهده فى كلابشة

♦ ما نراه الآن معروضا وقائما يختلف عن الوصف السابق للمعبد ففى عام ١٩٦٤م استطاعت هيئة الآثار المصرية أن تنقذ من عمارة هذا المعبد ما تم الإتفاق عليه وذلك لتعذر إنقاذه كاملا. وحاولت أن تنقذ الفناء كله واقتطاع أجمل وأكمل التماثيل وذلك مع ٢٢ قطعة أخرى تحمل أجمل المناظر. فكان جملة ما تم إنقاذه كالآتى:ـ فى الفناء المفتوح [B] عمودين من الأعمدة النباتية أمام المدخل. خمسة أعمدة مربعة اثنان فى الشمال وثلاثة فى الجنوب. تمثالان لرمسيس مستندين للأعمدة المربعة أحدهما فى الشمال والآخر فى الجنوب.

الصالة التالية [C] يوجد بها جزءان من العمودين المربعين.

بعض قطع الأحجار وعلى بعض منها خراطيش رمسيس الثانى وعلى البعض الآخر مناظر رمسيس أمام عدد من الألهة مثل منظره مع [حورس إله باكى] وهو كامل وآخر مع[رع]. أجزاء علوية من مناظره مواجها [بتاح وسخمت] وبينهما [رمسيس المؤله].

و قد قامت هيئة الآثار مؤخرا بترميم الأجزاء الباقية من المعبد وأحاطته بسور منخفض من الطوب اللبن.



ما تم ترميمه من معبد جرف حسين

الفصل الثانى

موقع وادى السبوع

- معبد وادى السبوع
- معبد الدكة
- معبد المحرقة
- مقاصير قصر إبريم

▪ معبد وادى السبوع

▪الموقع والتاريخ

◆ كان المعبد فى موقعه الأصلى على الضفة الغربية للنيل حوالى ١٤٠ كم [٨٧ ميل] للجنوب من أسوان. كان على الضفة الغربية للنيل بينما الجزء الأكبر من القرية كان يقع على الضفة الشرقية. وكانت القرية تقع عند بداية أحد طرق القوافل التى تنتهى عند منطقة [أبو حامد]. ويعتقد أنها مدينة قديمة يمتد تاريخها قبل الأسرة ١٩ حتى العصر الرومانى. وقد وجد بقرب المعبد مقصورة ترجع لعصر [أمنحتب الثالث]. وبعض النقوش التى تركها الموظفون المصريون من عهد الأسرة ١٨ وبعض قطع الشقف التى تعود لأواخر الدولة الوسطى.

و لم يعرف اسم المدينة القديم ولكن الاسم المعروف [وادى السبوعة] مستوحى من طريق الكباش الموجود أمام المعبد.

◆ جزء من المعبد مبنى وجزء منحوت فى الصخر وقد تم تشييده فى عصر رمسيس الثانى [١٢٧٩ – ١٢١٢ ق.م] وقد أشرف على البناء [سيتاو] حاكم [كوش] من العام ٣٥ إلى العام ٥٠ لحكم رمسيس.

و لم يتم تنفيذ المعبد بنفس الدقة والجودة كالمعابد الأخرى وخاصة الجزء المبنى منه فقد كانت الفواصل بين الأحجار كبيرة وتم حشوها ببعض الطمى حتى تتم تسوية الجدران ولكنها تساقطت قبل نقل المعبد وكانت تظهر هذه الفجوات.

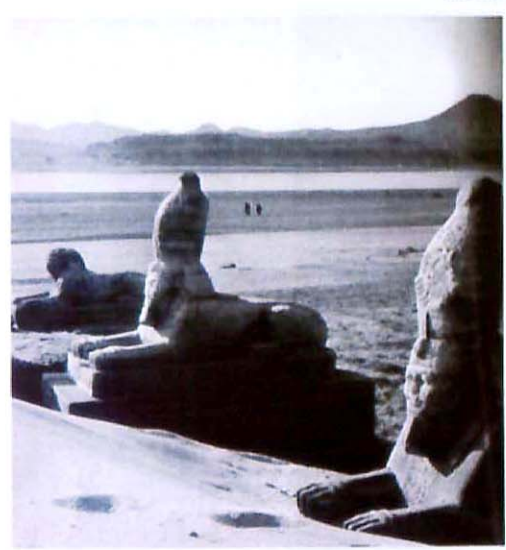
◆ وقد خصص رمسيس المعبد لعبادة الإله [أمون رع ورع حرأختى] وكان يسمى [برأمون] منزل أمون. وكمعظم المعابد النوبية ففى بدايات العصر المسيحى النوبى تم تحويل الجزء الخلفى للمعبد لكنيسة وتم تغطية المناظر الأصلية بطبقة جص وتم رسم موضوعات مسيحية.

◆ عند بدايات رحلات الرحالة الأوروبيين فى نهايات القرن ١٩ وبداية القرن العشرين الميلادى كانت الرمال تغطى معظم الأجزاء الخارجية للمعبد وعند بناء الخزان ثم تعليته فقد غمرت المياه الجزء الخارجى للمعبد حتى مدخل الصرح الأول.

♦ وقد نفذت هيئة الآثار عملية النقل بإسهامات مادية أمريكية وتم نقل المعبد إلى ٤ كم للغرب من الموقع الأصلى بين عامى [١٩٦١ - ١٩٦٥ م].

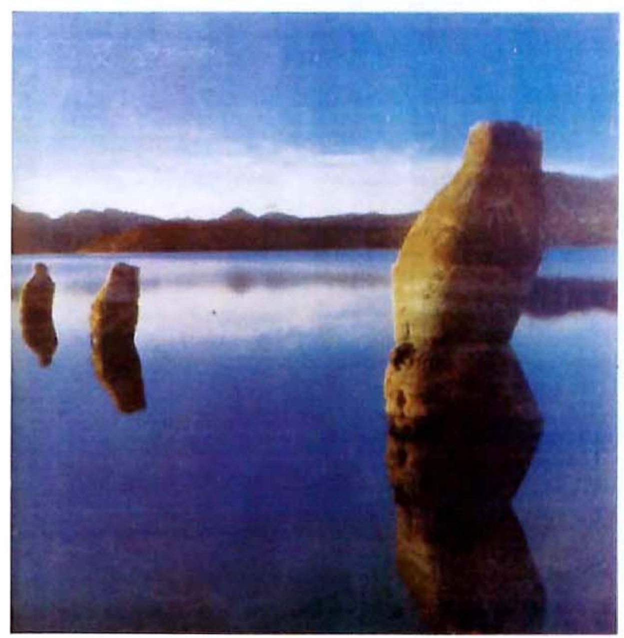
و قد كان يحيط المعبد جدار من الطوب اللبن لم يكن ممكنا إنقاذه ولكن تم تحديد مكانه حول المعبد ببعض الأحجار.





التماثيل الخارجية تغطيها الرمال (المكان الأصلى)





المعبد بعد أن غمرته المياه (المكان الأصلى)

■ **وصف المعبد [شكل ٤]**

♦ يتقدم المعبد بوابة حجرية كانت جزءا من جدار الطوب اللبن المحيط بالمعبد وأمامها على كل جانب تمثال واقف لرمسيس وأمامه كبش برأس رمسيس [١]. وقد نحتت على قواع التماثيل مناظر للأسرى الأفارقة على الجهة الجنوبية أى يسار المدخل والأسرى السوريين والليبيين على الجهة الشمالية أى يمين المدخل.

و قد وجدت لوحة فى أبى سمبل كانت تخص [سيتاو] تتحدث عن استخدام بعض الأسرى الليبيين فى نقل الأحجار والمساعدة فى بعض الأعمال الجانبية لبناء هذا المعبد.

♦ يتلو البوابة الفناء [A] وبه جزء من طريق الكباش يشتمل على ٦ تماثيل برؤوس آدمية لرمسيس وأمام كل منها تمثال صغير لكاهن. وأحدها بحالة ممتازة تصور رمسيس بملامح نوبية. أحد هذه الرؤوس قد سرقت حديثا وعثر عليها فى مدينة سوهاج وظلت لفترة طويلة فى المتحف المصرى حتى تم ترميمها حديثا. وعلى قواعدها مناظر الأسرى. وفى هذا الفناء وجدت ١٢ لوحة تخص [سيتاو] كانت خلف التماثيل تستند للجدار اللبن وهى الآن فى المتحف المصرى.

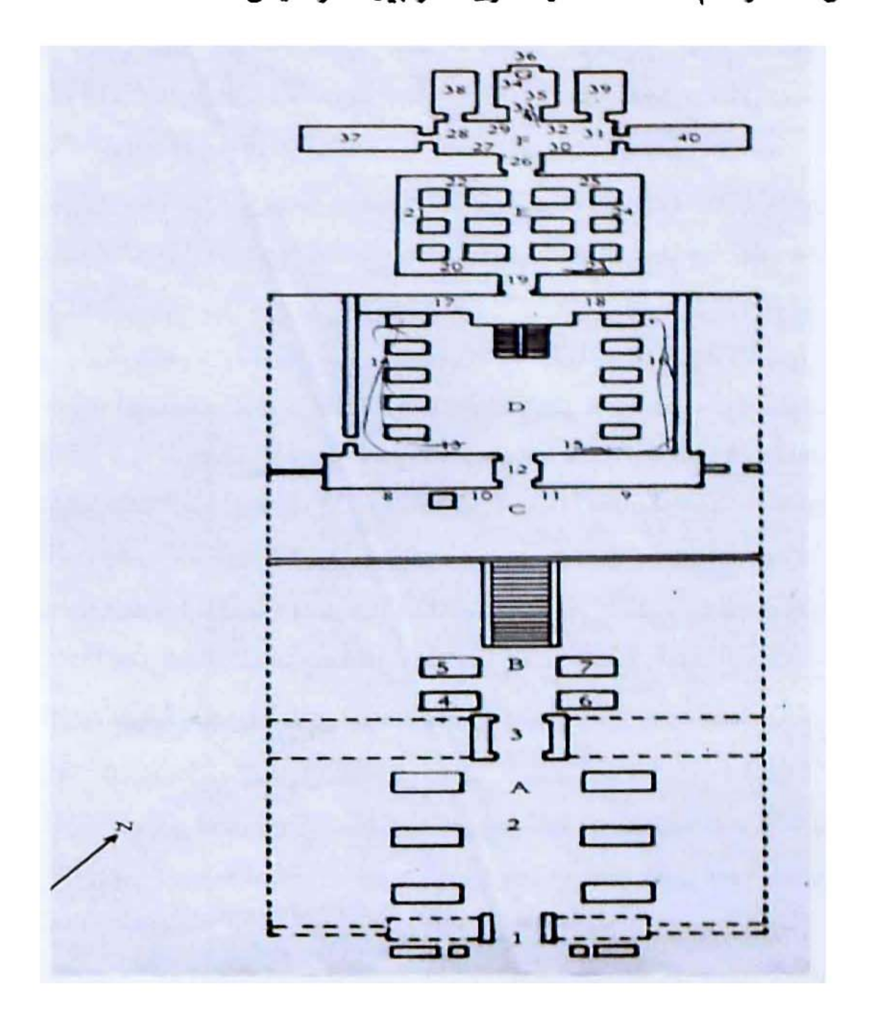
وعوضا عن البحيرة المقدسة وجد فى هذا الفناء حوضى تطهير وهما موجودان على بعد حوالى ١٠٠ متر شمال المعبد ويمكن روئيتهما أثناء الانتقال لمعبد الدكة.

ينتهى الفناء ببوابة حجرية أخرى جزء منها من الطوب اللبن ومعظمها مهدم.

♦ الفناء الثانى [B] وبه أربع تماثيل كباش برأس الصقر وهى تمثل ٤ أشكال محلية مختلفة للإله حورس [حورس إله ماها ٤] [حورس إله ميعام ٥][حورس إله باكى ٦] [حورس إله إدفو ٧] وهناك تمثال صغير للملك بين مخالب كل منها. ويوجد واحد فقط بينها بحالة جيدة أما الثلاثة الأخرى فهى مقطوعة الرأس.

♦ ثم منحدر صاعد به بعض السلالم تقود لمدخل المعبد عن طريق الصرح [C] ولليسار منه تمثال رمسيس واقفا يحمل عصا برأس الكبش رمز أمون ومعه تمثال صغير يخص [بنت عنات] إحدى بناته التى أعطيت لقب الزوجة الملكية فيما بعد والتمثال الآخر قد تحطم الجزء الأسفل منه وهو على بعد أمتار قليلة شمال المعبد فى الرمال ويمكن مشاهدة أعلى الرأس تلك الفتحة التى كان يتم عن طريقها تثبيت القطعة الحجرية الثانية التى تمثل التاج المزدوج وهى موجودة بجوار التمثال. ويلاحظ أن غطاء الرأس للملك فى التمثالين ذو شكل نوبى.ولا يوجد بالصرح الفتحات التقليدية لتثبيت

الأعلام. وعلى الصرح توجد مناظر لقهر الأعداء أمام [أمون٨] وأمام [رع٩] وعلى جانبى المدخل مناظر لآلهة المقاطعات يقدمون القرابين لخراطيش الملك [١٠ – ١١].



شكل (٤) رسم تخطيطى لمعبد وادى السبوع

♦ ندخل بعد ذلك إلى الفناء الرئيسى المفتوح [D] والذى تحيطه صفة من التماثيل الأوزورية لرمسيس تستند إلى الأعمدة المربعة ومعظم هذه التماثيل إما قد فقدت الرأس أو كانت مدمرة جدا قبل نقلها والمناظر على الجدران والصرح من الداخل غير واضحة.

وأهم ما يوجد فى هذا الفناء هذا المنظر الذى يمثل موكب بنات وأبناء رمسيس والذى يمتد على جانبى الصرح [١٥ – ١٣] والجداران الشمالى والجنوبى [١٤ – ١٦]. فى المصادر التى تعود للقرن التاسع عشر نجد أن العدد المذكور هو ١١١ للأبناء و٦٧ أو ٥٢ للبنات. أما المصادر الحديثة وبعد إعادة ترميم وبناء المعبد فإن المصادر تتحدث عن عدد ٥٣ للأبناء و٥٤ للبنات.



المعبد وخيام العاملين فى الإنقاذ

♦ فى نهاية الفناء بعض الدرجات تقود إلى تراس صغير على كل جانب منه يوجد أحد الكباش برأس الصقر فى الجنوب والآخر بدون رأس وربما كان برأس كبش لأمون.

وعلى واجهة الفناء التالى مناظر لرمسيس كملك مؤله مع أمون [١٧]. ومع رع [١٨]. ندخل بعد ذلك إلى فناء الأعمدة [E] ومنه يبدأ الجزء المنحوت فى الصخر وهو الجزء الذى استخدم كنيسة فتم تغيير مدخل الفناء ليصبح بابا مزدوجا له أقواس ولعمل هذا التغيير تم استخدام طوب لبن وبعض أحجار رملية وقد تم فكها عند نقل المعبد وبعضها ما زال موجودا شمال المعبد فى الطريق لمعبد الدكة.



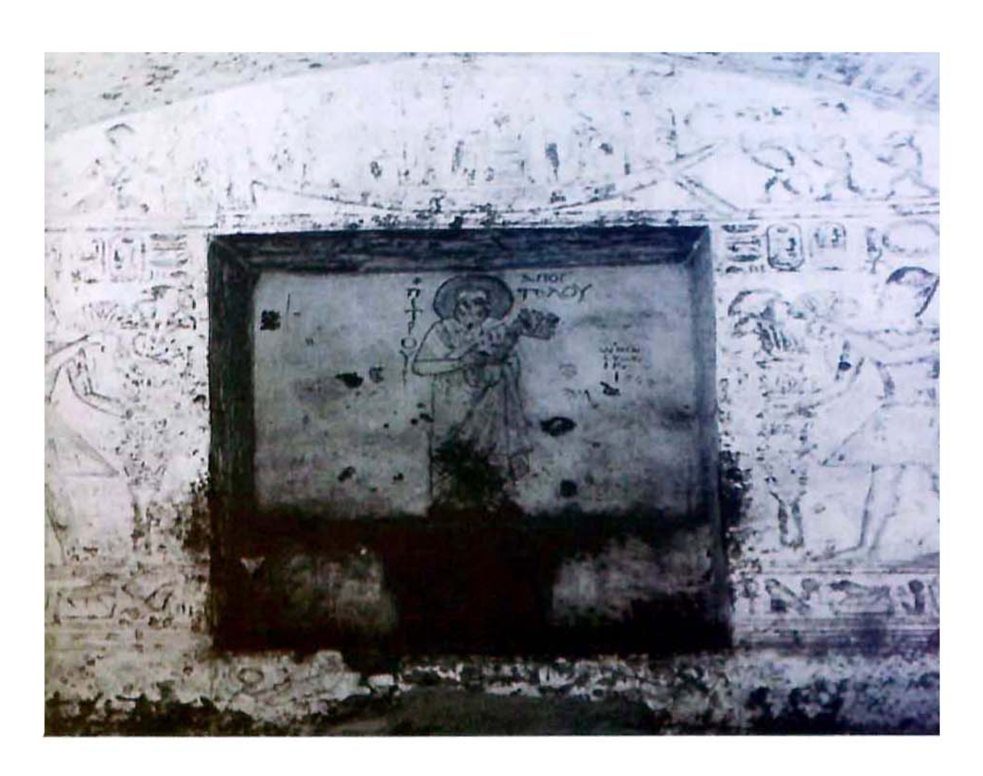
مدخل صالة الأعمدة التى تم تحويلها لكنيسة (قبل نقل المعبد)

وبهذه الصالة ١٢ عمود فى أربع صفوف على الصفين الأوسطين منها تماثيل لرمسيس ولكن هذه التماثيل تم تدميرها فى العصر المسيحى. وعلى الجدران كانت هناك مناظر كبيرة وبقايا ألوان منها (٢٣) منظر يمثل لرمسيس أمام [أونوريس شو – تفنوت – نخبت].

- فى نهاية الفناء مدخل إلى الصالة [F] التى تقود لقدس الأقداس وإلى صالتين طويلتين إلى اليسار واليمين هى صالات التخزين وفيها ما زالت الألوان بحالة جيدة وهى ثلاثة ألوان [أصفر – أحمر – أسود]. والمناظر فى الصالة الرئيسية حالتها أحسن وهى فى معظمها مناظر دينية تمثل رمسيس فى مواجهة آلهة مختلفة.

منها [٢٩] منظر مميز لحتحور بجسد امرأة ووجه بقرة بدلا من الصورة التقليدية لها بوجه امرأة وأذنى بقرة. فى [٢٧] رمسيس مواجها لنفرتوم – رمسيس المؤله – سخمت].

♦ فى قدس الأقداس [G] المراكب المقدسة لأمون [٣٤] ورع [٣٥] وفى نهايته كانت هناك مشكاة بها تماثيل لأمون ورمسيس ولكنها دمرت فى العصر المسيحى وغطيت المناظر الفرعونية بطبقة من الجص وفوقها رسومات مسيحية وقد اختفى جزء كبير من هذه الرسوم يقال أن أحد البعثات قد أخذته وبعضه معروض الآن فى المتحف المصرى. والجزء الوحيد الباقى يمثل القديس [بطرس] ومعه سيفه.



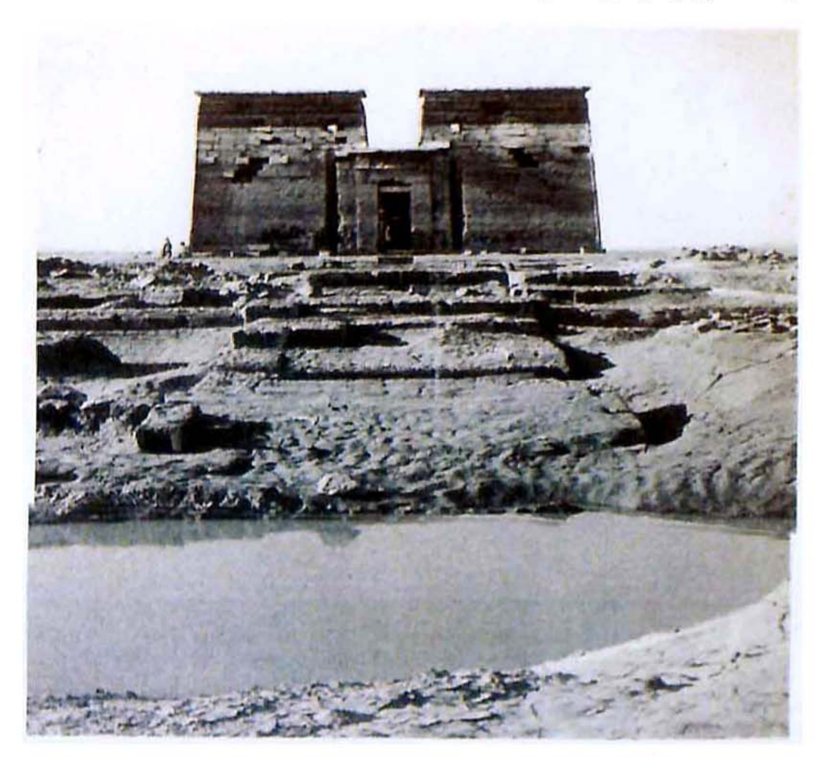
القديس بيتر او بطرس فى قدس الأقداس (قبل النقل)

♦ ومن أجمل النقوش ما يوجد أعلى مدخل قدس الأقداس من الداخل وهو لرمسيس راكعا أمام تمثالين من تماثيل الكباش الخاصة به والموجودة خارج المعبد وهو شكل آخر من أشكال التأليه.

▪ معبد الدّكة

▪ الموقع والتاريخ

♦ كان الموقع الأصلى للمعبد على بعد ٤٠ كم شمالا على الضفة الغربية للنيل وكان يحيط به سور من اللبن وحوله وادى رملى حتى النهر وأمام الصرح كانت هناك بعض المبانى التابعة للمعبد من الطوب اللبن وبعد بناء الخزان الأول ثم تعليته بعد ذلك فقد دمرت المياه السور والمبانى المحيطة.



معبد الدكة وأمامه بعض المبانى (المكان الأصلى)

♦ قامت هيئة الآثار بنقل المعبد إلى موقعه الحالى فى الفتر[١٩٦١ – ١٩٦٥ م].

الاسم اليونانى للمدينة هو لبا – سلك] وهو يعنى مقر العقرب ولكن المعبد تم تخصيصه لأحد الأشكال المحلية للإله [تحوت] وهو [تحوت إله بنوبس] وهى كلمة

تعنى لشجرة الجميز] وكان معه [تفنوت] كزوجة بشكل اللبؤة وقد أضيف لهما [أرسينوفيس] ليكون معهما ثالوثا مقدسا. و[أرسينوفيس] هو إله نوبى يرجع للعصر المروى ويتم أحيانا تعريفه أنه [شو] الإله المصرى القديم المعروف كإله الهواء.

و فى هذا المعبد يصور [تحوت] فى شكل بشرى يحمل باروكة شعر نوبية وعليها غطاء رأس عليها أربع ريشات. وأحيانا [أرسينوفيس] يظهر فى نفس الشكل ويتم التمييز بينهما فقط بالاسم.



المعبد وقد غمرته المياه (المكان الأصلى)

♦ فى أسطورة الخلق المصرية القديمة [تفنوت] هى إلهة الرطوبة وهى أخت إله الهواء [شو] ولكنها تحمل أحيانا لقبا آخر هو [عين إله الشمس رع].

وفى هذا المعبد فهى بطلة لأسطورة نوبية محلية تقول أنها قد غضبت من أبيها الإله رع فتركت مصر وذهبت للنوبة حيث استقرت فى هذا المكان متخذة شكل اللبؤة المخيفة وأخذت تنشر الرعب بين البشر فأراد أبيها رع أن يعيدها إلى مصر فقام بإرسال كل من [تحوت] و[شو] ليقنعاها بالرجوع إلى مصر وقد استطاعوا فعل ذلك.

♦ وهذه الأسطورة يمكن اعتبارها أسطورة محلية مشابهة للأسطورة الأصلية الخاصة بحتحور ابنة رع والتى تسمى [أسطورة هلاك البشرية] ولا يجب الخلط بين الإثنتين ففى النصوص الموجودة من العصر المتأخر نجد التفاصيل الخاصة بتفنوت مستقلة تماما عن حتحور وتذكر أحد هذه النصوص [أن الإلهة تفنوت فى صورتها كلبؤة

متوحشة سكنت الصحراء النوبية وكانت تمزق أعداءها إربا والنار تشع من عينيها وتخرج من فمها. ثم أراد رع أن تكون بالقرب منه فأرسل إليها أخاها شو الذى كان على هيئة أسد جبار وتحوت إله الحكمة وتقمص هذان الإلهان صورة قردين ورحلا إلى بلاد النوبة حيث تقابلا مع اللبؤة فى الصحراء وتقدم تحوت فى صورة قرد صغير أمام ذلك الحيوان الجبار وبدأها بحديث ودى عن الحياة وجمالها فى مصر وعن استعداد المصريين تقديم أنواع الصيد والنبيذ إليها فرقت الإلهة المتوحشة لحديثه ورافقتهما لمصر].

♦ وكان يوجد خلف المعبد فى مكانه الأصلى جبانة تعود للدولة الوسطى واكتشفت أحجار تحمل أسماء العديد من ملوك الدولتين الوسطى والحديثة مثل [أمنمحات الثانى – تحتمس الثالث – سيتى الأول] لذلك فربما كانت المدينة ذات تاريخ قديم يعود للعصور الفرعونية.

♦ أما المعبد بشكله الحالى فقد بدأه الملك المروى [أرجامون] ملك النوبة السفلى والذى أعطى لنفسه العديد من الألقاب منها [ملك مصر العليا والسفلى. ابن إله الشمس رع. محبوب إيزيس أرجامون] وقد كان معاصرا لبطليموس الثانى والثالث فى القرن الثالث ق.م.

ثم أضاف بطليموس الرابع [٢٢٢ – ٢٠٥ ق.م] بعض النقوش ومعها أضاف خراطيش أبيه بطليموس الثالث وأمه برنيس وزوجته أرسينوى الثالثة وابنته أرسينوى الرابعة. ثم أضاف بطليموس التاسع جزءا آخر للمعبد مع بعض النقوش. وفى العصر الرومانى أضيف الصرح وقدس الأقداس.

♦ وقد شهدت الدكة معركة كبرى بين النوبيين والرومان ٢٤ ق.م حينما كان الحاكم الرومانى مشغولا ببعض الحروب الخارجية فتمرد النوبيون وجمعوا حوالى ٣٠ ألف رجل غير جيدى التسليح ولكنهم حاصروا مدينة أسوان وجزيرة [إلفنتين] وفيلة وهزموا الحاميات الرومانية الثلاثة بها. فقام الحاكم الرومانى الرابع [بترونيوس] بالتوجه للجنوب ومعه ١٠ آلاف من المشاة و٨٠٠ من الفرسان فهزموا النوبيين وطاردوهم حتى الدكة وهنا استمرت المفاوضات لمدة ثلاثة أيام ولكنها لم تنجح فاستكمل الرومان المطاردة حتى [نباتا].

▪ **وصف المعبد [شكل ٥]**

♦ يبدأ المعبد بالصرح [A] والذى يبلغ أكثر من ١٢ قدم ارتفاع وبه الفتحات الخاصة بالأعلام وصواريها. وهو باستثناء قرص الشمس المجنح وبعض أشكال حورس وبعض الآلهة الأخرى يعتبر غير مزين بأى نقوش.

هناك نص مروى لليسار من بوابة الصرح [٢] يتحدث عن تقهقر المرويين بعد هزيمتهم فى أسوان ٢٣ ق.م. وفى كل من جزئى الصرح توجد سلالم تؤدى للسطح كما توجد بعض غرف التخزين.

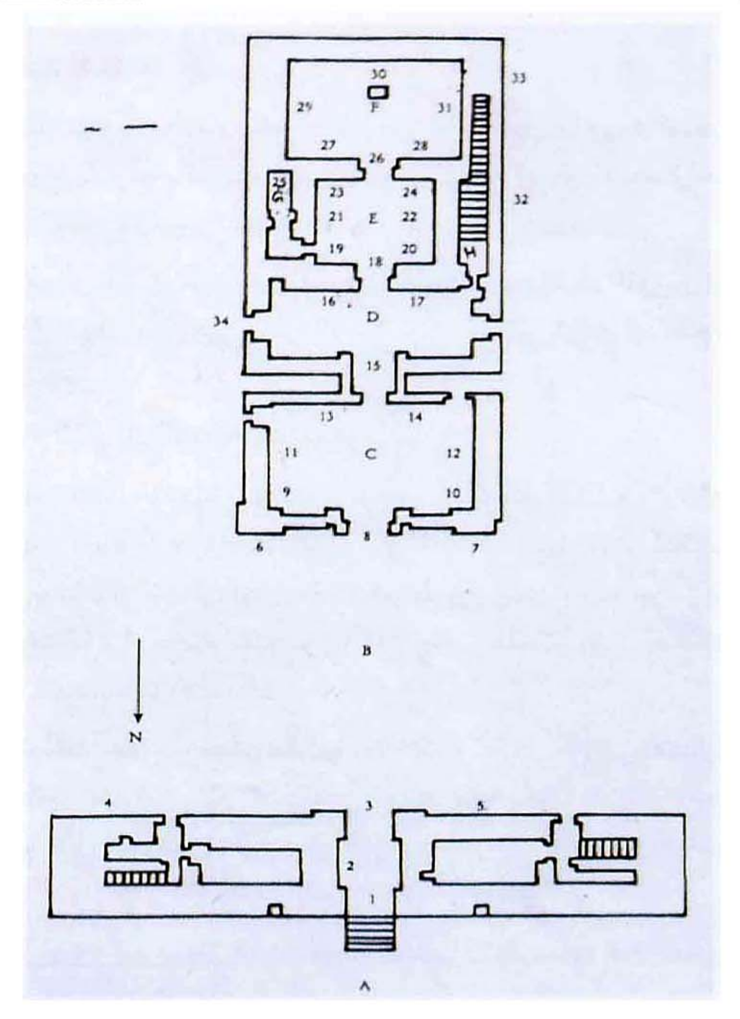
الفناء المفتوح الذى يتلو الصرح غير موجود.

♦ الصالة الثالثة [C] فى الواجهة منها نقوش تصور بطليموس السابع وزوجته كليوباترا الثالثة مع آلهة مختلفة [٦ – ٧ – ٨] بينما على الأعمدة نفسها نقوش لبطليموس الثانى حتى السابع. والجدار الأصلى الذى كان يربط بين الأعمدة لم يكن موجودا عند نقل المعبد وطبقا لما ذكره [شمبليون ١٨٢٨ م] أن النقوش التى كانت فى الجزء الداخلى منه كانت تمثل [أغسطس].

وفى هذه الصالة نجد خراطيش كثيرة بها كلمة [بر – عا] وهى الأصل الذى اشتق منه كلمة فرعون وهى تشير إلى الملك بدون تحديد اسم معين. ففى [١١] نجد الملك أمام عديد من الآلهة مثل [تحوت إله المعبد – تفنوت – أمون – أوزوريس – حورس – رع – حتحور – بتاح – شو]. وفى [١٣] منظرا للإمبراطور الرومانى [أغسطس].

فى القرن ١٩م كانت معظم هذه النقوش تغطيها نقوش مسيحية تصور موضوعات مثل [الصلب – المسيح وتلاميذه].

♦ الصالة التالية [D] لها مدخل به بعض النقوش والصالة نفسها معظمها مغطى بالنقوش. ففى [١٥] نرى بطليموس الرابع وزوجته وأخته وزوجته أرسينوى الثالثة وهو يقدم إلهة الحق والعدل [ماعت] إلى [تحوت – ويب ست]. ثم نراهم فى الفناء [١٦ – ١٧] أمام كل من [أمون – حورس – إيزيس] كما نرى هنا خراطيش بطليموس الثانى وزوجته أرسينوى الثانية.



شكل (٥) رسم تخطيطى لمعبد الدكة

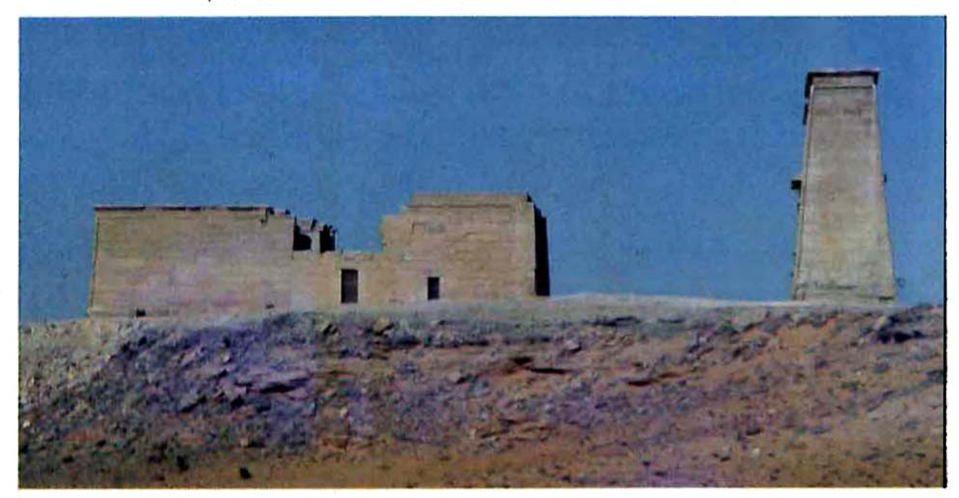
◆ الصالة [E] هى الجزء الذى بناه [أرجامون] وكانت هى قدس الأقداس قبل إضافة الجزء الرومانى.على العتب نرى الإمبراطور [تيبيريوس] وإحدى الملكات المسماة كليوباترا يقدمان القرابين إلى تحوت [١٨].

الصالة بها نقوش تغطى الجدران الأربعة فى ثلاث صفوف ومعظمها يصور أرجامون أمام مختلف الآلهة من أهم المناظر [٢٠] فى الصف الثانى توضح [إمحتب] المهندس

المعمارى والطبيب والحكيم المصرى العبقرى المعروف والذى تم تأليهه فى العصر اليونانى الرومانى وأمامه فى هذا المنظر ملك أعطى لنفسه لقب [ملك سنمت] وهى جزيرة [بيجة] بالقرب من جزيرة [فيلة]. وطبقا لأسطورة [إيزيس وأوزوريس] فإن جزيرة بيجة كان مدفون بها أحد أعضاء جسد أوزوريس لذلك كان بها مقصورة خاصة بأوزوريس وهى ماتزال موجودة وبوابتها بحالة جيدة.

أسفل الجدران مناظر للإله [حابى] إله النيل وآلهة الحقول المختلفة. وأعلى الجدران يوجد إفريز رائع به خراطيش الملك والصقر وطائر الآيبس [إحدى فصائل أبى القردان] وهو هنا فى قفص.

من الآلهة التى ترى هنا [تحوت – تفنوت – أرسينوفيس – إيزيس – أوزوريس – حورس – نفتيس]. وهناك منظر مهم [٢٣] للملك يقدم النبيذ لإيزيس ونص مصاحب يقرر أنها قد أعطته أرض [تا – كنس] [النوبة السفلى] من أسوان حتى ما يقرب من قصر إبريم.



معبد الدكا فى موقعه الحالى

♦ فى العصر الرومانى تم قطع صالة صغيرة فى الجدار الشرقى [G] وفبها نرى أجمل نقوش المعبد [٢٥] تحوت كقرد أمام تفنوت كلبؤة وهو المنظر الذى يتحدث عن الأسطورة السابق ذكرها. وفى الأعلى نرى شكل آخر لتحوت [طائر الآيبس أبى القردان]. ثم فى الأسفل منظر لأسدين ربما يمثلون [شو وتفنوت] كتوأمين من أبناء الإله الأول وخالق الكون [آتوم].

خارج الصالة وفى الجدار الغربى أى يمين المدخل توجد السلالم التى تقود للسطح [H].

♦ قدس الأقداس الرومانى [F] وهو أقل النقوش جودة فى المعبد ومنها ما يصور الملك مواجها أربعة أشكال محلية لحورس [باكى – بوهين – ميعام – ماها] [٢٧ – ٢٨].

للأسفل من [٢٨] منظر لتحوت كقرد تحت شجرة الجميز مع إله النيل [حابى] بينما أعلى نفس الجدار يوجد نص من سطرين مكتوب بالكتابة الديموطيقية كتبه الحاكم الرومانى [سيليوى] يحدث فيه عن بناء قدس الأقداس فى العام ٤٠ لحكم الإمبراطور الرومانى [أغسطس] أى حوالى ١٠ م.

أمام المعبد وجدت قطعتان من الجرانيت الوردى وهما ما تبقى من مقصورة التمثال الأصلية وتم إضافة جزئين لهما عند نقل المعبد.

تم قطع الباب الأخير فى قدس الأقداس عند استخدام المعبد فى العصر المسيحى.

▪ مقاصير قصر إبريم

♦ فى الطريق من وادى السبوع إلى الدكة وبالقرب من البحيرة توجد ربوة صغيرة بها عدد من الكهوف المنحوتة فى مواجهة البحيرة والتى تعدها هيئة الآثار لإعادة بناء قطع الأحجار التى توجد حاليا فى الرمال أمام الربوة.

وهى قطع تم إنقاذها من الجزء المنخفض من قصر إبريم. وهى خمسة مقاصير تم إعادة بناء أحدها بالفعل فى المتحف النوبى وهى التى تخص [أوسر – ساتت] حاكم [كوش] فى عهد [أمنحتب الثانى ١٤٥٣ – ١٤١٩ ق.م] من الأسرة ١٨ من الدولة الحديثة.

و هى كانت مقاصير مخصصة لعبادة حورس بأشكال محلية نوبية وبعض الآلهة الأخرى مثل [ساتت – خنوم – حتحور]

وكانت اثنتان منهما ترجع لعصر تحتمس الثالث وأخرى ترجع لعصر رمسيس الثانى وواحدة بدون نقوش وتاريخها غير معروف.

♦ وبعض هذه الأحجار من مقصورة [حور محب] تم إنقاذها من [أبو عودة] جنوب أبى سمبل.

♦ وبعض الأحجار بها نقوش ترجع لعصر ما قبل الأسرات مثل تلك المعروضة بجوار معبد كلابشة. وقد علمت مؤخرا أن العمل ربما لن يكتمل فى هذا الموقع لوجود بعض الأفكار الجديدة لنقل تلك المقاصير للمتحف المصرى الجديد والذى ربما يكتمل العمل به ٢٠١٣ م.

▪ معبد المحرقة

▪ الموقع والتاريخ

♦ كان المعبد يقع على الضفة الغربية للنيل بينما قرية [المحرقة] تقع على الضفة الشرقية. وكان المعبد يقع للجنوب من قرية [أوفندينا] وفى مكانه الأصلى كان يفصله عن النهر بعض الأشجار. وقرية أوفندينا كانت تتميز ببعض بالنخيل الكثيرة واسمها القديم [هيراسيكامينوس] التى تعنى مكان أشجار الجميز المقدسة.

♦ يرجع تاريخ المعبد الحالى للعصر الرومانى ولكن لا يعرف تحديدا متى.

وقد قامت هيئة الآثار المصرية فى عام ١٩٦١م بنقله من موقعه الأصلى على بعد حوالى ٥٠ كم شمال الموقع الحالى. وقد كانت المحرقة هى الحدود الجديدة لمصر فى العصر اليونانى الرومانى.

▪ وصف المعبد

♦ يتكون من صالة واحدة بها ثلاث صفوف من الأعمدة النباتية المختلفة والغير مكتملة التيجان. فى كل من الجنوب والشمال ٦ أعمدة وفى كل من الشرق والغرب ٣ أعمدة.

يربط بين أعمدة الجنوب جدار نصفى فى منتصفه باب يقود لغرفة صغيرة.

فى الركن الشمالى الشرقى سلالم حلزونية تقود للسطح وهى الوحيدة بهذا التصميم فى المعابد المصرية.

♦ نقوش المعبد لم تكتمل أبدا. وقد كان مخصصا لعبادة [سرابيس] ولكن النقوش القليلة الباقية تدل على أن بعض الآلهة الأخرى كانت ممثلة فى المعبد مثل [إيزيس – أوزوريس – حورس – تحوت – تفنوت]

الغرفة الصغيرة هى الوحيدة التى يوجد بها بقايا نقوش كانت تصور ملكا أمام [إيزيس وأوزوريس].

♦ يعتقد أن المدخل الرئيسى للمعبد كان فى الشرق. ولكن فى العصر المسيحى تم غلق جزء منه بشكل مقبب ليكون كنيسة مسيحية وتم فتح مدخل للمعبد ناحية الغرب.



معبد المحرقة فى موقعه الحالى

الفصل الثالث

موقع عمدا الجديد

- معبد عمدا
- معبد الدر
- مقبرة بنوت

معبد عمدا

▪الموقع والتاريخ

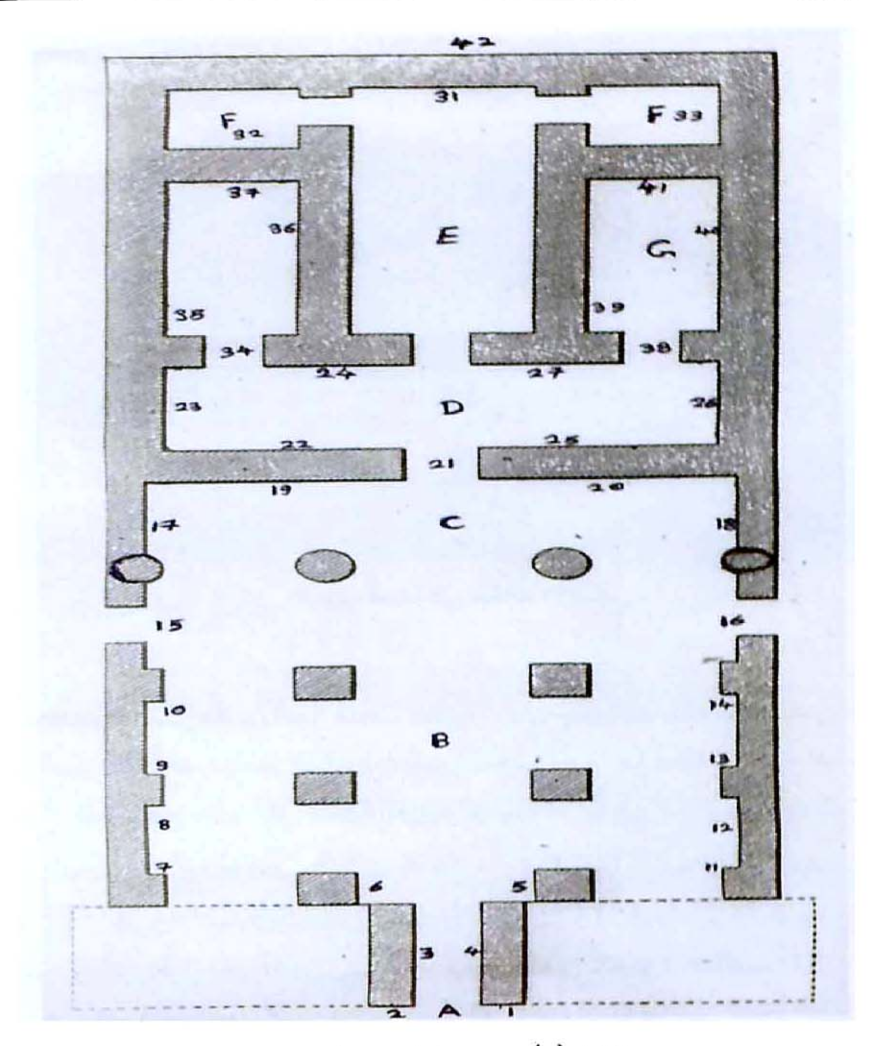
♦ الموقع الأصلى كان على بعد ٢,٦ كم للغرب من الموقع الحالى. وقد قامت هيئة الآثار المصرية [١٩٦٤ – ١٩٦٥ م] بفك الجزء الأمامى منه بينما قامت فرنسا بنقل الجزء الخلفى كقطعة واحدة حتى لا تدمر النقوش الموجودة به. وقامت بنقله على قضبان لمسافة ٢,٦ كم للشرق من الموقع الأصلى ثم قامت بإعادة بناء المعبد كاملا.

كان اسم عمدا يطلق على المعبد فقط ولم يكن لأى قرية. وكان المعبد يقع بالقرب من مدينة [كورسكو] والتى كانت لها أهمية كبيرة. فقد كانت مقرا للقوات البريطانية فى النوبة وقد وجدت بها مقبرة بريطانية بها ما يقرب من ٤٠ جندى بريطانى. وقبل ذلك كانت تقع على طريق مهم للقوافل من وإلى السودان. والذى كان مستخدما حتى بناء السد العالى. وكان هذا هو الطريق القديم الذى استخدمه المصريون القدماء فى بعثاتهم وحملاتهم ضد النوبة. وبالقرب من المعبد وجدت مقابر قديمة للقبائل النوبية. واكتشف فى ١٩٠٧م بقايا قلعة حربية تعود للأسرة ١٨. كما وجدت نقوش تحمل أسماء ملوك الأسرة ١٢ من الدولة الوسطى مثل [سنوسرت الأول – امنمحات الثالث – وسنوسرت الثالث] وسنوسرت الثالث كان مرتبطا بالمعبد لذكر خرطوشه بالداخل. بل ويعتقد أن المعبد الحالى تم بناؤه مكان معبد آخر أقدم يرجع لعصر هذا الملك.



معبد عمدا فى مكانه الأصلى

- فى المكان الأصلى كون النيل منحنا كبيرا يمتد جنوبا لعدة كيلومترات وعند بناء السد العالى فإن بحيرة ناصر قد أخذت نفس المنحنى وهذا ما عكس الإتجاهات. فعلى الرغم أن المعبد يقع حاليا على الضفة الغربية للبحيرة إلا أنه فى الشرق ويواجه الغرب.
- المعبد الحالى بدأه [تحتمس الثالث ١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق.م] وأتمه ابنه [امنحتب الثانى ١٤٥٣ – ١٤١٠ ق.م] ثم [تحتمس الرابع ١٤١٩ – ١٣٨٦ ق.م] من الأسرة ١٨. وقد خصص لعبادة كل من [أمون رع – رع حرآختى] فى عصر [إخناتون ١٣٥٠ – ١٣٣٤ ق.م] تم تدمير اسم أمون فى معظم المعبد ثم أعيد ترميمها فى عصر [سيتى الأول ١٢٩١ – ١٢٧٠ ق.م].
- فى العصر المسيحى تم تحويل المعبد لكنيسة وبنيت فوقه قبة من الطوب اللبن وغطيت الألوان بطبقة من الجص ورسومات مسيحية تحدثت عنها الإنجليزية [أميليا إدواردز] عند زيارتها للمعبد ١٨٧٣ م.



شكل (٦) رسم تخطيطى لمعبد عمدا

▪ **وصف المعبد [شكل ٦]**

♦ يبدأ المعبد بالصرح من الطوب اللبن الحديث وبه بوابة حجرية [A] أصلية على اليمين منها [١] منظر لتحتمس الثالث أمام رع وإلى اليسار أمنحتب الثانى أمام رع[٢].

داخل البوابة لليسار [٣] منظر لأمنحتب أمام رع ومونتو وتحته نص[مرنبتاح] يتحدث فيه عن قمع تمرد ليبى فى النوبة فى العام الرابع لحكمه. داخل البوابة لليمين [٤] منظر يصور [سيتاو] حاكم النوبة فى عصر رمسيس الثانى.

♦ فى عصر تحتمس الثالث كانت هذه البوابة والصرح يقودان إلى فناء مفتوح تحده جدران من الطوب اللبن فى آخره ٤ أعمدة مضلعة. ثم قام تحتمس الرابع بتحويل الفناء إلى صالة أعمدة [B] مغطاة بها ١٢ عمود مربع واستبدل الجدار اللبن بجدار حجرى يربط بين الأعمدة الخارجية.

على الجدران والأعمدة المربعة نشاهد تحتمس الرابع بين عديد من الآلهة بينما لليسار واليمين من المدخل الرئيسى للمعبد مناظر لتحتمس الثالث وأمنحتب الثانى. ويمكن تمييز خراطيش تحتمس الرابع على الأعمدة [من خبرو رع] بسهولة.

♦ من النصوص الهامة [٧] نص يتحدث عن تحتمس الرابع [كمحبوب سنوسرت الثالث] وهو فرعون الدولة الوسطى الذى تم تأليهه فى النوبة فى الدولة الحديثة.

هناك أعلى الإفريز [٢٠] نقوش يدوية أو جرافيتى تمثل الجمال والخيول وهى ترجع للعصور الوسطى وقد تركها البدو والرحالة بعد أن هجر المعبد وكان يستخدمونه كنقطة استراحة لطريق القوافل السابق الحديث عنه.



معبد عمدا فى المكان الحالى

♦ بعد ذلك ندخل إلى الردهة[D] وبها مناظر للملكين تحتمس الثالث وابنه امنحتب الثانى أمام الآلهة. ففى [٢٢] حورس وتحوت يطهران أمنحتب. [٢٣] وهو يجرى فى أحد الطقوس الدينية أمام أمون. [٢٤] وهو مع رع حرآختى. ونشاهد أيضا تحتمس الثالث [٢٧] مع أمون.

♦ ندخل الان إلى قدس الأقداس [E] فى الجدار الخلفى منه أهم نص فى المعبد [٣١] يرجع للعام الثالث لحكم أمنحتب الثانى ويعلوه منظره فى المركب يقدم النبيذ لرع وأمون. يتحدث النص عن إكمال المعبد لأبيه بعد أن طلب منه ذلك بعد رؤيته فى المنام. ثم يتحدث عن حملته ضد سوريا فى العام الثانى لحكمه وإحضاره لأجساد سبعة من الأمراء السوريين معلقين على مقدمة مركبه وعند الوصول لمصر قام بتعليق ستة منهم على جدران طيبة بينما السابع تم تعليقه على جدران لنباتا] فى النوبة العليا.

ثم يتوعد الملك أعداءه خاصة فى الأجزاء البعيدة من الإمبراطورية قائلا أنه ملك قوى قادر مثل سابقه ولن يقبل أى تحد لسلطته.



نص أمنحتب الثانى فى قدس الأقداس

♦ قدس الأقداس له حجرتان جانبيتان ففى إحداهما مناظر قرابين لكلا الملكين. أما الحجرة الأخرى [G] فبها مناظر أكثر أهمية تخص تأسيس المعبد بكل خطواته من مد الخيط لتحديد مكان المعبد ومساحته ووضع الأحجار وأخيرا تكريس المعبد [٣٩]. وكل خطوة من هذه الخطوات تصحبها تقديم القرابين من الحيوانات وغيرها [٤٠]. خلف المعبد هناك نقوش من عصر الرعامسة [٤٢] وما يمثل حاكم النوبة لميسوى] [٤٣].

معبد الدر

▪ الموقع والتاريخ

♦ كان هذا المعبد يقع على بعد ١١ كم جنوب غرب الموقع الحالى. وكان يقع على الضفة الشرقية للنيل خلف قرية [الدر]التى كانت تحيطها أعداد كبيرة من النخيل فكان المنظر الذى يشاهده القادمون للمكان هو النيل يتبعه النخيل والأشجار التى تحيط بمنازل القرية البيضاء ثم المعبد ثم الجبل. يعتقد أن المعبد كان له جزء مبنى يتكون من صرح وفناء أمامى وقد كانا من الطوب اللبن وقد اختفيا تماما والجزء الباقى منحوت فى الجبل.

وقد قامت هيئة الآثار المصرية بنقل المعبد فى الفترة [١٩٦١ — ١٩٦٥ م].

♦ وطبقا لما ذكرته [إميليا إدواردز ١٨٧٣م] أن المعبد قد استخدم ككنيسة وقد غطيت الأجزاء الداخلية منه بطبقة من الجص والرسومات المسيحية وهى الفترة التى تم تدمير بعض تماثيل رمسيس التى كانت متواجدة فى الصالة الأولى.

والجزء الباقى كان منحوتا فى الصخر. والسبب الرئيسى لسوء حالة المعبد هو رداءة حالة الصخور التى نحت فيها المعبد والتى لم تتح للعمال والفنانين فرصة النحت فى زوايا مستقيمة متناسقة.

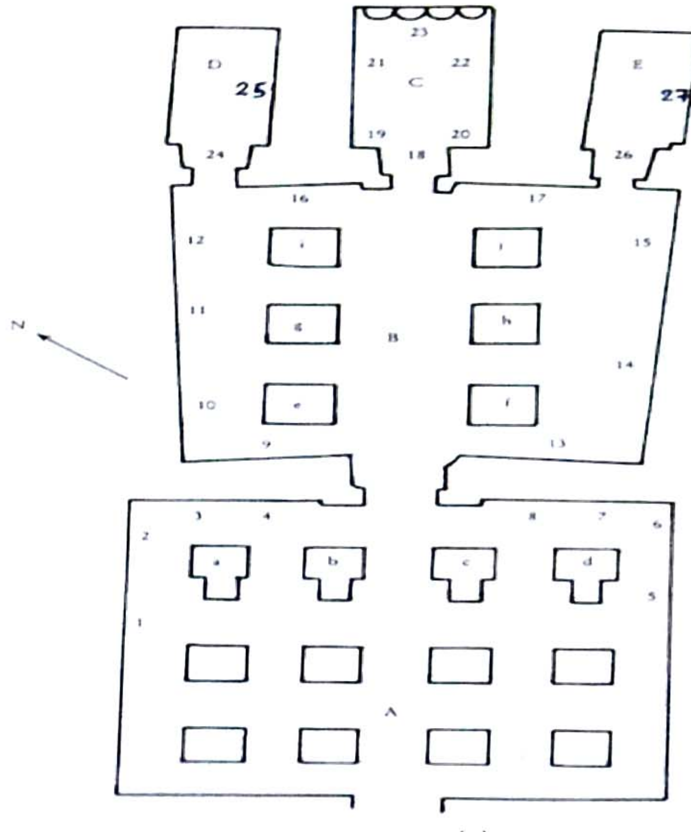
وقد أقيم المعبد فى عصر رمسيس الثانى وكان يسمى [معبد رمسيس محبوب أمون فى مقر رع]. وهو مخصص أساسا لرع ومعه كل من [آمون — بتاح — رمسيس الملك المؤله].

♦ اسم الدرفى لغة الفاديجا تعنى الديوان أو مقر الحكم وربما أطلق هذا الإسم على القرية فى فترة حكم الكُشّاف حين كانت القرية مقرا للكاشف وقديما كانت القرية جزءا من مقاطعة [ميعام] وكان المعبد يقع بين مقصورة تحتمس الثالث فى [الليسيه] وبين معبده فى [عمدا].

▪ وصف المعبد [شكل ٧]

♦ الصالة الأولى [A] بها ١٢ عمود يوجد بها بقايا حوالى ١.٢ متر ارتفاع وفى الصف الخلفى كانت توجد تماثيل واقفة لرمسيس تدمرت فى العصر المسيحى باستثناء الأقدام وقد كانت هذه الصالة مسقوفة بقطع منفصلة من الأحجار معدة لذلك أى أن السقف كان موضوعا ولم يكن منحوتا فى الجبل.

على الجدران كانت هناك مناظر حربية لرمسيس فى النوبة معظمها مدمر ومناظر تقليدية لقهر أعدائه السوريين ومنظر لعدد من أبنائه وبناته.



شكل (٧) رسم تخطيطى لمعبد الدر

- ومـا يـرى الآن [١ - ٢] منظـر لـه فـى عجلتـه الحربيـة والأعـداء يهربـون أمامـه ثـم وهـو ممسكا ببعض منهم بالرأس ويقدمهم لأمون.
- فى [٣ - ٤] رمسيس يذبح أربعة سوريين بينما أسده يهاجم أحدهم ثم فى أعلى الجدار أمام رع. فى أسفل المنظر نرى ٨ من أبنائه وهم [أمون حرخبشف - رمسيس - خع إم واست - بر حرونمف - منتوحرخبشف - ثم ثلاثة آخرين فقدت أسماؤهم].
- فى [٥ - ٦] الملك فى عجلته الحربية يطلق السهام على الأعداء الأفارقة الذين يفرون أمامه عائدين لمعسكرهم بين التلال والأشجار. بعضهم يحمل الجرحى على أكتافهم

والبعض الآخر يبلغ الأخبار للنساء. ويرى طفل يجرى لأمه كما ترى بعض الحيوانات مثل الماعز والثيران ويرى بعض الموظفون المصريون.

- فى [٧ – ٨] الملك يذبح أربع أسيويين فى حضور أمون وبجانبه أسده وتحت هذا المنظر ٩ من بناته هم [باكموت – نفرتارى – نبتاوى – إيزيس نفرتارى – حمت تاوى – ورنورع – نجم موت – واثنتان بدون أسماء].

الصالة التالية [B] بها ستة أعمدة نقش عليها مناظر للملك أمام العديد من الآلهة وكذلك الجدران مليئة بالمناظر الدينية والتى ما زالت واضحة تماما.

- ففى [١٠ – ١٤] منظر واحد للمركب المقدسة لرع تحملها الكهنة والملك يظهر مرتين فى كل منظر أحدهما يقدم الزهور أمام المركب والآخر يرتدى زى كبير الكهنة [جلد النمر] ويحمل المركب مع الكهنة.

فى المنظر [١١] يظهر أمام إله الخصوبة [أمون كا موت إف].

- فى المنظر [١٢] وهو يقف فى ظلال شجرة مقدسة ربما شجرة [إشد] التى تعنى الخلود وخلفه بتاح وسخمت وأمامه تحوت إله الحكمة والكتابة وهو يحمل فى يده العلامة التى تعنى عام وهى فرع النخلة وأسفلها الشكل الذى يرمز للرقم مليون وهو رجل رافعا ذراعيه وتنطق [هه] والمنظر يعنى إعطاء الخلود للملك عندما يعطيه الإله مليون سنة.
- فى الجدار الآخر [١٥] نرى رمسيس راكعا أمام أمون وزوجته موت ويتسلم منهما علامة [الحب] أو علامة احتفال اليوبيل ويظهر أمامه كل من [تحوت ومونتو وحورس] ويمسك كل منهم بإحدى يديه علامة الحب وباليد الأخرى علامة العام وأسفلها الضفدعة الصغيرة وهى التى تعنى مائة ألف وهى رمز آخر يعنى اللانهاية والخلود المعطى للفرعون.
- فى المنظر [١٧] رمسيس أمام أمون وموت وبينهما رمسيس الملك المؤله.

وعلى السقف نرى كالمعتاد خراطيش الملك وطائر أنثى العقاب [نخبت] إلهة مصر العليا بينما أعلى قدس الأقداس الكوبرا [واجت] إلهة مصر السفلى.



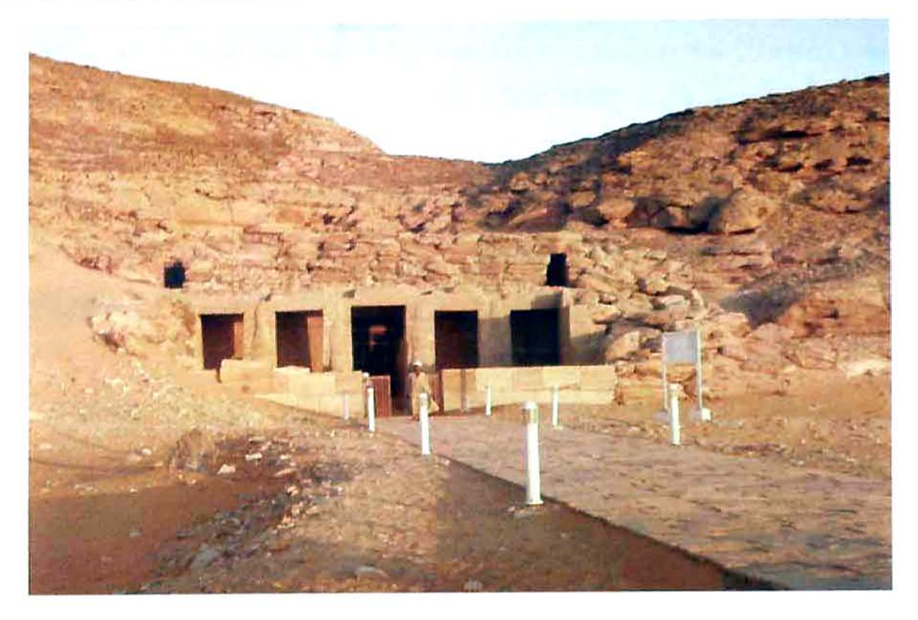
احد مناظر معبد الدر (شجرة الخلود)

♦ قدس الأقداس [C] نرى فى نهايته بقايا أربعة تماثيل دمرت فى العصر المسيحى وكانت تمثل من اليمين لليسار لرع حر آختى – رمسيس المؤله – أمون رع – بتاح؛ وهو بنفس ترتيبهم فى معبد أبى سمبل الكبير.

ومن المناظر التى نراها [١٩ – ٢٠] الملك ومعه إناء التطهير. على الجانبين منظر لمركب رع على قاعدة. وفى [٢١] نرى رمسيس يقدم الملابس لبتاح وفى [٢٢] نراه يستخدم الزيوث لدهن رع بإصبعه.

الغرفة الجانبية[D] بها مناظر دينية للملك منها [٢٥] وهو يرقص أمام نفسه وهو مؤله والنص يذكر أنه يرقص فى المركب المقدسة للإله رع.

الغرفة الجانبية [E] نفس المناظر الدينية منها [٢٧] للملك وهو يرقص أمام [أوزوريس – إيزيس – حورس – رع].



معبد الدر فى موقعه الحالى

▪ مقبرة بنوت

▪ الموقع والتاريخ

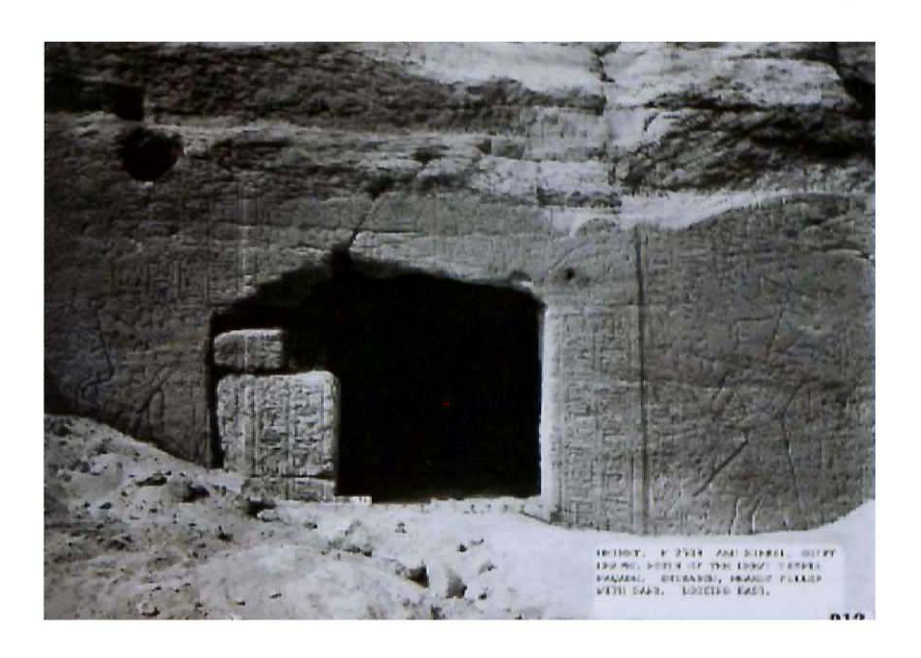
♦ الموقع الأصلى كان على بعد ٤٠ كم للجنوب من الموقع الحالى على الضفة الشرقية للنيل قرب قرية [عنيبة] والتى حلت محل المدينة القديمة [ميعام] والتى كانت مقر الحاكم المصرى للنوبة السفلى. وهى واحدة من المقابر التى ترجع للدولة الحديثة وقد قطعت من الحجر الرملى وقد كانت معظم مقابر هذه الفترة هرمية الشكل.

♦ وقد أسهمت الولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ مليون جنيه لإنقاذ كل من [معبد وادى السبوع – بيت الوالى – مقبرة بنوت]. وقد قامت هيئة الآثار المصرية بتقطيع وإعادة بناء المقبرة فى مكانها الحالى فى الفترة [١٩٦١ – ١٩٦٥ م].

♦ هى مقبرة [بنوت] من عصر رمسيس السادس [١١٤١ – ١١٣٣ ق. م] وقد كان يحمل كثيرا من الألقاب منها [حاكم واوات – ملاحظ العمال والمشرف على أعمال المحاجر – المشرف على معبد حورس إله ميعام أو عنيبة فيما بعد].

وكانت زوجته [تاخا] تعمل مغنية فى نفس المعبد. وغير مؤكد إن كان مصريا أو نوبيا يعمل فى خدمة الفرعون المصرى. وقد كان بعض أفراد أسرته يحملون ألقاب بعض الوظائف المصرية مثل لملاحظ الخزانة فى النوبة السفلى - كاتب الخزانة - كبير كهنة إيزيس]. وكان له حفيد يحمل نفس الاسم وقد تزوج هذا الحفيد من امرأة تدعى [باك ساتت]. وقد كانت لأفراد أسرته مقابر فى نفس المنطقة.

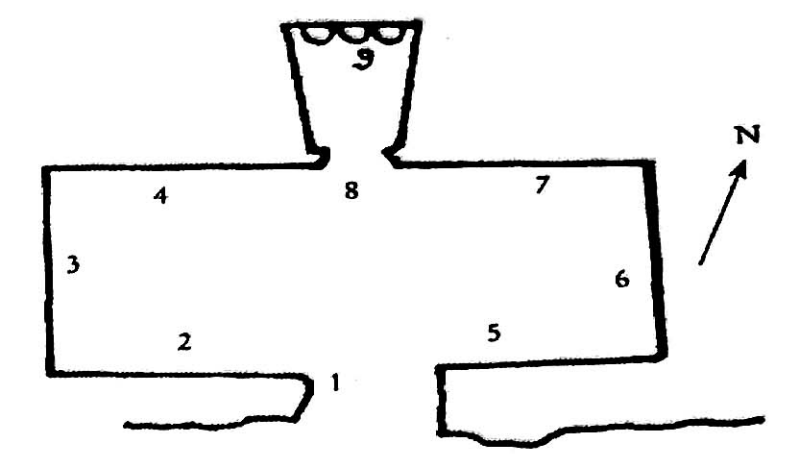
وحتى عام ١٩٣٧م كانت المقبرة فى حالة جيدة طبقا لما ذكره [شتيندورف] لذلك فإن معظم المناظر قد سرقت فيما بعد.



مقبرة بنوت فى مكانها الأصلى

▪ وصف المقبرة [شكل ٨]

تتكون المقبرة من مدخل ثم صالة مستطيلة ثم مشكاة صغيرة كانت تحتوى على ثلاثة تماثيل محطمة ومهشمة. والصالة بها نقوش جميلة ما زالت بها بقايا ألوان.

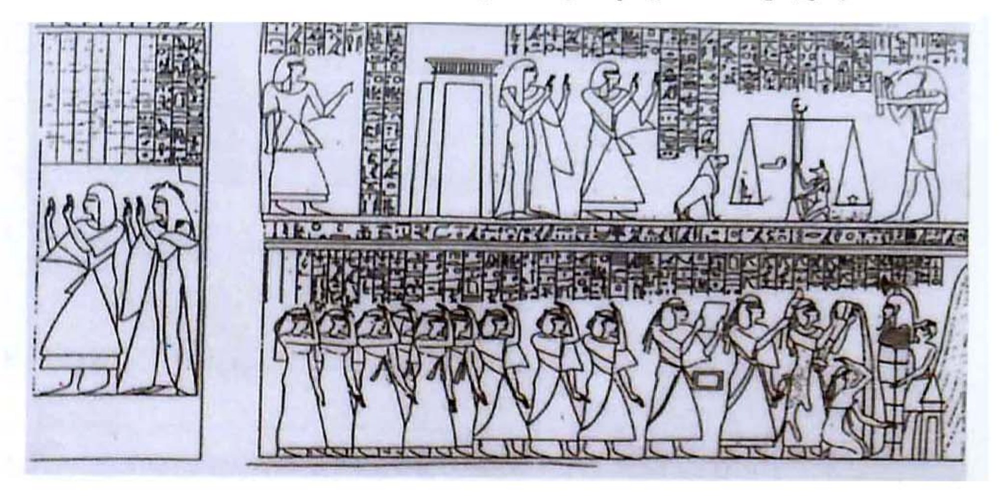


شكل (٨) رسم تخطيطى لمقبرة بنوت

فى البوابة [١] لليسار هناك منظر لبنوت وزوجته تاخا.

المناظر يسار المدخل [٢ – ٣ – ٤] هى مناظر للعالم الآخر بينما إلى اليمين [٥ – ٦ – ٧] هى مناظر ونصوص عن أشخاص وأحداث مهمة فى حياة بنوت.

ففى [٢] المنظر العلوى بنوت أمام بوابة ثم بنوت وزوجته أمام تحوت وهو جزء من المحاكمة الجنزية وهناك نص للإعترافات الإنكارية.



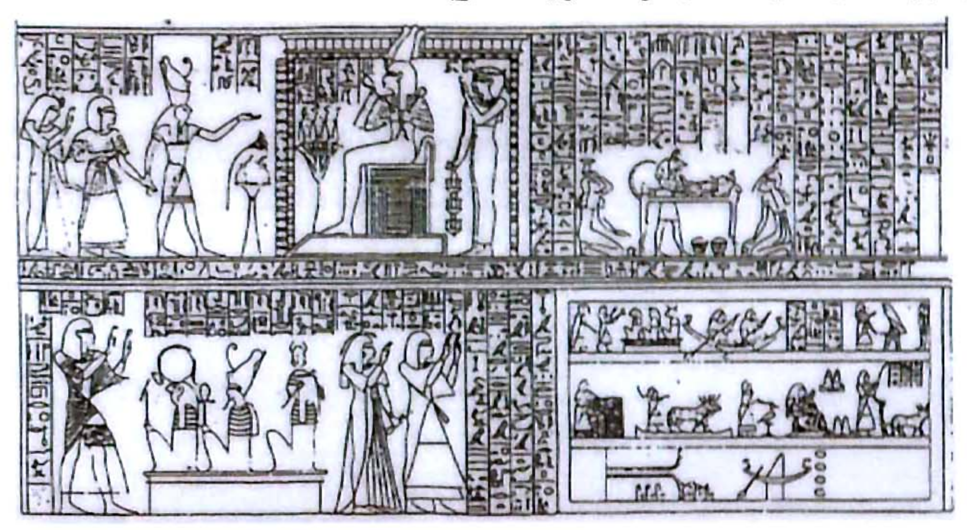
منظر المحاكمة الجنزية ومنظر النائحات

المنظر الأسفل منظر النائحات ثم (منظر مدمر) لجنازة بنوت حيث كانت المومياء منصوبة أمام المقبرة وأهل بيته وأصدقاؤه والكهنة يودعونه فى المراسم الأخيرة.

♦ فى (٣) الجزء العلوى حورس يصاحب بنوت وتاخا إلى عرش أوزوريس ومعه إيزيس وهذا المنظر ما زال موجود.

ثم أنوبيس إله التحنيط وحارس البر الغربى واقفا بجانب تابوت بنوت وإيزيس بملابسها البيضاء وأختها نفتيس بملابسها الحمراء راكعتين على جانبى التابوت يندبانه بعد موته وهو (منظر مدمر).

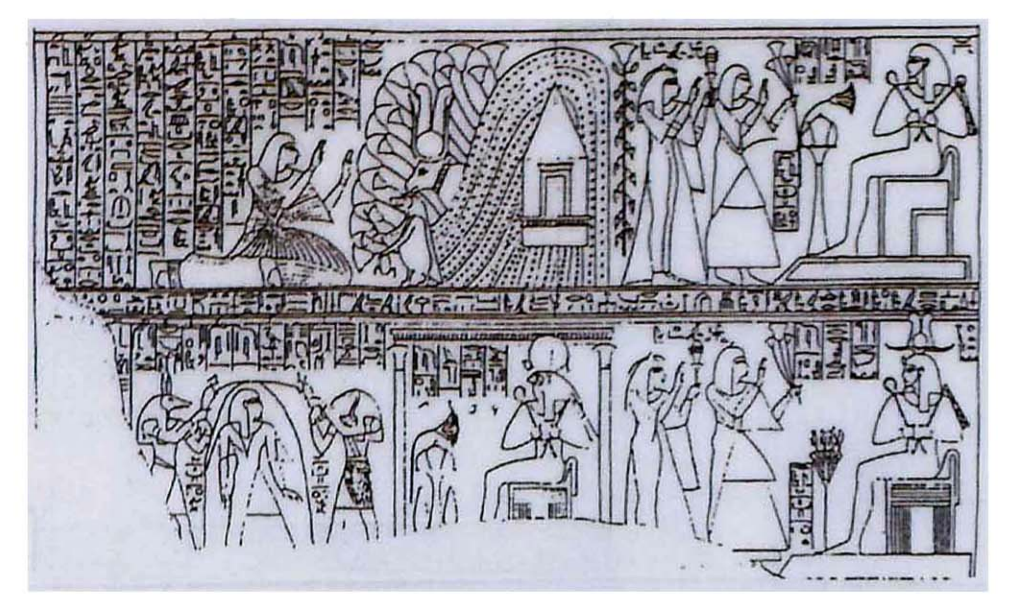
الجزء السفلى وهو (منظر مدمر) كان يمثل الحقول الفردوسية وبنوت وتاخا فى مركب فى إحدى القنوات المائية ثم وهما يتعبدان لحورآختى بينما (أتوم) إله الخلق و(خبر) إله البعث يحصدان فى الحقول السماوية.



عرش أوزوريس – التحنيط – حقول الفردوس

♦ فى (٤) الجزء العلوى منظر لبنوت وتاخا أمام خبر وهو (منظر مدمر).

ثم منظر لبنوت راكعا أمام حتحور التى تبدو فى صورة بقرة خارجة من الجبل الغربى بينما الإلهة (تاورت) على هيئة فرس النهر تحمل بيد جعلا وباليد الأخرى تحمل صولجان وهذا المنظر موجود.



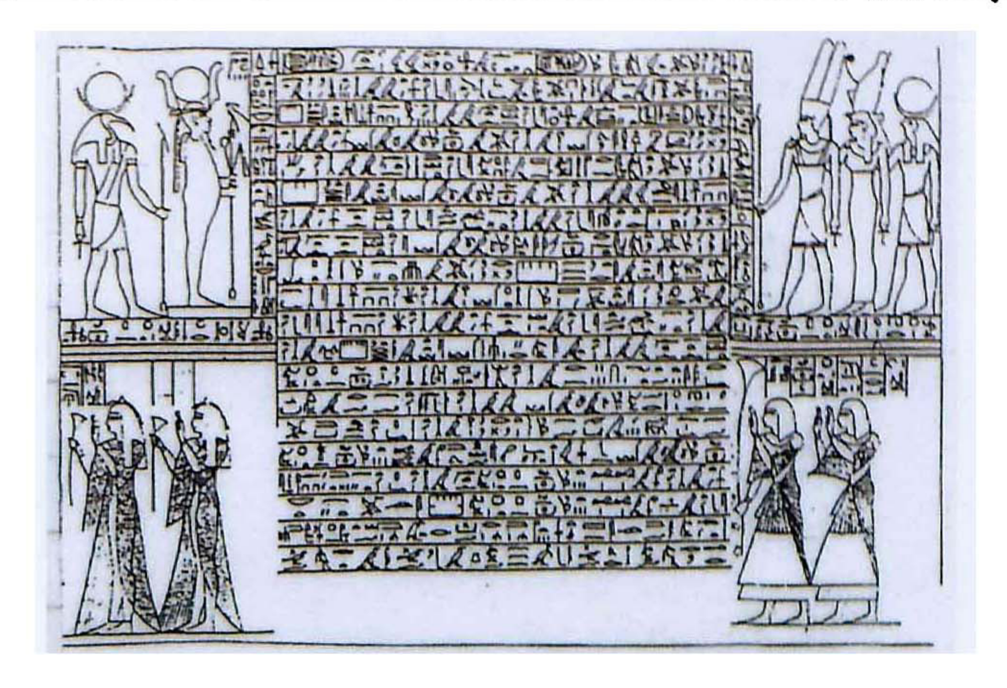
مناظر حتحور – تاورت – التطهير

الجزء الأسفل أنوبيس وتحوت يطهران بنوت أمام رع حرآختى. وهو منظر موجود. ثم منظر لبنوت وزوجته واقفان أمام [بتاح سوكر] وهو [منظر مدمر].

- فى [٥ – ٦] إلى يمين المدخل يوجد نص مهم فى حياته يتحدث عن إشرافه على إقامة وتكريس تمثال للملك رمسيس السادس فى معبد حورس فى ميعام. ثم يتحدث عن الأراضى التى حولها بنوت إلى مخازن ومساكن لإقامة الكهنة واستراحات لاستقبال الزائرين وتخزين القرابين وقد كافأه الملك بإنائين من الفضة وكان بنوت يعتبر هذا الحدث الأهم فى حياته مما جعله يأخذ هذه المساحة من المقبرة.

وكان مصاحبا للنص مناظر مرتبطة به منها منظر علوى لرمسيس السادس يتحدث إلى حاكم كوش عن بنوت ثم منظر لهذا الحاكم ومعه موظف آخر وهم يتعبدون لتمثال الملك وهذه [المناظر مدمرة].

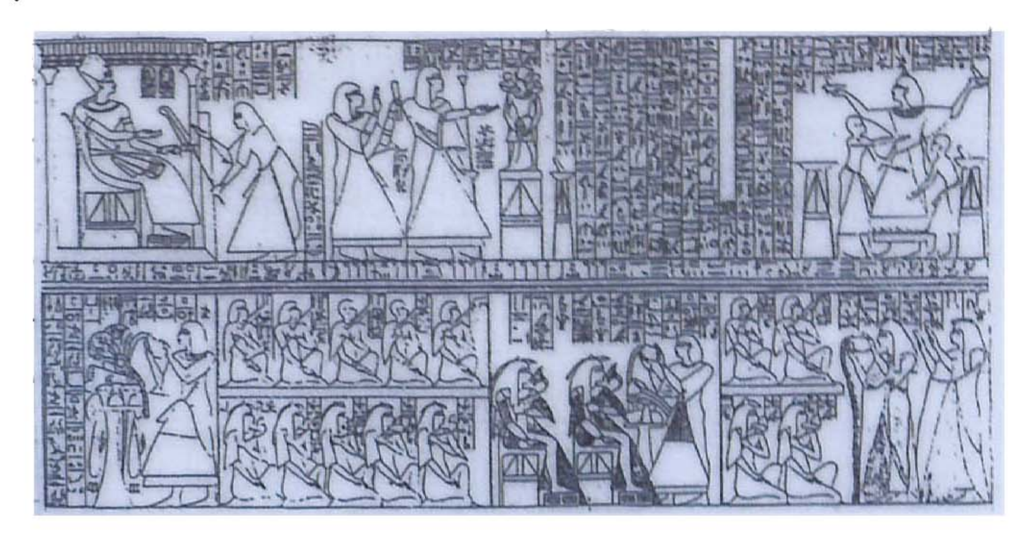
ثم منظر لبنوت والخدم يساعدونه فى ارتداء ملابسه استعدادا لهذه المناسبة وهذا المنظر موجود. بينما للأسفل كان هناك منظرا يمثل إحتفال عائلته بتلك المناسبة.



النص الذى يتحدث فيه بنوت عن نفسه

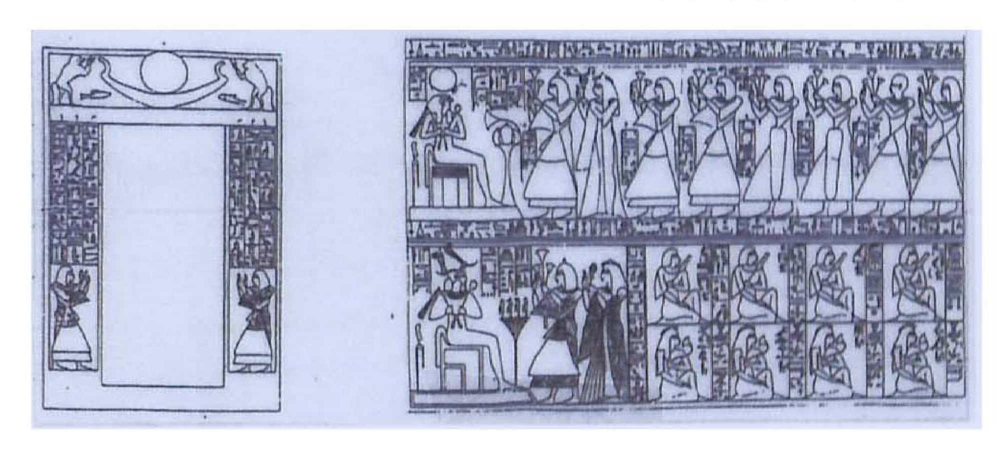
♦ فى [٧] المنظر العلوى لبنوت وزوجته وأبنائهما الستة واقفين أمام رع حور آختى وهو منظر موجود.

فى [٨] فوق مدخل المشكاة منظر لقرص الشمس فى مركب الإله رع يحيط بها قردين يتعبدان للشمس وهذا المنظر موجود.



بنوت وحاكم كوش (أعلى) – احتفال عائلته (أسفل) .

♦ المشكاة [٩] كان بها ثلاث تماثيل ولكنها وجدت مدمرة والجزء الوحيد الباقى من التمثال الأوسط برأس البقرة.



بنوت وأبنائه



مناظر مقبرة بنوت حاليا

الفصل الرابع

قلعة (قصر) إبريم

▪ قصر إبريم

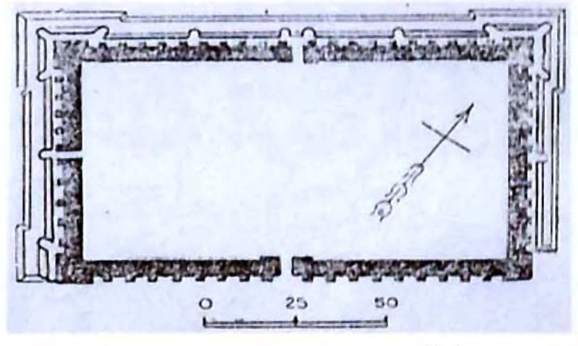
• الموقع والتاريخ (شكل ٩)

♦ تقع جزيرة قصر إبريم حاليا على بعد ٥٠ كم شمال أبى سمبل و٢٣٥ كم جنوب أسوان وهى المكان الوحيد الأصلى الذى لم ينقل من مكانه. قبل بناء السد العالى كانت هناك على الضفة الشرقية للنيل ثلاث مرتفعات تبرز عن مستوى الضفة وتقترب من النهر وكانت على قمة التل الأوسط منهم تقع هذه القلعة والتى كانت تبلغ مساحتها حوالى خمسة أفدنة. وكانت حتى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بها العديد من المنازل المدمرة.

ولأنها كانت تقع إلى الجنوب من قرية [عنيبة] والتى كان اسمها القديم [ميعام] فقد كانت تسمى قلعة عنيبة. أما الاسم الحالى لقصر [إبريم] فهو مشتق من اسم مروى قديم [بيديم] والذى أصبح [بريميس] فيما بعد وتحرف إلى [فريم] فى اللغة القبطية حتى أصبح [إبريم] فى العصور الوسطى.

♦ كان ارتفاعها يقارب سبعين مترا غرق معظمها فى بحيرة ناصر. وقد كانت المصدر الأهم للكثير من المعلومات عن تاريخ النوبة فى مختلف العصور.

فى سفح الجبل كانت هناك خمسة مقاصير منحوتة ترجع للأسرتين ١٨ - ١٩ من الدولة الحديثة وقد تم إنقاذهم ونقل أربعة منهم إلى وادى السبوع وتم إعادة بناء الخامسة فى متحف النوبة بأسوان.



شكل (٩) رسم تخطيطى لقلعة إبريم أو عنيبة

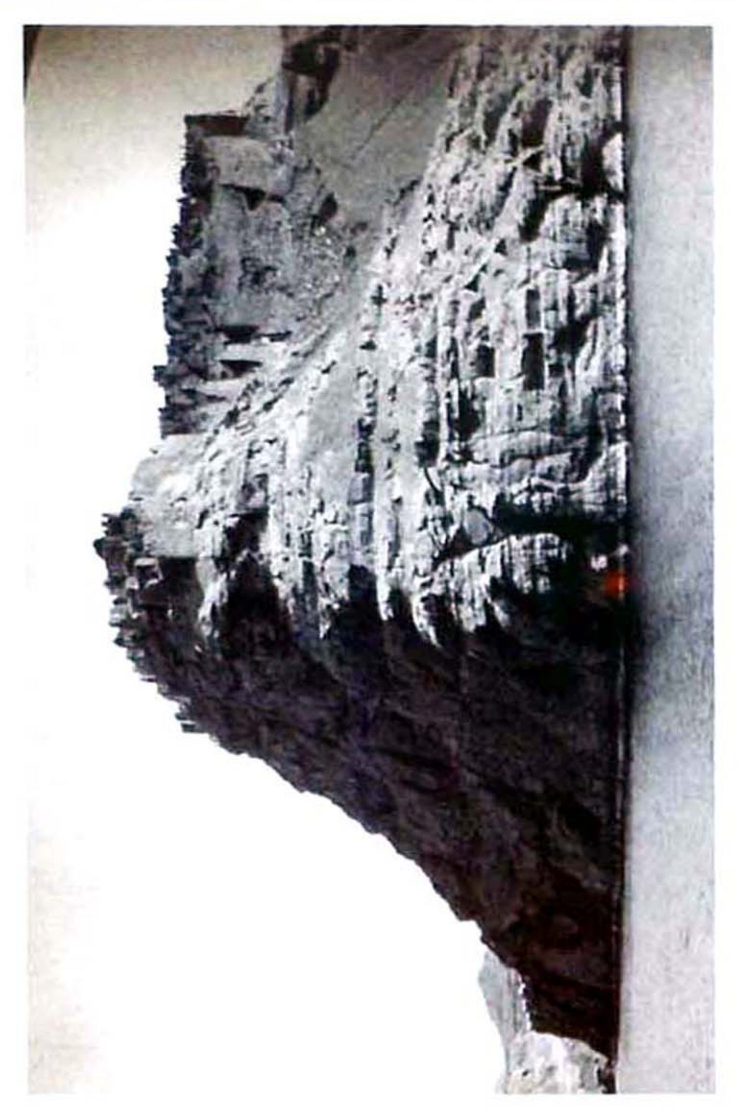
♦ يعتقد أن أول بناء فيها كان قلعة من الطوب اللبن يرجع للدولة الوسطى مثل القلاع التى تم بناؤها بعد ضم النوبة السفلى لمصر وقد زادت أهميتها فى الدولة الحديثة [١٥٧٠ – ١٠٧٠ ق.م] لوقوعها قرب قرية ميعام.

أما أقدم المبانى التى تم الكشف عنها فهى معبد من الطوب اللبن يرجع لعصر [طهرقا] ملك مصر النوبى من الأسرة ٢٥ [٦٩٠ – ٦٦٤ ق.م]. وقد كان هذا المعبد مستخدما لمدة تزيد عن ألف عام حتى تم تحويله إلى كنيسة.

♦ فى العصر اليونانى فى القرن الثانى ق.م تم بناء أول قلعة حصينة بشكل جيد وقد أصبحت فيما بعد من آخر معاقل الديانة القديمة عند بدء انتشار الديانة المسيحية ثم أصبحت مركزا للمسيحية عند بدء انتشار الإسلام فى النوبة ومعظم المعلومات المتوافرة عنها تعود للعصر اليونانى.

كان أول ذكر لها تحت اسم [بريميس] ما ذكره المؤرخ اليونانى [سترابو] فى أحداث عام ٢٣ ق.م عندما هاجمت الملكة النوبية [كانداكى أو كانديس] بجيشها الذى بلغ ٣٠ ألف رجل أسوان وجزيرة إلفنتين ولكن تم طردهم على يد الحاكم الرومانى [بترونيوس]. فلجأت الملكة بعد هزيمتها فى [الدكا] إلى قلعة إبريم حتى هاجمهم هناك واستولى على القلعة وترك حامية بها قوامها ٤٠٠ رجل لمدة سنتين وهى الفترة التى بنى فيها الرومان معبدا.

كلمة [كانداكى] باللغة المروية تعنى ملكة لذلك فربما بطلة هذه القصة هى نفسها التى ذكرت فى بعض المصادر باسم [أمانيريناس].



قصر إبريم قبل بناء السد العالى

♦ فى عام ٢١ ق.م عاد النوبيون لمهاجمة القلعة مرة أخرى حتى تم توقيع هدنة بين الإمبراطور الرومانى [أغسطس] وبين المرويين تم على إثرها انسحاب الحامية الرومانية وتم تثبيت حدودهم شمالا فى المحرقة.

بعد هذا الإنسحاب عاشت إبريم فترة مزدهرة حيث أعيد بناء معبد طهرقا وتم بناء ستة معابد أخرى وأصبحت مركزا تجاريا ودينيا ووفد إليها الكثيرون من شمال وغرب [كوش] وأحضروا معهم لغة جديدة ربما هى إحدى اللهجات التى يتحدثها النوبيون اليوم كما قصدت كمركز للعلاج مثل معابد إدفو وكوم امبو وكلابشة.

لقد سقطت المملكة المروية فى منتصف القرن الرابع الميلادى ولكن إبريم لم تتأثر وظلت مزدهرة وأدخلت بها بعض الصناعات مثل [الخشب – الخزف – الجلود – القطن – الخمور].

- ثم بدأ قدوم البليميين والنوباديين إليها واستمرت الديانة القديمة وبنيت معابد أخرى لإيزيس حتى بعد إعلان [ثيوديوسوس] الرومانى المسيحية كديانة رسمية فى مصر. ويعتقد أن إبريم بدأت تتحول للمسيحية فى نفس الوقت مثل [فيلة] بعد إغلاق فيلة فى عام ٥٣٦م على يد [جستنيان] ثم تم تدمير معبد إيزيس وتحويل معبد طهرقا لكنيسة.
- فى القرن السابع الميلادى تم بناء كنيسة السيدة العذراء مريم على أعلى جزء من القلعة وكانت المساحة بين الكنيستين تستخدم مقرا للزوار والحجاج. وتم بناء مكان آخر للمنازل فى مستوى منخفض وتم إزالة بيوت كثيرة كانت تقع داخل أسوار القلعة.

بعد دخول الإسلام مصر تم توقيع معاهدة [البقط] بين المسلمين والنوبة المسيحية والتى استمرت حتى عام ١١٧٢م حينما هاجم [توران شاه] فى عهد الدولة الأيوبية إبريم والتى كانت آنذاك مقرا لملك النوبة المسيحى.

- بدأت الإضطرابات بين المماليك والنوبيين فى القرنين ١٣ – ١٤م ولكن إبريم استمرت مركزا للمسيحية فى النوبة السفلى.

فى القرن ١٥م مع انهيار ممالك النوبة هجر كثير من سكان القلعة بيوتهم ولجأوا لأماكن أكثر أمنا والذين بقوا تحولوا للإسلام.

- عند غزو العثمانيين لمصر عام ١٥١٧م وللنوبة فيما بعد فقد جاءت حامية بوسنية ١٥٢٨م إلى إبريم وتركوا هناك فتحول كل سكان إبريم للإسلام وهجرت الكنائس الصغيرة وتحولت فيما بعد لمنازل وتم استخدام جزء من الكاتدرائية هناك كمسجد.

وبعد ذلك بدأت فترة جديدة من الإزدهار لإبريم استمرت طوال القرن ١٧م (راجع حكم الكُشّاف للنوبة فى الجزء الخاص بتاريخ النوبة)

فى ١٨١١م تواجدت أجيال جديدة وهى مزيج من النوبيين والبوسنيين وقد طردوا من إبريم على يد المماليك الفارين من محمد على باشا بعد مذبحة القلعة. فقد فر عدد غير قليل منهم إلى النوبة واستولوا على إبريم ولم يستمر مقامهم بها طويلا حيث تم طردهم منها بعد شهور قليلة على يد إبراهيم ابن محمد على باشا ومن بعد ذلك هجرت إبريم.

- أهم ما وجد فى إبريم عدد كبير من القطع الفنية من مختلف العصور وعدد من الوثائق من كل اللغات [اليونانية – القبطية – المروية – النوبية – العربية – التركية] ووجد خطاب يتحدث عن [سيلكو] ملك النوباديين.
- أهم ما يمكن رؤيته الآن هو الكنيسة أو الكاتدرائية والتى تعود للقرن السابع أو الثامن الميلادى. ويوجد بقايا المبانى اليونانية الرومانية من الطوب اللبن.

تحت الكنيسة كانت هناك غرف كثيرة وجد فى إحداها لوحة تعود لعصر [أمنحتب الأول]. كما وجد مدفن البطريرك النوبى [تيموتيوس] والذى دفن هناك ١٣٧٢م.

يعتقد أن سقف الكنيسة كان من الخشب الذى احترق ربما فى ١١٧٣ م.

كانت هناك بعثة بريطانية وقد توقفت الآن ولكنهم قد وجدوا مئات من القطع الجلدية والفخارية والصلبان ومنها ما هو موجود فى متحف النوبة أو المتحف البريطانى.

ومن العناصر المعمارية المميزة كانت مخازن المياه والتى كانت منحوتة فى الصخر وقد كانت المياه ترفع من النيل إلى القلعة ونحتت سلالم فى أحد الأجزاء الجانبية المنخفضة من القلعة لهذا الغرض.



قصر إبريم الآن

- أما المقاصير الخمسة التى كانت موجودة فى سفح الجبل فقد كانت مخصصة لحورس بأشكاله المختلفة وبعض الآلهة الأخرى مثل [ساتت - خنوم - حتحور]. وقد كانت من الجنوب للشمال كالآتى:

المقصورة الأولى وهى التى نقلت لمتحف النوبة بأسوان تخص [أوسر ساتت] حاكم كوش فى عهد امنحتب الثانى [١٤٢٣ - ١٤١٩ ق.م]

المقصورة الثانية من عصر تحتمس الثالث.

المقصورة الثالثة من عصر رمسيس الثانى.

المقصورة الرابعة من عصر تحتمس الثالث.

المقصورة الخامسة غير معروفة لعدم وجود نقوش بها.

وقد قطعت أربعة منها وأخذت إلى وادى السبوع حيث أعد مكان هناك لإعادة بنائها.

الفصل الخامس

أبو سمبل

▪ الموقع والتاريخ

♦ يقع معبدا أبى سمبل على بعد ٢٨٠ كم جنوب أسوان وقد نُحتا فى الصخر فى واجهة ربوتين من الحجر الرملى الوردى وقد كانت الربوتان منحدرتان إلى ضفة النهر وكان المعبدان ينفصلان عن بعضهما البعض بواسطة وادى ضيق يتدفق منه شلال دائم من الرمال وهما يعودان لعصر رمسيس الثانى من الأسرة ١٩.

♦ المكتشف السويسرى [بيرخاردت أو بيركهارت] أول من لفت الأنظار إلي المعبد الكبير ١٨١٢م ولكنه لم يستطع سوى رؤية رأس أحد التماثيل الضخمة فوق الرمال التى كانت تغطى البوابة والواجهة التى فوقها وكان تمثال [رع حور آختى] فوق الباب مطمورا حتى الرقبة.

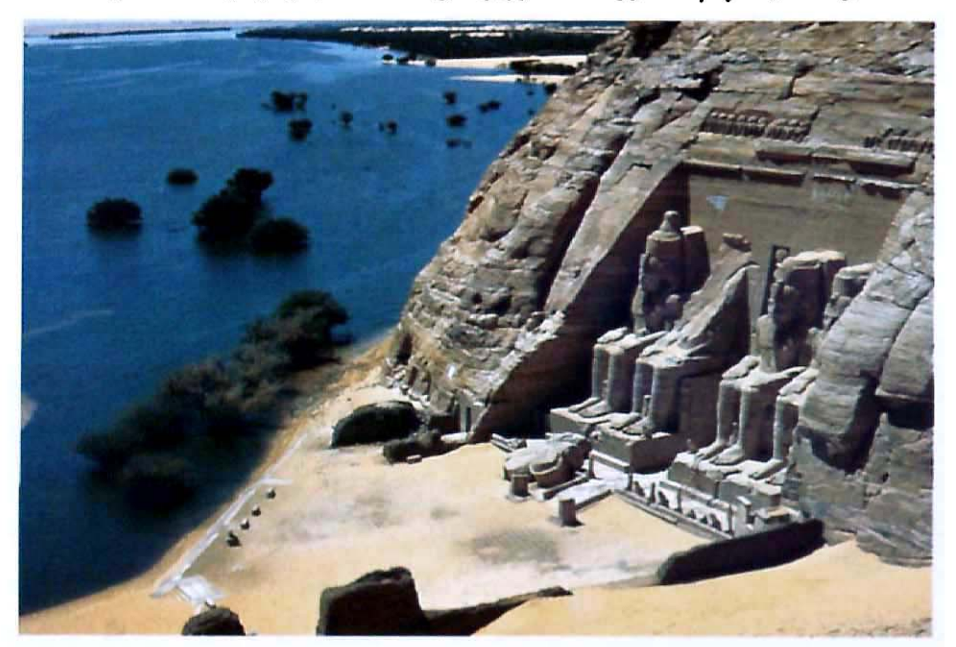
ثم جاء بعده الإيطالى [بلزونى] وهو الذى نجح فى إزالة بعض من الرمال أعلى الباب لتسهيل دخوله إلى الغرف الداخلية.



المعبد الكبير تغطيه الرمال

• منذ ذلك الوقت جرى تطهير المعبد عدة مرات عل يد [البسيوس] أثناء بعثته الكبيرة التى قام بها فى سنوات ١٨٤٢ – ١٨٤٥ م. وعلى يد [ماريت] ١٨٦٩ م. وأخيرا على يد [باراسانتى] ١٩١٠م الذى قام بحماية المعبد من الرمال ببناء سور عالى فوق الهضبة التى يبدأ منها تدفق الرمال.

• يعتقد أن هذه المنطقة ومنذ الدولة القديمة أو الوسطى كانت قد اكتسبت بعض الأهمية الدينية من كونها مقرا للإلهة [حتحور أبشيك] إلهة التلال الغربية وهى إحدى الأشكال المحلية للإلهة المعروفة حتحور والتى كانت البقرة رمزها المقدس.



المعبد الكبير فى مكانه الأصلى

• يرتبط تاريخ المعبدين بأحداث معركة قادش التى سبق الحديث عنها والتى تعود للعام الخامس من حكم رمسيس الثانى فحينما عاد من المعركة ومعه الأسرى والغنائم رأى أن بطولته فى قادش والنصر الذى انتزعه من براثن الهزيمة يستحق أن يسجل ويخلد بالنقوش فأمر كبار كتابه وفنانيه بتصميم هذه الملحمة قبل تنفيذها على الجدران واتجهت عيناه هذه المرة نحو النوبة فاختار هذا المكان المقدس وتلك

الربوتين لنحت هذين المعبدين وقد كرس المعبد الكبير كمعبد تذكارى لرمسيس فى النوبة تحت رعاية الإله أمون رع وقد تحول أثناء التشييد إلى ديانة رع حور آختى أكثر من انتمائه لأمون ومن المحتمل أن تكون سفينة رمسيس الثانى المحمولة قد حفظت فى مقصورة أمام تماثيل آلهة الإمبراطورية ابتاح – رع – آمون – رمسيس المؤله] المنحوتة فى الصخر فى قدس الأقداس. وبذلك أصبح معبد أبى سمبل أكبر معابد رمسيس الثانى التذكارية بالنوبة بعد تصعيد رمسيس الثانى ليصبح أحد مظاهر الإله رع إله الشمس.

- أما المعبد الصغير فقد كرس لعبادة الإلهة [حتحور أبشيك] باسم الملكة نفرتارى وفيه يخيم الجو العائلى خاصة على التماثيل التى تتكون منها الواجهة.
- وقد ترك منفذو هذين المشروعين التوأم بصماتهم للأجيال التالية منوهين بعملهم الضخم. فقد صور [أيونى] نائب الملك فى النوبة ومدير المشروع التنفيذى المقيم مشهدا لنفسه وهو واقف أمام الملك شمال المعبد الصغير تنويها باشتراكه فى العمل وقد كان هذ آخر أعماله الكبيرة.

ثم تم تعيين [حقا نخت] بعده نائبا للملك فى النوبة ليكمل المشروع وكان الرجل الثانى على المستوى التنفيذى للمشروع هو [عشا حبسد] وهو من أتباع الملك المخلصين وكان لقبه الأول هو ساقى الملك ثم ترقى ليصبح كبير السقاة وتسمى باسم [رمسيس عشا حبسد] وما إن وصل للموقع حتى وجه نشاطه للإجراءات اللازمة للبدء فى تشييد المعبد الكبير وقد ترك لنا بطاقته فى نقش بارز يبدو فيه واقفا أمام الفرعون وبصحبته نص [انظر إن ذهن الملك متيقظ لتحين اللحظة المناسبة لتقديم القرابين لأبيه الإله حورس إله [ماها] فى الحقيقة ليبنى له معبدا يعيش ملايين السنيين ويقوم بتنفيذه قوة من العمال قوامها الأسرى الذين طالتهم ذراعه القوية من كل البلاد الأجنبية.] إذن فإن أيونى هو الذى بدأ العمل ثم أعقبه حقا نخت الذى اكتمل العمل على يديه وغالبا قد شهد الإفتتاح فى العام ٢٤ من حكم رمسيس أى أن العمل فى المعبدين قد استغرق ما يقرب من عشرين عاما.

ثم تولى منصب نائب الملك فى النوبة [باسر] من العام ٢٥ إلى العام ٣٤ من حكم الملك.

- وفى العام ٣١ أى بعد حوالى ست سنوات من افتتاح المعبدين حدث زلزال كبير دمر أجزاء كبيرة من المعبد الكبير شملت [تصدع بعض الأعمدة الكبيرة داخل المعبد – تحطم العمود الثانى بالجناح الشمالى والتمثال الملكى الملاصق له – تحطم عضادة

بوابة الدخول الرئيسية – انفصال الذراع الجنوبى للتمثال الضخم شمال المدخل – وأسوأ الأضرار سقوط النصف الأعلى من التمثال جنوب المدخل محدثا دويا هائلا سمع على بعد أميال وسقط منه الرأس والكتفان والجذع ورقدت هذه الأجزاء فى الرمال أمام الواجهة].

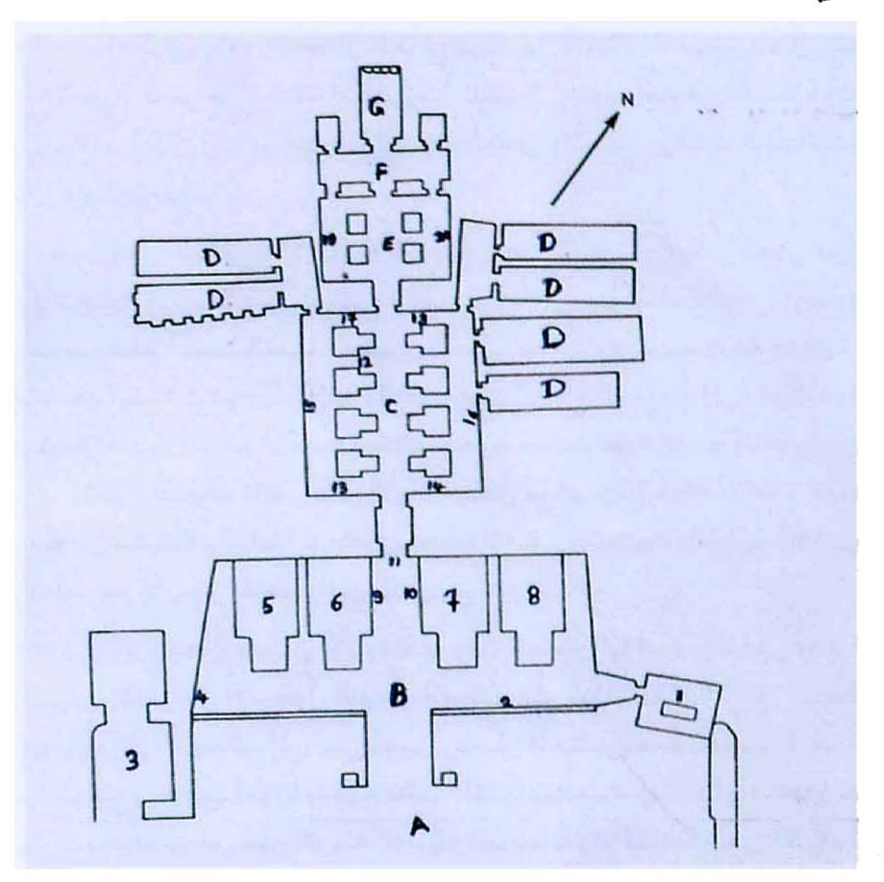
ولم يقف [باسر] مكتوف الأيدى حيال هذه الكارثة بل شرع على الفور فى أعمال الترميم والتجديد وعندما قاربت جهوده على النجاح راسل الملك ليبلغه بذلك. وشملت أعمال الترميم دعم أعمدة القاعة الكبرى بالطوب وقد أتاح ذلك سطحا كافيا نقشت عليه فيما بعد ابتهالات موجهة للإله [بتاح] وأعيد الذراع الجنوبى إلى مكانه بالتمثال الضخم شمال المدخل ثم تم تدعيمه بكتلة حجرية نقشت عليه ألقاب الملك ولم يبق بعد ذلك سوى التمثال الضخم الملقى على الأرض وكل ما استطاع عمله له هو تنظيفه حيث هو فى مكان سقوطه وتخليدا لذكرى مجهوداته فى التجديد والترميم اختص نفسه بتمثال صغير هو الآن فى المتحف البريطانى.

♦ كانت نفرتارى زوجة رمسيس الأثيرة لديه وقد خصص لها أحد المعبدين وقد اتجهت مع رمسيس الثانى فى الأسطول النهرى الملكى فى شتاء العام ٢٤ من حكمه نحو طيبة ومنها إلى النوبة ثم إلى أبى سمبل وكان الحشد يضم بجانب الملك وزوجته ابنتهما الكبرى [مريت أمون] ومعهم نائب الملك حقانخت. يعتقد أن الملكة نفرتارى قد تأثرت وأنهكت من هذه الرحلة الطويلة فمرضت ولم تتمكن من القيام بدورها فى الطقوس الدينية وحلت محلها الأميرة مريت أمون وظلت نفرتارى فى رعاية أطبائها. وكان هذا آخر العهد بنفرتارى فلم تشاهد بعد ذلك أبدا وربما تكون قد توفيت بالفعل فى العام ٢٤ من حكم زوجها وهى سنة الافتتاح أو بعدها بقليل.

▪ **المعبد الكبير شكل [١٠]**

♦ نحت المعبد الكبير بعمق ٤٨ متر داخل الصخر وقد خصص لعبادة الآلهة [آمون رع – رع حور آختى – رمسيس الملك المؤله – بتاح].

يبدأ المعبد بفناء[A] يحده من الشمال والجنوب جداران أعيد بناؤهما من الطوب اللبن خاصة الشمالى منه لإعادة بناء البوابة الحجرية التى تؤدى إلى المعبد الصغير.



شكل (١٠) رسم تخطيطى للمعبد الكبير

♦ أمام واجهة المعبد يوجد تراس صغير[B] فى نهايته الشمالية [١] مقصورة مخصصة للإله رع حور آختى. ثم مجموعة تماثيل للصقور وللملك [٢]. فى جنوب التراس توجد مقصورة للإله تحوت [٣] كما توجد اللوحة الشهيرة [٤] التى تتحدث عن زواج الملك فى العام ٣٤ من حكمه من ابنة الملك الحيثى [هاتوسيل] كطريق لتوثيق الأواصر السياسية بين البلاطين الملكيين. وجاء هذا الزواج تتويجا للتحالف الذى قام بينهما بعد توقيع اتفاقية السلام بينهما فى العام ٢١ من حكم رمسيس. وللتوصل لهذا التوقيع كان هناك ما يزيد عن عامين من المفاوضات بين السياسيين من الجانبين. وكان أهم ما تم الاتفاق عليه [أن يتنازل رمسيس عن قادش وأمورو مقابل ضمان

مصر لحقوقها فى الهيمنة على المرافىء الفينيقية كما أن ما كان مصريا فى سوريا سيظل مصريا — عدم الاعتداء من أحد الطرفين على الآخر — الدفاع المشترك ضد أى طرف ثالث يحاول الهجوم على أحد طرفى المعاهدة — تأمين حقوق تولية العرش فى الدولتين — التعهد بتسليم الفارين واللاجئين لبلدهم الأصلى على أن يلقوا المعاملة الإنسانية اللائقة] وترجمت النسخة المصرية ونقشت على جدران معبد الرمسيوم وكتبت نسخ أخرى على لفائف البردى.

ويتحدث النص فى معبد أبى سمبل عن رحلة الأميرة السورية فى الشتاء إلى الأراضى المصرية وصلوات الملك للآلهة أن يهبوا لها رحلة طيبة وطقس طيب ثم استقبال الأميرة بما يليق بها بمجرد دخولها إلى حدود مصر.

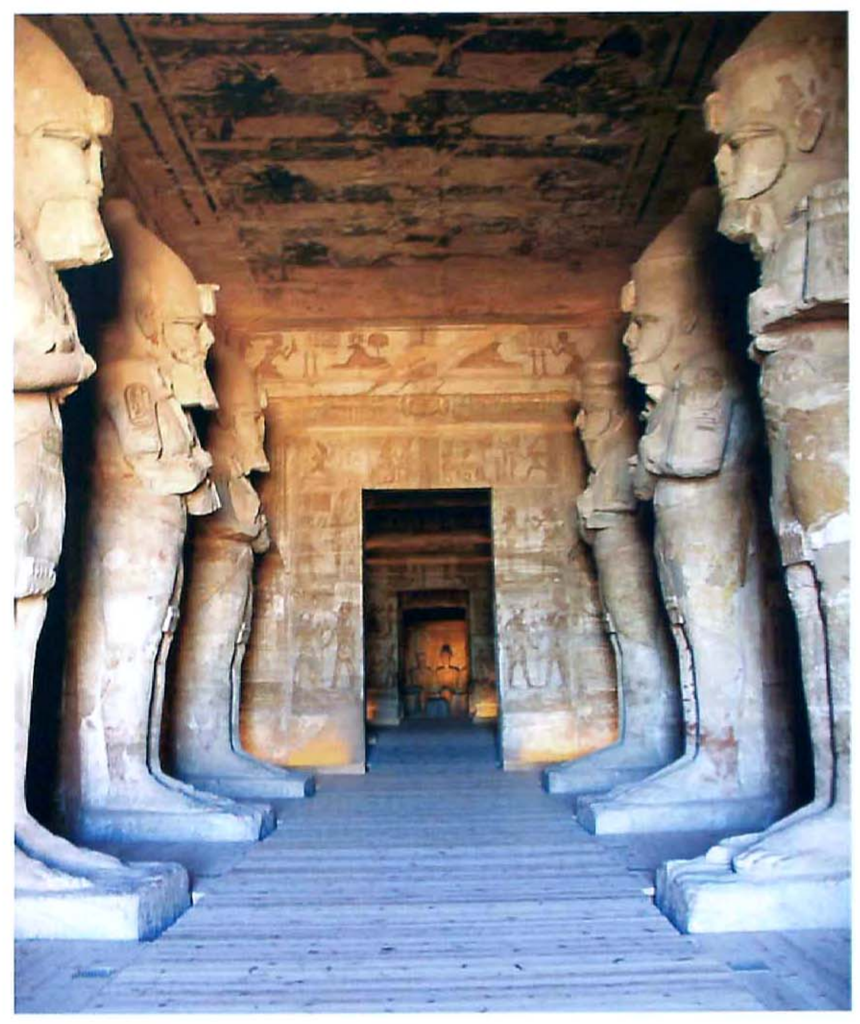
♦ واجهة المعبد منحوتة على شكل صرح وهى تتكون من أربع تماثيل عملاقة لرمسيس الثانى جالسا ويرتدى غطاء الرأس [النمس] والتاج المزدوج ويبلغ عرض الواجهة ٣٨ متر وارتفاعها ١٣ متر ويقف بين أقدام التماثيل العملاقة تماثيل صغيرة مجموعة من العائلة الملكية وهم من الجنوب للشمال من ٥ إلى ٨ [الأميرة نبت تاوى — الأميرة بنت عنات — شخصية غير معروفة ربما الملكة إيزيس نفرت — الملكة الأم موت تويا — الملكة نفرتارى — الأمير أمون حر خبشف — الملكة نفرتارى — الأمير رمسيس — الأميرة بيكيت أمون — الملكة الأم موت تويا — الأميرة مريت أمون — الملكة نفرتارى].

♦ أما تماثيل رمسيس العملاقة فكل منها له لقبه الخاص المنقوش على الكتف وهى كالآتى [٥ شمس الملوك — ٦ ملك الأرضين — ٧ محبوب آمون — ٨ محبوب أتوم]. وعلى قاعدة كل تمثال نقشت ألقاب الملك. وعلى جانبى مدخل المعبد آلهة النيل مرسومة تربط العلامة المصرية القديمة [سما تاوى] التى تشير إلى توحيد الأرضين مصر العليا والسفلى. ثم مناظر الأعداء الأفارقة جنوب المدخل [٩] والسوريين والليبيين شمال المدخل [١٠].

♦ وتوجد كثير من النقوش اليدوية على التماثيل جنوب المدخل منها النقش الموجود أسفل ركبة التمثال المدمر [٦] وهو نقش يونانى تركه بعض المرتزقة اليونانيون أثناء إحدى الحملات التى شنها [بسماتيك الثانى ٥٩٣ ق.م] ضد النوبة والتى كانت تحت قيادة [أماسيس].

♦ أعلى مدخل المعبد يوجد تمثال للإله رع حور آختى [١١] وأعلى الواجهة توجد مجموعة من ٢٢ قرد وهم يرفعون مخالبهم لتحية إله الشمس. تحت القردة نجد نقش من سطرين الأول يتكون من خراطيش الملك والثانى يذكر أسماء الملك وهى تسير فى

اتجاه متقابل من المنتصف ليعيش حورس – ثور الحق القوى المحبوب – ملك مصر العليا والسفلى – قوى فى العدل هو رع – الذى اختاره رع – ابن الإله رع – رمسيس محبوب آمون].



المعبد الكبير من الداخل

♦ الصالة الأولى [C] ويبلغ طول هذه الصالة ١٨ متر وعرضها ١٦.٧ متر وبها ٨ أعمدة مربعة يتقدم كلا منها تمثال أوزيرى للملك وهو يرتدى التنورة القصيرة ويداه

تمسكان الرموز الملكية المعتادة (الخطاف والسوط أو المذبة). فى الجهة الشمالية يرتدى التاج المزدوج وفى الجهة الجنوبية يرتدى تاج مصر العليا الأبيض. على جوانب الأعمدة كثير من المناظر للملك وأحيانا نفرتارى أو الأميرة (بنت عنات) وهم يقدمون القرابين للآلهة المختلفة. بين آخر عمودين فى الجهة الجنوبية [١٢] توجد اللوحة التى تتحدث عن بناء معبد بتاح فى ممفيس والقرابين المقدمة له. سقف الصالة فى المنتصف مزين برسومات لأنثى العقاب الإلهة (نخبت) مع خراطيش الملك بينما فى الجوانب مزين برسومات للنجوم.

- أما مناظر الجدران فهى توضح النشاط الحربى لرمسيس منها على الجدار الشرقى المنظر التقليدى له وهو يضرب أعدائه أمام أمون [١٣] وتحته عدد من أبنائه الأمراء. ثم أمام رع [١٤] وتحته عدد من بناته الأميرات وتحت هذا المنظر يوجد نص من أربع أعمدة باللغة المصرية القديمة يخص النحات (مرى أمون بيا) ابن (خع نفر) قائلا إنه صاحب هذا العمل وهو توقيع نادر لفنان مصرى ولليسار منه يوجد نص آخر من عمودين يخص حامل القرابين (با نفر).



المعبدان فى موقعهما الجديد

- على الجدار الجنوبى [١٥] تظهر حملات الملك ضد الليبيين والسوريين والنوبيين. يبدأ المنظر من الشرق حيث يظهر فى عربته الحربية وهو يهاجم إحدى القلاع السورية

ويبدو ذراع الملك مزدوجا والقوس بيده مزدوجا ومن تفسيرات هذا المنظر أن الفنان أراد إعطاء الملك مزيد من الحيوية والحركة أو أن هذا تغيير فى تصميم المنظر. مع الملك ثلاثة من أبنائه وأحد الرعاة يفر من أمامه أسفل القلعة. المنظر التالى فى منتصف الجدار يظهر رمسيس يضرب أحد الليبيين بينما يطأ آخر بأقدامه ثم المنظر الأخير وهو فى عربته الحربية وهو يقدم مجموعة من الأسرى الليبيين أمام الآلهة الممثلين على الجدار المجاور ويظهر أسده بجواره. والآلهة هنا [١٧] هى أمون وموت ورمسيس المؤله ويظهر بوضوح تغيير التصميم فى المنظر ففى التصميم الأصلى كانت موت تجلس خلف أمون ولكن مع التعديل وإدخال صورة الملك تم تغيير وضع موت لتكون واقفة.

♦ الجدار الشمالى [١٦] مخصص بالكامل لمناظر معركة قادش. تبدأ من اليسار أو الغرب بوصول الجيش المصرى لمعسكره وهو منظر حيوى رائع حيث المعسكر تحيطه الدروع وتظهر به خيمة الملك التى توضحها الخراطيش ويظهر فى المعسكر إطعام الخيول – الجنود فى الراحة أو يعدون أسلحتهم – طبيب وهو يعالج أحد الجرحى – الخدم يحملون الماء – أسد الملك وأحد الجنود يعتنى به.



منظر المعسكر المصرى

♦ المنظر التالى مجلس رمسيس الحربى مع ضباطه وكبار موظفيه وأسفله يظهر الحرس الشخصى لرمسيس وهم من الشرادنة ومنظر الجاسوسين حينما كان يستجوبهما ضباط المخابرات المصريون.

ثم مناظر المعركة نفسها وبها عدد كبير من العجلات الحربية ورمسيس يقاتل فى عجلته الحربية والجرحى والقتلى يتساقطون وبعضهم يغرق فى النهر بخيولهم وتظهر قلعة قادش على النهر فى أعلى الجدار لليسار ويمين القلعة يظهر الملك فى عربته وهو يراقب عملية عد القتلى من السوريين عن طريق قطع الأيدى وعدها.

♦ يمين مدخل الصالة التالية [١٨] نراه يقدم الأسرى لرع ولرمسيس المؤله. توجد مداخل فى جدران الصالة تؤدى إلى الغرف الجانبية [D] والتى استخدمت كمخازن ربما للجزية النوبية وما يخص المعبودات وطقوس المعبد من أدوات وهى مزينة بنقوش دينية لرمسيس مع مختلف الآلهة وبعضها له أرفف منحوتة فى الصخر ويعتقد أنها كانت المكتبة الخاصة بالمعبد لتخزين لفائف البردى.

♦ الصالة التالية [E] بها أربعة أعمدة مربعة مزينة بمناظر دينية للملك وعلى الجدران نشاهد رمسيس ونفرتارى يقدمون القرابين للمركب المقدسة لأمون رع [١٩] ثم المركب المقدسة لرمسيس نفسه يحملها الكهنة [٢٠] وعلى الجداران الشرقى والغربى نراه أمام آلهة أخرى وهناك تغييرات فى تصميم بعض هذه المناظر.

♦ فى نهاية الصالة هناك ثلاثة أبواب تؤدى إلى ردهة [F] يواجه منتصفها قدس الأقداس [G] الذى يحيط به غرفتان صغيرتان خاليتان من النقوش. فى نهاية قدس الأقداس توجد أربعة تماثيل منحوتة فى الصخر وهى من اليمين لرع حورآختى – رمسيس المؤله – أمون رع – بتاح] وهى بحالة جيدة باستثناء الوجوه مدمرة بعض الشىء وبتاح رأسه مدمرة وأمام التماثيل توجد قاعدة ربما كانت للمركب المقدسة لرمسيس.

مرتين فى العام يوم ٢١ فبراير ويوم ٢١ أكتوبر كانت أشعة الشمس تخترق المعبد عند الشروق وتتجه مباشرة لقدس الأقداس وتضىء أوجه التماثيل عدا وجه بتاح الذى كانت إحدى صفاته أنه الإله الأول الخالق الذى خرج من محيط الماء الأزلى الذى يغمره الظلام فارتبط بهذه الصفة [الظلام].

بعد نقل المعبدين تحدث نفس الظاهرة ولكن فى يومي ٢٢ فبراير و٢٢ أكتوبر.

♦ ولا توجد أى وثائق أو أدلة تذكر أى شىء عن ارتباط هذين اليومين بمناسبات معينة

مثل ميلاد رمسيس أو توليه العرش. لذلك من غير المؤكد إن كانت هذه مجرد ظاهرة فلكية عرضية أو كانت جزءا من عبقرية النحاتين والفلكيين المصريين. وهناك آراء كثيرة تحاول تفسير الظاهرة منها (ربما يرتبط أحد اليومين بالإحتفالات التى كان يتوجه فيها موكب إيزيس من أبى سمبل حتى فيلة مرورا بكل معابد النوبة السفلى وربما واكب ذلك انتهاء الفيضان - وإذا تم تحديد يوم واحد لدخول الشمس إلى المعبد فإن اليوم الآخر لابد وأن يكون حتميا ولا اختيار فيه - أو ربما ارتبط أحد اليومين بمناسبة تخص رمسيس كانتصاره مثلا فى معركة قادش أو غيرها من المناسبات - أو ربما تخليدا لظاهرة فلكية كاحتفالهم بعيد الشمو مع بداية الربيع).



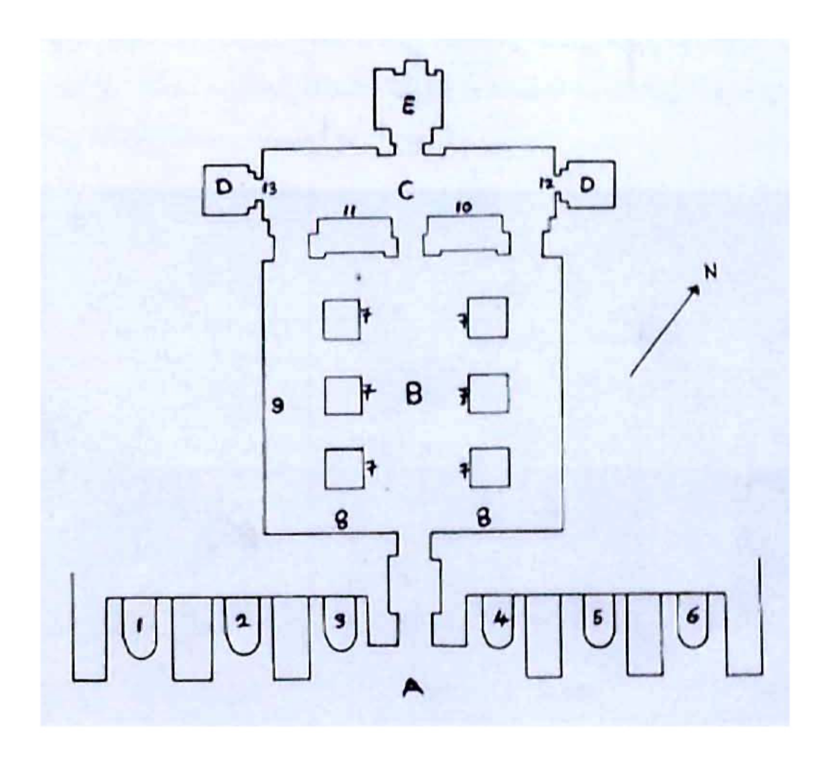
الأربعة تماثيل بقدس الأقداس

▪ **المعبد الصغير [شكل ١١]**

◆ على بعد حوالى ١٠٠ متر شمال المعبد الكبير يقع المعبد الصغير أو معبد الملكة نفرتارى وهو مكرس لعبادة حتحور إلهة المرتفعات الغربية المسماة [أبشك] وهى إحدى صور حتحور إلهة الحب والجمال والموسيقى فى مصر القديمة. وقد نحت فى الصخر

باسم الملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى المفضلة.

♦ نفرتارى سيدة مصرية كانت تتمتع بالرشاقة والرقة والجمال ومنذ البداية لعبت دورا مهما فى حياة زوجها حيث كانت أقرب زوجاته إليه وقد تزوجها أثناء حياة والده عندما كان وليا للعهد وهى أم أكبر أولاده وهى التى رافقت رمسيس فى أول زيارة له لطيبة العاصمة بعد توليه العرش ومنذ بدء العام الثالث لحكمه بدأت ترسم بجواره فى معظم المناظر المحفورة فى المعابد وقد اختصت بأجمل المقابر فى وادى الملكات بالبر الغربى بطيبة.



شكل (١٤) رسم تخطيطى لمعبد نفرتارى

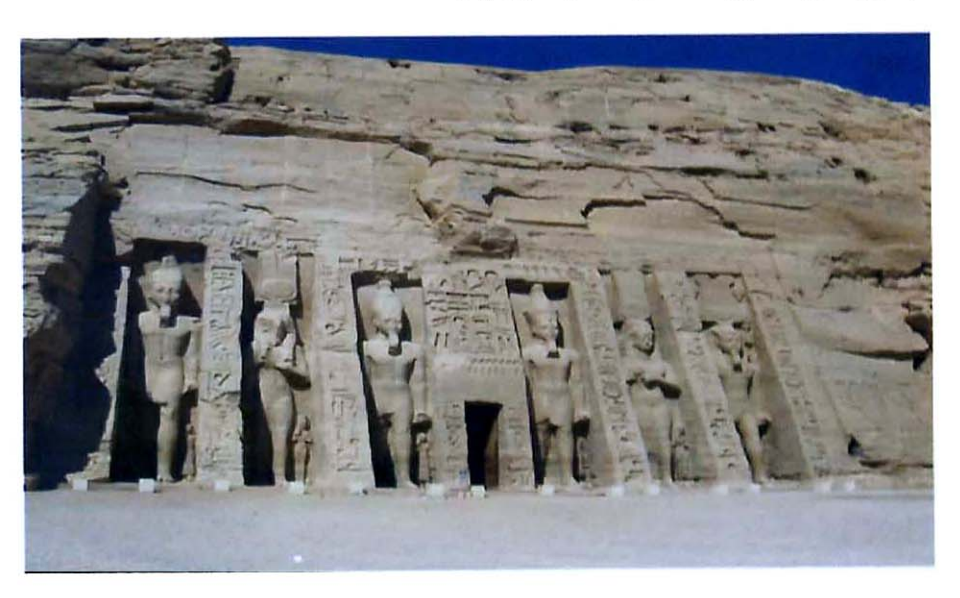
♦ يبدأ المعبد من الواجهة [A] التى تتكون من ستة تماثيل عملاقة للملك والملكة [١ – ٦] ويبلغ كل منها ١٠ متر ارتفاع ويحيط كل تمثال بروز الواجهة. وعلى الرغم من أنه معبد الملكة إلا أن هناك تمثالين فقط من الستة للملكة [٢ و٥] بينما باقى التماثيل

لرمسيس ولهم جميعا نفس الارتفاع.

تمثالا الملكة يحملا فوق الرأس الرموز الخاصة بحتحور المكونة من قرون البقرة يتوجه قرص الشمس وريشتان وتحمل بيدها الآلة الموسيقية الخاصة بحتحور [الشخليلة].

♦ تماثيل رمسيس عليها تيجان مختلفة وهى من الشمال للجنوب لتاج الأتف ٦ – التاج المزدوج ٤ – تاج مصر العليا ٣ – تاج مصر السفلى١].

♦ النص الذى يزين الواجهة به ألقاب تماثيل الملك مثل تلك الموجودة على واجهة المعبد الكبير [شمس الملوك – محبوب أتوم ٤ – ٦] لملك الأرضين – محبوب أمون ٣ – ١] وعلى الواجهة أيضا نص تأسيس المعبد لبنى رمسيس الثانى معبدا منحوت فى الصخر ليبقى راسخا إلى الأبد. من أجل الملكة نفرتارى محبوبة موت. فى النوبة دائما وأبدا. نفرتارى التى تشرق الشمس نفسها من أجلها.]



واجهة المعبد الصغير

♦ على جانبى التماثيل الكبيرة هناك مجموعة من التماثيل الصغيرة لأبناء وبنات رمسيس ونفرتارى وهى من اليسار لليمين من ١ إلى ٣ [الأمير مرى أتوم – الأمير مرى رع – الأميرة مريت أمون – الأميرة حنت تاوى – الأمير أمون حرخبشف – الأمير رع

حرونمف] ونفس التماثيل مكررة على الجانب الآخر من المدخل من ٤ إلى ٦.

♦ يلى الواجهة صالة الأعمدة الرئيسية [B] وبها ستة أعمدة حتحورية حيث نقش جوانبها المطلة على المدخل [٧] على شكل رأس حتحور تعلوها الآلة الموسيقية الخاصة بها بينما نقشت على الجوانب الأخرى مناظر دينية للملك مع الآلهة. الألوان المستخدمة ما تزال بحالة جيدة ويغلب عليها الأصفر – الأحمر – الأسود.

♦ خلف الواجهة [٨] توجد المناظر الحربية الوحيدة للملك أمام أمون لليسار ورع لليمين وهنا تظهر معه نفرتارى كما تظهر معه فى معظم المناظر الأخرى كما تظهر منفردة فى بعض المناظر أمام مختلف الآلهة.

طراز الفن فى المعبد الصغير يختلف عن المعبد الكبير فالمناظر أكثر رقة ويغلب عليها طابع الأنوثة على عكس الطبيعة الحربية التى غلبت على مناظر المعبد الكبير. فمثلا منظر الورود المقدمة للآلهة مكرر فى أكثر من موضع فى المعبد.

♦ من المناظر الجميلة والمميزة [٩] على الجدار الجنوبى يقوم كل من حورس إله [ماها] وست إله [نوبيت] أو [أومبوس] شمال أسوان بتتويج رمسيس وهى من المرات النادرة التى نرى فيها ست كإله حامى للفرعون وليس كإله للشر وهذا التغيير يرجع إلى حقيقة أن موطن عائلة رمسيس الأصلى هو شرق الدلتا وهو نفس مقر ست حتى أن اسم سيتى والد رمسيس يعنى [المنتمى للإله ست].

♦ ندخل بعد ذلك إلى الردهة [C] ومن أجمل ما نشاهده من مناظر [١١] حيث نرى نفرتارى تتوسط كلا من حتحور وإيزيس فى منظر التتويج ويظهر بوضوح مقدرة الفنان على إبراز الجسد المشوق للنساء الثلاثة.

فى [١٠] رمسيس ونفرتارى يقدمان الزهور للإلهة [تاورت] وهى تأخذ هنا شكل إمرأة تشبه حتحور من حيث غطاء الرأس ولكن يمكن التعرف عليها من اسمها. وهذه ليست الصورة التقليدية لها فهى تمثل باستمرار على شكل أنثى فرس النهر وهى الإلهة الحامية للحمل والولادة.

♦ للشمال والجنوب من الردهة توجد غرف صغيرة [D] خالية من النقوش وأعلى الباب المؤدى لكل غرفة توجد حتحور على شكل بقرة فى أحراش البردى بالدلتا ويتعبد أمامها الملك [١٢] أو الملكة [١٣].



المعبد الصغير (الأعمدة الحتحورية)

قدس الأقداس [E] فى نهايته تمثال لحتحور على شكل بقرة وأسفل ذقنها تمثال لرمسيس الثانى وعلى كل جانب الآلة الموسيقية الخاصة بحتحور [١٤].

من المناظر الهامة فى قدس الأقداس [١٥] رمسيس الثانى يحرق البخور ويسكب الماء المقدس أمام صورته المؤلهة وأمام نفرتارى وهذا يعنى أنها ربما قد ألهت معه فى هذا المعبد.

نلاحظ أن التمثال لا يوجد فى منتصف المعبد تماما ولكن إلى اليمين قليلا وأن محور المعبد ليس مستقيم تماما وربما يرجع ذلك لسوء حالة الصخور التى نحت منها المعبد.

▪ اللوحات الخارجية

توجد مجموعة من اللوحات التى كانت محفورة فى الجبل للشمال والجنوب من المعبدين وقد تم إنقاذها ووضعها تقريبا فى نفس أماكنها كما كانت وأهم هذه اللوحات:

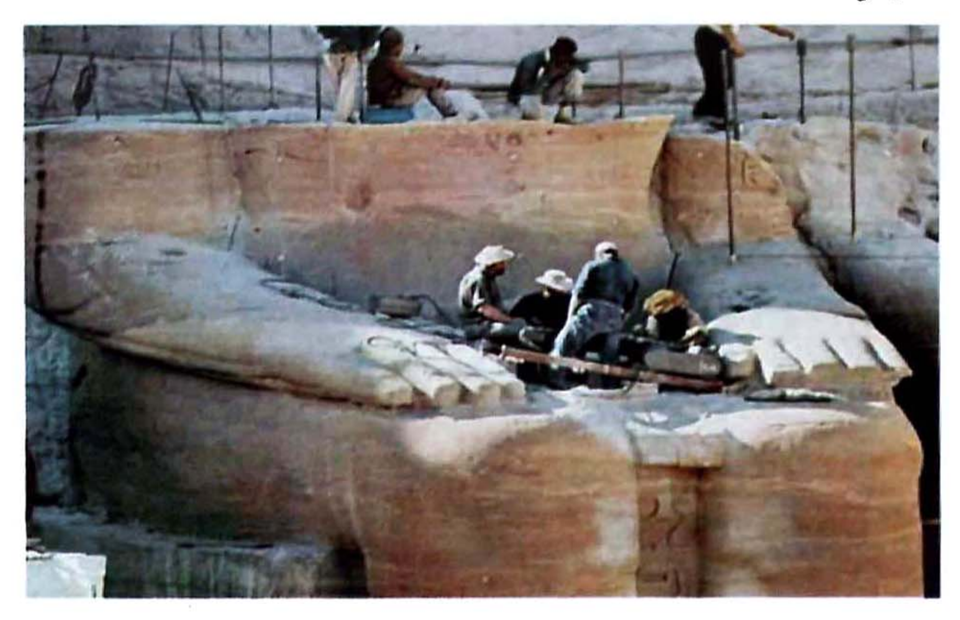
♦ لوحة إيونى هى أول لوحة شمال المعبد الصغير وهى تخص إيونى نائب الملك فى النوبة والذى كان مسئولا عن بداية العمل فى المعبدين وفيها نشاهده وهو ممسكا بمروحة

الريش بينما رمسيس جالسا على العرش.

- لوحة عشا حبسد وهى تقع لليمين من لوحة أيونى وهى تخص عشا حبسد حامل كئوس الملك والذى كان أيضًا مشرفا على العمال وفيها نشاهده يخاطب الملك بينما النص يتحدث عن البدء فى العمل وتعيينه مشرفا على العمال.
- لوحة حقا نخت هى أول لوحة للجنوب من المعبد الكبير وهى خاصة بنائب الملك فى النوبة [حقا نخت] والذى تولى مسئولية العمل بعد إيونى حتى الانتهاء من المعبدين وافتتاحهما فى العام ٢٤ من حكم رمسيس. الجزء العلوى من اللوحة يصور الملك مع الأميرة مريت أمون يقدم القرابين لأمون ورع ورمسيس المؤله بينما فى الجزء الأسفل منها يظهر حقا نخت راكعا أمام نفرتارى.
- لوحة سيتاو للجنوب من لوحة حقا نخت توجد لوحة لرمسيس وهو يضرب أعدائه أمام أمون وحورس إله بوهين بينما سيتاو - نائب الملك الشهير فى النوبة الذى للملك معبدا جرف حسين ووادى السبوع - يظهر فى الجزء الأسفل.

▪ إنقاذ معبدى أبى سمبل

- عندما تقرر بناء السد العالى ناشدت الأمم المتحدة ممثلة فى هيئة اليونسكو المجتمع الدولى المساعدة فى إنقاذ معابد أبى سمبل وقد اقترحت خطط عديدة لإنقاذها وتم اختيار إحداها التى تشمل تقطيع المعبد إلى أجزاء كبيرة ثم إعادة بنائها مرة أخرى فى مكان مرتفع وآمن من المياه. وكان صاحب الإقتراح المهندس المصرى أحمد عثمان.
- وقد قامت بالعمل مجموعة شركات عربية - إيطالية - فرنسية - سويسرية وقد عهد إلى شركة [هوختيف] الألمانية بإدارة العمل نيابة عن المجموعة وقد كانت تكلفة المشروع ١٦ مليون جنيه مصرى تحملت مصر ثلثها وتحملت الولايات المتحدة الأمريكية ثلثها بينما اشتركت العديد من الدول الأخرى فى الثلث الباقى عن طريق اليونسكو.



الإنقاذ (تقطيع المعبد)

- بدأ العمل فى ربيع ١٩٦٤م وكان العمل فى إنشاء السد العالى قد بدأ قبل ذلك بعدة سنوات وبدأت المياه فى الإرتفاع لذلك تقرر إنشاء سد معدنى مؤقت لحماية المعبدين أثناء عملية الإنقاذ وقد استخدمت لهذا السد ألواح ضخمة من الصلب تم غرسها على عمق حوالى ١١ متر فى الصخر ثم تم تجميع وتكويم كميات كبيرة من الأحجار والرمال فوقها لتقويتها. وبعد بناء السد لاحظ القائمون على العمل وجود تسرب للمياه وإن كانت بكميات قليلة إلا أنهم قرروا عمل بعض القنوات والآبار فى المساحة الموجودة أمام المعبد الكبير لتصريف أى مياه قد تتسرب من خلال السد.
- فى ربيع ١٩٦٥م تم الإنتهاء من السد المؤقت ثم بدأ أكثر من ألفى شخص فى المرحلة التالية من العمل ولتوفير وسائل الحياة لهذا العدد تم استخدام بعض المراكب لجلب الأغذية من أسوان وكانت إحدى هذه المراكب تسمى رمسيس وأخرى تسمى نفرتارى كما استخدام ثلاث طائرات صغيرة.
- قبل البدء فى تقطيع الأحجار تم حماية تماثيل القردة أعلى واجهة المعبد الكبير بإطار خشبى كما تقرر حماية الواجهة نفسها من الصخور التى قد تتساقط وذلك

عن طريق تغطيتها بالرمال التى وصلت حتى أعلى التماثيل وتم عمل نفس الشىء مع المعبد الصغير. وقبل سد مدخل المعبدين بالرمال وضعت أنفاق معدنية من خارج المعبد إلى الداخل لاستخدامها للدخول والخروج. أما فى داخل المعبدين فقد استخدمت دعائم صلب لتقوية الجدران والأسقف أثناء تقطيع الأحجار الخارجية واستخدمها العمال كسقالات داخل المعبد. وعند عمل اللحامات لهذه الدعائم أخذت الشرارات الكهربائية تغطى تماثيل رمسيس الثانى ولكنها لم تتلف أى من النقوش.

♦ فى هذه الأثناء كان العمل يسير خارج المعبدين باستخدام مناشير كهربائية لتقطيع الصخور الخلفية وأعلى المعبدين قبل الوصول للسمك المتفق عليه أعلى سقف المعبدين. واستخدمت مناشير يدوية لتقطيع الصخور الأمامية والداخلية وكان لزاما تقليل الفواصل بين الأحجار أثناء عملية التقطيع والنشر فلم تكن أكثر من ٦ ملم على أقصى تقدير وأقل من ذلك فى القطع الداخلية.

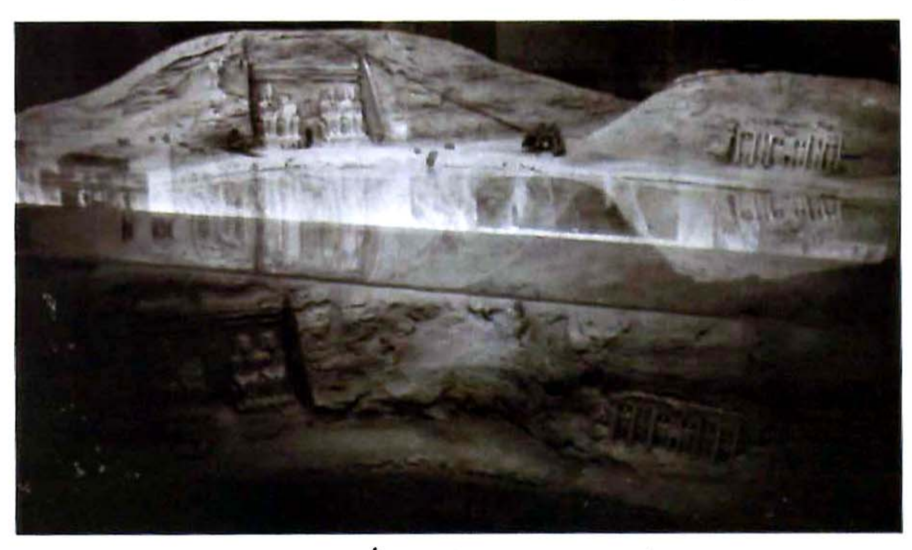
♦ لرفع القطع المقطوعة قاموا بعمل فتحات فى كل قطعة وأدخلوا دعائم صلب داخلها وتثبيتها بمادة خاصة تم اختيارها بعد عدة اختبارات ثم تم استخدام روافع لرفع القطع وقبل ذلك كان عليهم التخلص من الأحجار التى ملأت المكان والتى لن تستخدم فى إعادة البناء وقد استخدمت لذلك بلدوزرات عملاقة. ومن المعدات التى استخدمت فى التقطيع مدقات كهربائية تحمل باليد وهى استخدمت للأجزاء الخارجية أعلى المعبدين حتى وصلوا لسمك واحد متر فوق المعبد وأصبح العمال بالداخل يسمعون صوت المدقات الخارجية فتوقف استخدام هذه المدقات وبدأوا باستخدام المناشير اليدوية فقط. وعندما حانت لحظة نقل أول قطعة تجمع كل من بالموقع لمتابعة هذه اللحظة التى تمت بنجاح تلاها رفع باقى القطع. وكانت الرافعة تحمل كل قطعة ببطء وتضعها فى مقطورة كبيرة تملأها الرمال لحماية القطعة وكانت بعض القطع تزن أكثر من ٢٠ طن وقد تم تقطيع المعبد الكبير إلى ٨٠٧ قطعة والمعبد الصغير إلى ٢٣٥ قطعة وتم استخدام أحدث الوسائل المتاحة وقتها لضمان نجاح العمل. وكان السقفان قد أزيلا أولا ثم تماثيل الواجهة بعد إزالة الرمال من أمامهم. تم الإنتهاء من الجزء الأول من العمل فى بداية ١٩٦٦ م.

♦ القطع التى تم رفعها أخذت إلى مكان أعد مسبقا فى الصحراء المجاورة بجوار المكان الذى اختير لإعادة تشييد المعبدين وقد غطيت الأحجار بقطع من الكتان لحمايتها حتى بدأ العمل فى المرحلة التالية من العمل فى يناير ١٩٦٦ م.

♦ الموقع الجديد الذى تم اختياره يبعد حوالى ١٨٠ متر للشمال الغربى من الموقع الأصلى ويرتفع عنه حوالى ٦٥ متر. وتم استخدام الرافعات مرة أخرى لوضع قطع الأحجار فى مكانها الجديد. وتم تثبيت بعض الدعائم الحديدية مرة داخل أحجار المعبدين وبنهاية العام كانوا قد انتهوا من إعادة بناء المعبدين.

♦ ولكن لم يكن هذا نهاية العمل فكان لا بد من إعادة بناء الجبل فوق المعبدين حتى يبدو كما كان فى المكان الأصلى لذلك تقرر بناء جبل صناعى وكان لا بد من وضع أثقال ضخمة من الصخور فوق المعبدين وعلى الرغم من استخدام الخرسانة لحماية الجدران والسقف ولكن ذلك لم يكن كافيا للإطمئنان أن المعبدين سوف يتحملا هذه الأثقال. ولحل هذه المشكلة تقرر بناء قبتين من الخرسانة قبة لكل معبد لكى تتحمل ثقل الجبل الصناعى وتحمى المعبد.

♦ واستخدمت الحاسبات الآلية للوصول للمقاسات المناسبة هندسيا والقادرة على الصمود تحت هذه الأثقال الضخمة وقد كانت هذه المرة الأولى فى العالم لعمل مثل هذا التصميم. واستغرق العمل لإقامة هاتين القبتين عاما ونصف وفى منتصف ١٩٦٨م تم الإنتهاء من العمل تماما ولم ينس المهندسون وضع آلية لمراقبة تأثير وزن الصخور على القبتين. وتبلغ القبة التى تحيط المعبد الكبير ٢٥ متر ارتفاع و٦٥ متر عرض ومدخل القبة يقع خارج السور اللبن شمال المعبد الكبير.



ماكيت يوضح الموقعين الأصلى والحديث

◆ **ملحوظة:-** أثناء عودة القائد الإنجليزى اللود [كتشنر] من السودان أثناء نشوب ثورة المهدى ضد الاحتلال البريطانى ١٨٨٥م وبالقرب من أبى سمبل أصابت أحد ضباطه ضربة شمس وهو الجنرال [تيدز ول] وقد دفن أولا أمام المعبد الكبير وعند نقل المعبدين نقلت مقبرته إلى عدة مئات من الأمتار للشمال من المعبد الصغير وهى الآن خارج السور الذى يحيط الموقع الجديد.

الفصل السادس

الآثار الأخرى

الآثار المهداة

■ معبد دابود

هو معبد بطلمى بنى فى دابود حوالى ١٦ كم جنوب أسوان وقد بناه الملك المروى [أذخر أمون] وأضيفت له بعض الإضافات فى العصر الرومانى. كان مخصصا لعبادة أمون إله طيبة ومروى. يتكون من فناء ومقصورة وقدس الأقداس. وقد بنيت أمامه بواباتان لعمل ممر للإحتفالات الدينية وقد بنيت البوابة الأولى فى عصر بطليموس السادس وكليوباترا الثانية [١٧٠ ق. م]. وكان للمعبد رصيف على النيل حيث كان المعبد إحدى محطات رحلة إيزيس فى بلاد النوبة السفلى مثل بعض المعابد الأخرى. وقد أُهدى المعبد لأسبانيا عام ١٩٦٥م ويوجد حاليا فى مدريد بإحدى المتنزهات العامة.



معبد دابود فى مكانه الأصلى



معبد دابود فى مدريد (أسبانيا)

■ معبد تافا

كان هذا المعبد مشيدا فى مدينة تافا على بعد ٥٠ كم جنوب أسوان وبالقرب من كلابشة وبجوار معبد قرطاسى. وقد بنى على مكان مرتفع. وكان مكونا من صرح يتجه للجنوب يليه صالة واحدة بها ستة أعمدة نباتية غير منقوشة ثم قدس الأقداس المعبد بحالة جيدة ولكنه غير منقوش وغير معروف زمنه على وجه الدقة ولكنه يعود للعصر اليونانى الرومانى. أمام المعبد عمودان بتيجان زهرية وبينهما ستارة حجرية ترتفع لمستوى التيجان. فى منتصف الستارة بوابة يزينها قرص الشمس والكوبرا. فى عام ١٩٦٠م قامت هيئة الآثار المصرية بتفكيك أحجاره ونقله إلى جزيرة أسوان ثم أهدته مصر لهولندا التى أعادت بناءه فى ليدن.



معبد تافا فى موقعه الأصلى



معبد تافا فى ليدن (هولندا)

▪ معبد دندور

كان هذا المعبد يقع على الضفة الغربية للنيل حوالى ٢٠ كم جنوب كلابشة. وقد شيد فى العصر الرومانى فى عصر الإمبراطور الرومانى أغسطس (٣٠ ق. م) وهو مخصص لعبادة الإلهة إيزيس مع اثنين من أبناء أحد الزعماء النوبيين المحليين. هذين الابنين كانا من الأبطال المحليين وقد رفعهما أغسطس لمصاف الآلهة وإن كانت النقوش تظهرهما فى مرتبة أقل من المعبودات التقليدية ويظهرا وهما يقدما القرابين لإيزيس. وأهم النصوص ما قام بكتابته الملك النوبى (أكيسبا نومى) وهو نص قبطى يتحدث عن تحويل المعبد إلى كنيسة عام ٥٧٩ م.



معبد دندور فى مكانه الأصلى

كان هناك أمام المعبد رصيف كبير يطل على النيل وعلى الجانب الغربى منه بوابة رئيسية كانت فى الأصل صرحا من الطوب اللبن وخلفه البناء الرئيسى للمعبد ويتكون من فناء مكشوف تتألف واجهته من عمودين بتاجين زهريين. يلى الفناء ردهة

غير مزخرفة ثم قدس الأقداس والجدران هنا بها نقوش تمثل الإمبراطور الرومانى يقدم القرابين لابنى الزعيم النوبى [بيتيزيس - بيحورس] وإيزيس. وهو من المعابد التى قامت بتفكيكها هيئة الآثار ١٩٦٠م ثم أهدته للولايات المتحدة التى قامت بإعادة تشييده فى متحف ميتروبوليتان بنيويورك.

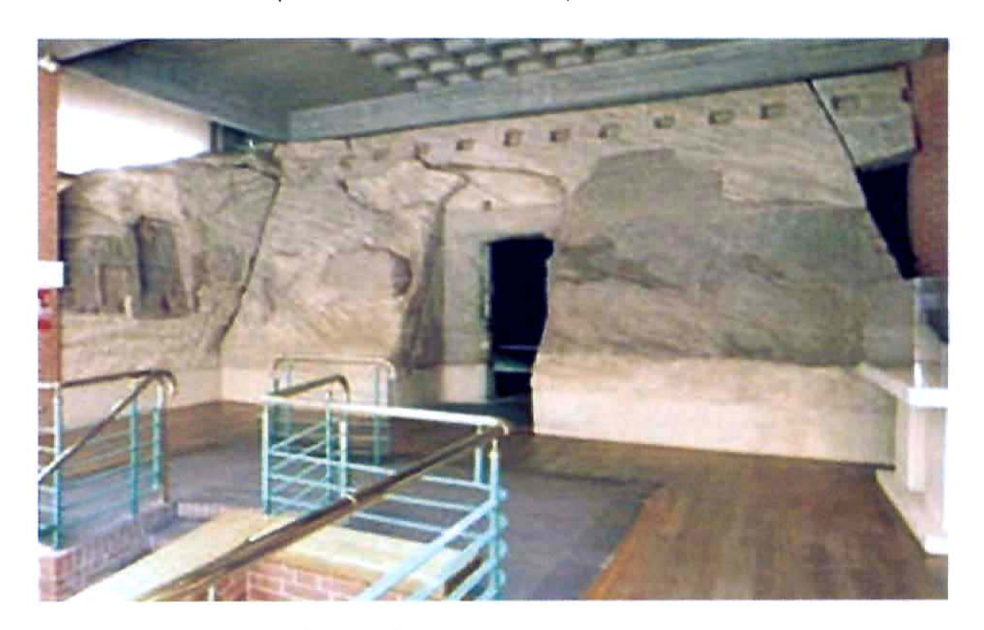


معبد دندور فى نيويورك (الولايات المتحدة)

■ معبد الليسيه

نحت هذا المعبد فى الصخر شرق النهر حوالى ٤ كم شمال قصر إبريم وكان يبعد عن النيل حوالى ١ كم. يرجع للعام ٤٣ من عصر تحتمس الثالث [١٤٥٠ ق. م]. وهو يتكون من صالة واحدة مستعرضة وبها مشكاة فى منحوتة فى نهايتها. وقد زينت واجهته بمخطوطات كثيرة منها النص الذى يذكر تاريخ بناء المعبد ويظهر فيه تحتمس الثالث يتعبد للإله حورس إله مقاطعة ميعام الذى خصص له المعبد مع بعض المعبودات الأخرى المصرية والنوبية مثل لسنوسرت الثالث الملك المؤله وبعض أشكال حورس

المحلية]. فى عصر رمسيس الثانى تم إضافة بعض المناظر الخاصة بحاكم النوبة فى ذلك الوقت [سيتاو] حيث يظهر متعبدا أسفل إحدى لوحات رمسيس الذى يقدم القرابين لأمون وحورس. كان هناك ثلاثة تماثيل مدمرة فى المشكاة الخلفية أحدهم كان لتحتمس الثالث. وهو أيضا من المعابد التى قامت بتفكيكها هيئة الآثار ١٩٦٠م ثم أهدتها لإيطاليا التى شيدته بمتحف تورين وتم افتتاحه ٤ سبتمبر ١٩٧٠م فى احتفال كبير.



معبد الليسيه بتورين (إيطاليا)

▪ بوابة كلابشة الرومانية

أثناء نقل معبد كلابشة تم العثور على أعداد كبيرة من قطع الأحجار داخل أساسات المعبد. بعضها كان مقصورة مخصصة لعبادة [خنوم] وقد تم إعادة بنائها فى جزيرة [الفنتين والبعض الآخر [١٠٠ قطعة] كان عبارة عن بوابة بنيت فى العصر البطلمى وتم نقشها فى عصر الإمبراطور الرومانى أغسطس. فى عام ١٩٧١م أهديت البوابة لألمانيا وتم إعادة بنائها فى متحف برلين. والبوابة حوالى ٧ متر ارتفاع وكانت فى الأصل جزءا من سور من الطوب اللبن ولها باب خشبى. بها بعض النقوش تصور أغسطس أمام بعض الآلهة مثل [إيزيس – أوزوريس – ماندوليس].

معابد شمال السودان

♦ فى شمال السودان كان هناك أربعة معابد مشيدة على النيل بالإضافة لمقبرة صخرية وبعض النقوش المنحوتة فى الصخر. وقد أصرت حكومة السودان أن يتم إعادة بناء الأربعة معابد فى الخرطوم وليس فى شمال السودان وذلك حتى يتمكن أكبر عدد ممكن من زيارتها مستقبلا سواء للسائحين أو السودانيين أنفسهم. لذلك فقد قررت هيئة الآثار السودانية نقل هذه المعابد وإعادة بنائها فى المتحف الوطنى السودانى. وقد تقرر إقامة بحيرة مائية صناعية فى حديقة المتحف لكى يتم إعادة بناء المعابد فى محيط مشابه لما كانت عليه على ضفاف النيل. تم إعادة البناء مع الحفاظ على نفس اتجاهات المعابد الأصلية. قام بالإشراف على الجزء الأكبر من العمل الألمانى لف. دبليو. هنكل والذى كان يعمل مهندسا معماريا فى أكاديمية العلوم بجمهورية ألمانيا الديمقراطية وبعد إتمام عملية إعادة بناء الآثار تم تعيينه الإستشارى المعمارى الرسمى لهيئة الآثار السودانية.

▪ معبد عكشا

تقع منطقة عكشا بين (فَرَس) ووادى حلفا وتمت بها حفريات كثيرة عند تعلية الخزان الثانية ومما وجد هذا المعبد الصغير الذى يرجع لعصر رمسيس الثانى وقد خصص لعبادة الصورة الحية للإله رع.

▪ معبد بوهين

كانت قلعة بوهين هى الأولى فى سلسلة القلاع المصرية التى شيدها ملوك مصر فى عصر الدولة الوسطى فى النوبة السفلى والتى امتدت من بوهين شمالا حتى سمنة غربا لبسط سيطرتهم على منطقة الشلال الثانى وجنوبها. كان معبد بوهين يقع خلف القلعة وكان له صرحا من الطوب اللبن والذى كانت أجزاء منه ما زالت باقية حتى بدء عملية النقل. وكان هذا المعبد قد تمت به بعض أعمال الترميم البدائية ١٩٠٥م حين وضع الجنرال (وينجيت) له سقفا خشبيا لحماية النقوش التى كانت ما تزال تحتفظ ببعض الألوان. وقد خصص لعبادة حورس وتم تشييده فى عصر الأسرة ١٨ أثناء حكم الملكة حتشبسوت وتم إضافة أجزاء له فى عصر تحتمس الثالث. أهم ما به هو أحد مخطوطات تحتمس الثالث التى يتحدث فيها عن حملاته الآسيوية وهو مؤرخ فى العام ٢٣ من حكمه: (إن الملك نفسه قاد جيشه فى الطريق الممهد وكان يبدو قويا على رأس هذا الجيش مثل شعلة النار.. لا يشبهه أحد.. يذبح البرابرة ويحضر عرباتهم المزركشة بالذهب مربوطة بخيولهم..)



معبد بوهين بمتحف الخرطوم

▪ معبد سِمنا فى الغرب

لقد بنى هذا المعبد داخل أسوار قلعة سمنة غرب النيل. المعبد الحالى يعود تاريخه للأسرة ١٨ ولكن يعتقد أنه شيد على أطلال معبد قديم من عصر سنوسرت الثالث. وقد خصص لعبادة الإله النوبى (ديدوين) والملك سنوسرت الثالث الذى عبد فى عصر تحتمس الثالث. يتكون المعبد من حجرة واحدة من الحجر الرملى وبها بعض النقوش التى تخص تحتمس الثالث ومعها بعض النصوص المصاحبة على لسان الملك: (تحتمس الإله الطيب.. من خبر رع.. الذى جعل المعبد ضريحا له ولأبيه ديدوين حامى النوبة.. ولملك مصر العليا والسفلى.. خع كاو رع.. سنوسرت.. حيث يقيم لهما معبدا من الحجر النوبى الأبيض الجميل..)

و على الجدار الغربى للمعبد يرد الإله النوبى (ديدوين) بنصٍ آخر: (ابنى المحبوب.. من خبر رع.. يا له من صرحٍ رائعٍ جميل أقمته لإبنى المحبوب.. ملك مصر العليا والسفلى.. خع كاو رع.. لقد خلدت اسمه للأبد حتى تكتب له الحياة.)

▪ معبد سمنا فى الشرق

كان هذا المعبد يقع داخل قلعة سمنة شرق النهر والتى كانت تعرف باسم (كُومّة). بناه تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت فى فترة ولايتها وولائه لها وتم تخصيصه لخنوم وسنوسرت الثالث الملك المؤله فى النوبة. وبعد وفاة حتشبسوت قام تحتمس الثالث بإزالة خراطيشها ووضع اسمه بدلا منها. ومن بعده قام ابنه أمنحتب الثانى بتجديد المعبد وأكمل ما بدأه أبوه بإزالة اسم الملكة ووضع اسم أبيه واسمه.

آثار الأخرى

▪ أبوعودة

على مسافة قليلة جنوب الموقع الأصلى لمعبدى أبى سمبل نُحت معبد أبو عودة فى صخرة بارزة ترتفع من النهر على الضفة الشرقية للنيل. يرجع تاريخ المعبد لصر حور محب وكان يعتبر من أجمل وأقدم معابد النوبة. وكان مخصصا لعبادة أمون وتحوت. كان يتألف من مدخل له سلم قصير وصالة بها أربعة أعمدة بردية.. غرفتان جانبيتان ثم قدس الأقداس ومنه كان هناك منحدر تحته بئر يؤدى إلى غرفة لا يعرف الغرض منها. تم تحويله لكنيسة فى العصر المسيحى وغطيت أغلب مناظره القديمة بطبقة من الجص رسمت فوقها صور مسيحية للقديسين والملائكة على الجدران أما السقف فكان عليه منظر للسيد المسيح (س) برداء أحمر. مع الزمن محيت بعض المناظر المسيحية وفى القرنين ١٩ – ٢٠ قبل النقل كانت المناظر المصرية القديمة تظهر جنبا إلى جنب مع المناظر المسيحية.

لسوء حالة الصخور وارتفاع التكلفة لم يتم نقل المعبد كاملا بل تم قطع بعض أجزاء منه وفى عام ١٩٦٣ – ١٩٦٤م قامت بعثة يوغوسلافية بإنقاذ النقوش المسيحية ويتم عرضها الآن فى المتحف القبطى بالقاهرة.

▪ جبل الشمس

بين معبد أبى عودة وحدود مصر والسودان فى منطقة تسمى جبل الشمس أو جبل عدة كانت هناك مقصورة منحوتة فى الصخر خاصة بحاكم كوش (بسيور) فى عصر حور محب وقد نقش القابه عليها (المشرف على مناجم الذهب.. حاكم كوش).

ويظهر على الجدران بسيور جالسا بينما يقدم له أصدقاؤه فروض الولاء والطاعة كما يظهر متعبدا أمام تمثال مدمر لأحد الآلهة. وقد تم نقل المقصورة لمتحف السودان.

▪ مقبرة تحوتى حتب

تم اكتشاف تلك المقبرة فى منطقة (ديزة شرق) وهى تخص أحد رجال الملكة حتشبسوت وقد تم نقلها إلى متحف السودان.

▪ القلاع الحربية

بداية من الدولة الوسطى قام الملوك المصريون بتشييد سلسلة كبيرة من القلاع الحربية فى النوبة السفلى واستطاعوا من خلالها التحكم فى طريق القوافل التى كانت تحمل الذهب والعاج والأبنوس لأن المنطقة حول الشلال الثانى كانت أكثر الأماكن انكشافا وتعرضا للهجوم فكانت القلاع تشيد على مسافات قريبة من بعضها البعض بحيث يسهل الإتصال فيما بينها بالإشارات عند أى خطر.



قلعة كوبان

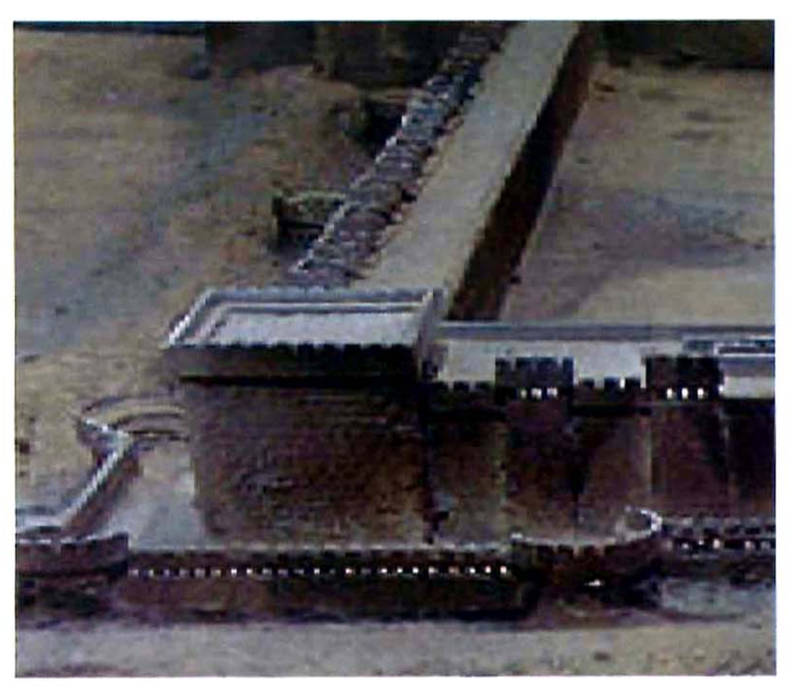
بنيت هذه القلاع من الطوب اللبن وتراوحت فيما بينها فى المساحة وقوة التحصينات حسب المكان والظروف المحيطة به كما احتوت أسوارها عددا من المعابد والمبانى الخاصة بإقامة الجنود ومخازن المؤن وكانت معظمها ذو شكل مربع أو مستطيل ولها أبراج عالية فى الجوانب. وكان الكثير منها مازالت بقاياه قائمة حتى بناء الخزان ثم السد العالى حيث تم ما احتوته من معابد حجرية ولم يكن ممكنا نقل بقايا القلاع التى كانت من الطوب اللبن والوحيدة التى مازال بعضٌ منها قائما هى قص إبريم. وتعد خسارة هذه القلاع هى الأكبر فى تأريخ التاريخ المصرى والنوبى على حدّ سواء. وأهم هذه القلاع:

- قلعة (فرَس) كانت على الضفة الغربية للنيل وقد بنيت من الطوب اللبن على قاعدة حجرية ومساحتها ١٠٠٠ قدم طول ٦٠٠ قدم عرض وكان ارتفاعها حوالى ٣٠ قدم من الطوب اللبن فوق ١٣ قدم من الحجر. تعود للعصر الرومانى وتم اكتشاف معبد عكشا بها.
- قلعة (سارا) بنيت على الضفة الشرقية للنهر وترجع للدولة الوسطى وبلغت مساحتها ٣٥٠ قدم طول و٢٥٠ قدم عرض. ووجدت بها بعض الصخور المنقوشة من نفس التاريخ.



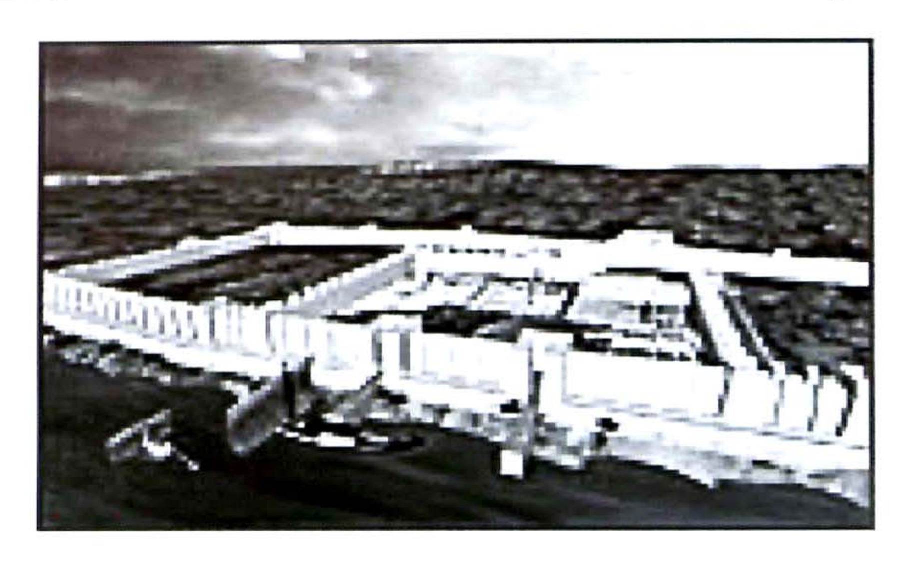
صورة مرسومة لقلعة بوهين

- قلعة (بوهين) كانت الأولى فى سلسلة من القلاع القريبة جدا فى المسافة حتى قلعة سمنة شرق وسمنة غرب فى اقصى الجنوب. وقد نقل منها معبد بوهين لمتحف السودان.
- قلعة (مايانارتى) وكانت قائمة على مشارف جزيرة تتحكم فى مدخل الشلال الثانى.



نموزج لإحدى القلاع

- قلاع (دابنارتى – ميرجاسا – شالفاك - أدورونارتى)
- قلعة (سمنة غرب) كانت من أهم القلاع الكبيرة وقد شيدت على مرتفع صخرى يطل على النيل وكان بينها وبين (سمنة شرق) حوالى ٥٠٠ ياردة وبذلك كان بالإمكان إرسال النداء الصوتى.



صورة بالكمبيوتر لقلعة بوهين

▪ المقابر الهرمية

مقبرة بنوت التى سبق الحديث عنها كانت حولها عددٌ آخر من المقابر التى تخص أفراد عائلته وكانت مقابر هرمية الشكل ولكنها مبنية بالطوب اللبن وغير منقوشة لذلك لم يتم نقلها.

▪ النقوش الصخرية

كان دائما ما يجاور أو يحيط معابد النوبة عدد غير قليل من النقوش الصخرية التى تعود لمختلف العصور والتى كانت أحد المصادر الرئيسية لدراسة بدايات العمران فى قرى النوبة. تم نقل وتقطيع ما تيسر أثناء عملية إنقاذ آثار النوبة وبعض هذه الصخور معروض بمتحف النوبة بأسوان وبعضه معروض بمتحف السودان ولكن هناك الكثير الذى تحدثت عنه كتابات الرحالة الأوائل فى القرن ١٩م والذى فقد للأبد.

▪ ما فُقِدَ فى بحيرة ناصر

من العرض السابق يمكن القول أن ما فقد فى مياه البحيرة هو :

- ♦ أجزاء من معبد جرف حسين.
- ♦ أجزاء من معبد أبوعودة.
- ♦ القلاع الحربية من الطوب اللبن.
- ♦ المقابر الهرمية من عصر رمسيس السادس.
- ♦ النقوش الصخرية والتى يصعب حصرها.

المراجع

- سليم حسن – [موسوعة مصر القديمة – الجزء السادس – عصر رمسيس الثانى].
- أدولف إرمان – [ديانة مصر القديمة] ترجمة د.عبد المنعم أبوبكر ود.محمد أنور شكرى.
- د.بكرى أحمد عبده – [النوبة أنا، أنا النوبة].
- د. أحمد سوكارنو عبد الحفيظ – [صفحات من تاريخ النوبة].
- جون كنيدى – [طقوس الحياة فى بلاد النوبة] ترجمة د. أحمد سوكارنو ١٩٧٨ م.
- جيمس بيكى – [آثار وادى النيل الجزء الخامس].
- محمد عتريس – [معجم بلدان العالم] القاهرة ٢٠٠٢ م.
- د. مختار خليل كبارة – [اللغة النوبية] القاهرة ١٩٩٧ م.
- كنت أ. كتشن – [رمسيس الثانى فرعون المجد والانتصار] ترجمة د.أحمد زهير أمين.
- عمرو الخربوطلى – أشرف صبحى عبد العاطى – [توشكى بين الحلم والحقيقة].
- د. محمد رياض – د كوثر عبد الرسول – [رحلة فى زمان النوبة] القاهرة ١٩٩٨ م.
- شبكة الإنترنت – دراسات خاصة بالبحث موضوع الكتاب منشورة على شبكة الإنترنت – المواقع المستعان بها أكثر من ١٠٠ موقع.

BIBLIOGRAPHY

- ARTHUR WEIGALL – (ANTIQUITIES OF EGYPT) – LONDON.
- JOCELYN GOHARY – (NUBIAN MONUMENTS ON LAKE NASSER) – CAIRO.
- JOHAN H. TAYLOR – (EGYPT AND NUBIA) – BRITISH MUSEUM – LONDON.
- JOYCE L.HAYNES – (NUBIA, ANCIENT KINGDOMS OF AFRICA) – BOSTON.
- MINISTERE DE LA CULTURE – (MUSEE DE LA NUBIE) – CAIRO.
- MAX-POL FOUCHET – (NUBIEN GEBORGENNE SCHATZE) .
- WIKIPEDIA – (FREE ENCYCLOPEDIA) .

المؤلف

أحمد على محمد الصغير

- مواليد محافظة قنا ١٩٧٢م ومقيم بمدينة أسوان.
- بكالوريوس إرشاد سياحى جامعة المنيا ١٩٩٤م.
- دبلومة دراسات عليا جامعة المنيا ١٩٩٨م.

◆ **صدر له:**

- "**تاريخ النوبة وآثار بحيرة ناصر**"، عن دار حابى للنشر ٢٠٠٩ م.
- "**مرثية خائنة**" ديوان شعر، عن دار حابى للنشر ٢٠٠٩ م.
- "**آى بنوجرى**" رواية، دار أجيال للنشر، ٢٠١٠م.

شكر خاص

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل يدٍ رقيقة امتدت لى بالعون ويسعدنى أن أشير بشكلٍ خاص لسيدة الأعمال والخبيرة السياحية الناجحة السيدة مها شرف مدير عام شركة السد العالى للبواخر النيلية، الشركة المالكة للباخرة [بحر النوبة] وذلك لما قدمته لى من مساندةٍ ودعمٍ معنوى لسنواتٍ طويلة مما كان له من أثرٍ طيبٍ لاستكمال تجربتى فى الكتابة مع تمنياتى لها بمزيدٍ من النجاح والتوفيق .

أحمد الصغير